وقف لله تعالى

سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٥٠)

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

للإمام/ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وغفر له

تأليف

الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
أجزل الله له المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ العلامة

الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الرابع

طبع على نفقة
خديجه بنت عبد الهادي بغلف
رحمها الله وغفر لها ولوالديها ولذريتها ولجميع المسلمين

توزيع
جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بسلطانة
الرياض - ص. ب ٩٢٦٧٥ الرمز البريدي ١١٦٦٣

شرح فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد

شرح

فتح المجيد

بشرح كتاب التوحيد

الجزء الرابع

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله

شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ١/٤، / صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان؛ سلمان جابر عثمان المجلهم - ط١، - الرياض، ١٤٤٤ هـ

٤ مج.

ردمك: ٣-٥-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٧-٧-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

١- التوحيد ٢- العقيدة الاسلامية أ. المجلهم، سلمان جابر عثمان (محقق) ب- العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٤/٦٦٢٥

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٦٢٥

ردمك: ٣-٥-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٧-٧-٩١٩٦٨-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

الطبعة الأولى

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

الإمام الذهبي

مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي: حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف: ت ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء: الناصر مول: تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل: البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض: المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٥٥٧٧٦٥١٣٨ ٠٠٩٦٦

الخط الساخن: جوال: ٩٤٤٠٥٥٥٩ ٠٠٩٦٥

z.zahby74@yahoo.com imamzahby

شرح
فتح المجيد
بشرح كتاب التوحيد

للإمام/ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله وغفر له

تأليف
الشيخ/ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
أجزل الله لهم المثوبة والمغفرة

الشرح لمعالي الشيخ العلامة
الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الجزء الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

٣٩- بَابُ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠].

ش: سبب نزول الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها، وهو أن مشركي قريش جحدوا اسم الرحمن عنادًا(١).

إن الإيمان بالله يشمل الإيمان بأسمائه وصفاته، فمن جحد الأسماء والصفات، لم يكن مؤمنًا بالله عَزَّوَجَلَّ، فلابد من الإيمان بأسماء الله وصفاته مع الإيمان بالله، هذا ما عليه المسلمون من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعليه هذه الأمة المحمدية؛ أنها تؤمن بالله جَلَّوَعَلَا وبأسمائه وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، هذه الآية هي المنهج العام في الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ: مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**)، يعني: من جحد شيئًا من الأسماء والصفات، ما حكمه؟ (شيئًا)، ولو صفة واحدة، ولو اسمًا واحدًا. «شَيْئًا»، فكيف بمن جحد الأسماء والصفات، أو جحد الصفات كيف يكون هذا مؤمنًا بالله عَزَّوَجَلَّ؟!!

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٣/ ٥٣١)، وابن كثير (٤/ ٤٦٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾** [الرعد:٣٠])، ﴿وَهُمْ﴾، أي: الكفار، ﴿يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾، والرحمن: اسم من أسماء الله يتضمن صفة الرحمة.

الرحمن: رحمة عامة لجميع المخلوقات والدواب، وكل شيء يدخل تحت هذه الآية: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

وأما الرحيم: فإنه للمؤمنين، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، فهو رحمة خاصة بالمؤمنين، وأما الرحمن، فهو رحمة عامة، حتى الكفار يدخلون تحتها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**سبب نزول الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها**)، لما قال لهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١)، ومسلم -واللفظ له- (١٧٨٤) عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فيهم سهل بْنُ عَمْرٍو. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: «**اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**». قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. فَقَالَ: «**اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ**» قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رسول لَاتَّبَعْنَاكَ. وَلَكِنِ اكْتُبْ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ**».

....

ش: **قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، والرحمن اسمه وصفته، دل هذا الاسم على أن الرحمة وصفه -سبحانه-، وهي من صفات الكمال. فإن كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه -تعالى-، وهو من الأسماء التي دلت على كماله -سبحانه وبحمده-، فجحود معنى هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك. فإن جهم بن صفوان، ومن تبعه يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فلهذا كفرهم كثيرون من أهل السنة.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾** [الإسراء:١١٠])، لما سمعوا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه، ويقول: يا الله، يا رحمن، يا رحيم. قالوا: انظروا إلى هذا الرجل؛ يدعو إلى التوحيد، وهو يقول: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠][(١)].

لما قال لهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قالوا: مَا نَعْرِفُ إِلَّا رَحْمَنَ الْيَمَامَةِ -يعنون مسيلمة الكذاب؛ لأنه تسمى بالرحمن -قبحه الله-،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٢٣)، وزاد المسير (٣/ ٦٠)، وابن كثير (٥/ ١٢٨)، والتحرير والتنوير (١٥/ ٢٣٦).

لا نعرف الرحمن إلا مسيلمة-، فالله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(1).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والرحمن اسمه وصفته)**، الرحمن: اسم، والرحمة صفة؛ لأن كل اسم من أسماء الله يشتق منه صفة له سبحانه، ولذلك قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]، صارت حسنى؛ لأنها يشتق منها صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن كان المشركون جحدوا اسمًا من أسمائه -تعالى-، وهو من الأسماء التي دلت على كماله -سبحانه وبحمده- فجحود معنى هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك)**، كل أسماء الله وصفات التي وردت في الكتاب والسنة يجب الإيمان بها؛ الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته، فمن جحد شيئًا من الأسماء أو من الصفات، فليس مؤمنًا بالله عَزَّوَجَلَّ، وإن ادعى أنه يؤمن بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن جهم بن صفوان، ومن تبعه يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى)**، الجهم بن صفوان رئيس الجهمية الضُلال يجحدون صفات الله عَزَّوَجَلَّ، يجحدون أسمائه وصفاته، ويزعمون أنه ذات مجردة؛ لشبهة أنهم ينزهون الله عن الشرك، ويزعمون أن الصفة إله آخر -تعالى الله عن ذلك!

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٤٨١- ٤٨٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧١٥)، وتفسير ابن كثير (١/ ١٢٦)، والدر المنثور (٥/ ٣٧٦- ٣٧٧)، وفتح الباري (١٠/ ٥٧١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم)**، المعتزلة جاءوا بعد الجهمية، سُموا معتزلة لأنهم كانوا من تلاميذ الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ كانوا يحضرون مجالسه ودروسه، ثم انعزلوا عنه، فسموا معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا الإمام الحسن البصري إمام التابعين، لما أعلن الإيمان بالأسماء والصفات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلهذا كفرهم كثيرون من أهل السنة)**، كفرهم كثيرٌ من أئمة أهل السنة لما جحدوا الأسماء والصفات، ولا يؤمنون إلا بذات مجردة من الأسماء والصفات، وهذا قول باطل يتضمن الكفر؛ لأن الإيمان بالله يشمل الإيمان بأسمائه وصفاته.

....

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

واللَّالَكَائِيُّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْـ ـهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

فإن هؤلاء الجهمية، ومن وافقهم على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات كماله ونعوت جلاله.

وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم، فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا.

هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطلوه من صفات كماله، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات.

فشبهوا أولًا، وعطلوا ثانيًا، وشبهوه ثالثًا بكل ناقص أو معدوم، فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته.

هذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، فإنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذي حذوه.

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٢٩٠).

فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك، ويثبتون ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله من صفات كماله، ونعوت جلاله، لا تشبه صفاته صفات خلقه(١).

فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك، فتناقضوا فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل -ولله الحمد والمنة-، وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

وَاللَّالَكَائِيُّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْـ ... ـهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي)

هذا حكمهم عند أهل السنة والجماعة.

قال الإمام ابن القيم: (وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ)، يعني: الجهمية.

(خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ)، يعني: خمسمائة عالم من أهل السنة والجماعة كفروا الجهمية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم، فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا)**، شبهتهم في نفي الأسماء والصفات أنهم يقولون: إن هذه

---

(١) ذكر هذا الكلام الذهبي في العلو (ص٢٣٦، ٢٥٣) وعزاه إلى الخطابي.

الأسماء وهذه الصفات يوصف بها المخلوقون، فالله سميع والمخلوق سميع، الله بصير والمخلوق بصير، وهكذا، وما فهموا -أو تعاموا- أن هناك فرقًا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وإن اتفقت في الاسم، فهي مختلفة في المعنى، وإن اتفقت في الاسم. فالله سميع والمخلوق سميع؛ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ﴾، يعني: الإنسان ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، فالمخلوق سميع، يوصف بأنه سميع، يوصف بأنه بصير، يوصف بأنه حكيم، ولكن هناك فرقًا بين صفات الخالق وصفات المخلوق.

وهذه الآية حاسمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فنفى عن نفسه المثلية، وأثبت لنفسه السمع والبصر، والمخلوق يقال: سميع، ويقال: بصير، له سمع، وله بصر، لكن هناك فرقًا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وأسماء الخالق وأسماء المخلوق؛ كما أن هناك فرقًا بين ذات الخالق وذات المخلوق، فلا تشابه، وإن اتفقت في الاسم، فهي مختلفة في المعنى والحقيقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا)**، الجسم هذا الذي يقولون، لم يرد به كتاب ولا سنة بهذا اللفظ، لفظ الجسم. لكن إن أرادوا الجسم الذي له أسماء وصفات، فنحن نؤمن بذلك، لكن لا نقول: جسم، الجسم هذا من عندهم، فلا نقول: إنه جسم، لا ننفيه، ولا نثبته؛ لأنه لم يرد في الكتاب والسنة. لم يرد في الكتاب والسنة إطلاق الجسم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين)**، لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، فالله سميع والمخلوق سميع، الله بصير والمخلوق بصير، لكن هناك فرقًا بين صفات الخالق وصفات المخلوق؛ كما أن هناك فرقًا بين ذات الخالق وذات المخلوق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه)**، شبهوه بخلقه -تعالى الله-، ثم عطلوه، شبهوا أولًا، ثم عطلوه ثانيًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات)**؛ لأن الشيء الذي ليس له أسماء وصفات ليس موجودًا، ليس هناك شيء موجود وليس له اسم، وليس له صفة، ولكن فرق بين صفات الخالق وأسماء الخالق وصفات وأسماء المخلوق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فشبهوا أولًا وعطلوا ثانيًا، وشبهوه ثالثًا بكل ناقص أو معدوم)**، وقعوا فيما أشر مما فروا منه، وقعوا في شر أعظم من شر مما فروا منه؛ لأنهم وصفوه بالعدم؛ لأن الشيء الذي ليس صفات وليس له أسماء هذا ليس بموجود، ليس هناك شيء ليس له أسماء وصفات، لكن كلٌّ له صفات وأسماء تليق به؛ فالله له أسماء وصفات تليق به، والمخلوق له أسماء وصفات تليق به، فهم لم يفرقوا بين صفات الخالق وصفات المخلوق، ولذلك عطلوا وجحدوا، فوقعوا في شر أشد من الشر من الذي زعموه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته)**، هذا هو الفاصل: على ما يليق بجلاله وعظمته. فأسماء الله وصفاته لائقة به سبحانه، وصفات المخلوق وأسماء المخلوق لائقة بالمخلوق، وإن اتفقت في الاسم واللفظ، فهي مختلفة في المعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها)**، عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين، وأئمة الأمة من أكابر العلماء من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، هم على هذا المذهب الصحيح؛ أن الله له أسماء وصفات لائقة به، وأن المخلوق له أسماء وصفات لائقة به، ولا تشابه بينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه)**، يعني: أهل السنة والجماعة أثبتوا لله ما أثبته لنفسه في الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأثبته له رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، رسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت لله الأسماء والصفات، وأهل السنة اتبعوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إثباتًا بلا تمثيل)**، هذا الفرق: إثباتًا بلا تمثيل، فنقول: لله أسماء وصفات لائقة به وبجلاله، وللمخلوق أسماء وصفات لائقة به، ولا تشابه بينهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل)**، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، فنفى أن يشبهه أحدٌ من خلقه، وأثبت

له الأسماء والصفات، فدل على أن إثبات الأسماء والصفات لله لا يقتضي التشبيه -كما يقولون-، لا يقتضي التشبيه الذي فروا منه، فهو تخيل باطل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات)**؛ كما أن لله ذاتًا لا تشبه ذوات المخلوقين، فله أسماء وصفات لا تشبه أسماء وصفات المخلوقين. وهذه الآية حد فاصل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، هذا نفي للمشابهة، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فدل على أن إثبات الأسماء والصفات ليس فيه تمثيل ولا تشبيه -كما يقولون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، يعني: أهل السنة والجماعة، (فإنهم)، أي: أهل السنة والجماعة آمنوا بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل -ولله الحمد والمنة-، وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين)**، بالعقل والنقل والإجماع.

....

ش: وقد صنف العلماء -رحمهم الله تعالى- في الرد على الجهمية، والمعطلة، والمعتزلة، والأشاعرة، وغيرهم في إبطال هذه البدع، وما فيها من التناقض والتهافت، كالإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده المشهور، وكتاب «السنة» لابنه عبد الله(١)، وصاحب «الحيدة» عبد العزيز الكناني في رده على بشر المريسي(٢)، وكتاب «السنة» لأبي عبد الله المروزي(٣)، ورد عثمان بن سعيد على

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني، كان إماما خبيرًا بالحديث وعالمًا مقدمًا فيه، وكان من أروى الناس عن أبيه، وقد سمع من صغار شيوخ أبيه، وروى عنه أبو القاسم البغوي والمحاملي وأبو بكر الخلال وغيرهم، وكان ثبتًا فهمًا ثقة، ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦)، والعبر (١/ ٤١٨)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٧٧).

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي، قدم بغداد في أيام المأمون، وجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرات في القرآن، وهو صاحب كتاب «الحيدة»، وكان من أهل العلم والفضل، وله مصنفات عديدة، وكان ممن تفقه للشافعي، واشتهر بصحبته، توفي سنة أربعين ومائتين.

أما كتابه «الحيدة» فقد ضمنه مناظرته مع بشر المريسي، وقد أثبت نسبة الكتاب إليه غير واحد، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقل منه في درء التعارض (٢/ ٢٤٥- ٢٥١)، وقد شرح جملًا من كلامه من (٢/ ٢٥١- ٢٦١)، وذكره ابن النديم في الفهرست (ص ٢٣٠)، والخطيب في تاريخه (١٠/ ٤٤٨) وقال: (وهو صاحب كتاب الحيدة)، وكذا ذكره ابن العماد في الشذرات (٣/ ١٨٣)، وابن حجر في تهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٣). أما الذهبي فقد شكك فيه في الميزان (٢/ ٦٣٩)، ونسبه إليه في تاريخ الإسلام (٥/ ٨٧٢)، وقال: (صاحب كتاب الحيدة)، وكذا قال في العبر (١/ ٣٤١).

(٣) هو مُحَمَّدُ بنُ نَصْرِ بنِ الحَجَّاجِ المَرْوَزِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ، الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلَامِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ. مَوْلِدُهُ: بِبَغْدَادَ، فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَمائَتَيْنِ، وَمَنْشَؤُهُ بِنَيْسَابُوْرَ، وَمَسْكَنُهُ سَمَرْقَنْدُ، =

الكافر العنيد[١]، وهو بشر المريسي. وكتاب «التوحيد» لإمام الأئمة محمد بن خزيمة الشافعي[٢]، وكتاب «السنة» لأبي بكر الخلال[٣]، وأبي عثمان الصابوني

= كَانَ أَبُوْهُ مَرْوَزِيًّا، ذَكَرَهُ الحَاكِمُ، فَقَالَ: إِمَامُ عَصْرِهِ بِلَا مُدَافعةٍ فِي الحَدِيْثِ. كَتَبَ الكَثِيْرَ، وَبَرَعَ فِي عُلُومِ الإِسْلَامِ، وَكَانَ إِمَامًا مُجْتَهِدًا عَلَّامَةً، مِنْ أَعْلَمِ أَهْلِ زَمَانِهِ بِاخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ، قَلَّ أَنْ تَرَى العُيُونَ مِثْلَهُ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيْبُ: (حَدَّثَ عَنْ: عَبْدَانَ ابنِ عُثْمَانَ، ثُمَّ سمَّى جَمَاعَةً، وَقَالَ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِاخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُم فِي الأَحْكَامِ). قال الذهبي: (يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ الأَئِمَّةِ بِاخْتِلَافِ العُلَمَاءِ عَلَى الإِطْلَاقِ).
انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٨٥-٨٧)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٤٦)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ١٦٥-١٦٦)، والعبر (١/ ٤٢٦)، وطبقات الحفاظ (ص٢٨٩).

(١) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الامام العلامة الحافظ الناقد أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني صاحب المسند الكبير والتصانيف، ولد قبل المائتين بيسير، وطوف الأقاليم في طلب الحديث، له رد على المريسي والجهمية، وهو مطبوع باسم: «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، أو «نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد». انظر: تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٦١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٣٠٢)، وطبقات الحفاظ (ص٢٧٧- ٢٧٨).

(٢) هو كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ، للإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف، قال عنه أبو حاتم بن حبان التميمي: (ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها، حتى كأن السنن كلها بين عينيه، إلا محمد ابن إسحاق ابن خزيمة فقط) اهـ، وقال الإمام أبو العباس بن سريج - وذُكر له ابن خزيمة-: (يستخرج النكت من حديث رسول الله بالمنقاش) اهـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥ - ٣٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٢٠٧- ٢١٣)، وشذرات الذهب (٤/ ٥٧، ٥٨).

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة وعالمهم أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون ابن يزيد البغدادي الخلال، ولد في سنة أربع وثلاثين ومائتين أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتوفي سنة =

الشافعي[1]، وشيخ الإسلام الأنصاري[2]، وأبي عمر بن عبد البر النمري[3]، وخلق كثير من أصحاب الأئمة الأربعة، وأتباعهم، وأهل الحديث.

= إحدى عشرة وثلاثمائة، له من المصنفات كتاب «الجامع في الفقه» في عشرين مجلدًا، و«العلل» في ثلاث مجلدات، و«السنة» في ثلاث مجلدات. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٣١٩)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧)، وشذرات الذهب (٤/ ٥٥- ٥٦)، وطبقات الحفاظ (ص ٣٣١).

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني النيسابوري الحافظ الواعظ المفسر، كان من أئمة الأثر، شديدًا على المبتدعة، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة، وله كتاب «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» مشهور متداول. انظر: تاريخ دمشق (٩/ ٣)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٠)، والبداية والنهاية (١٢/ ٩٥)، والوافي بالوفيات (٩/ ٨٦)، وشذرات الذهب (٥/ ٢١٢- ٢١٤).

(٢) هو الإمام الحافظ الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي ابن جعفر بن منصور بن مت الأنصاري الهروي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، كان إمام الزمان في فنون الفضائل وأنواع المحاسن، صنف كتاب «الفاروق في الصفات»، وكتاب «ذم الكلام»، وكتاب «الأربعين حديثًا»، وله في التصوف كتاب «منازل السائرين»، وقصيدة في مذهبه، ومناقب أحمد بن حنبل، كان مولده سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. انظر: الوافي بالوفيات (١٧/ ٣٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٣)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٦٦)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٤٩).

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف المليحة، منها: «التمهيد»، و«الاستذكار» و«الاستيعاب»، و«جامع بيان العلم وفضله»، وغير ذلك، ولد يوم الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاث مائة، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربع مائة يوم الجمعة آخر يوم شهر ربيع الآخر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣)، والوافي بالوفيات (٢٩/ ٩٩)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٢٧)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٦٦- ٢٦٩).

ومن متأخريهم: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة[(١)]، وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم- رحمهم الله تعالى-، فلله الحمد والمنة- على بقاء السنة، وأهلها مع تفرق الأهواء، وتشعب الآراء، والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كالإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في رده المشهور)**، الإمام أحمد له كتاب مشهور مطبوع الآن وموزع: «الرد على الجهمية».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكتاب «السنة» لابنه عبد الله)**، كتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد -أيضًا- مطبوع وموجود.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وخلق كثير من أصحاب الأئمة الأربعة، وأتباعهم، وأهل الحديث)**، كل هؤلاء كتبهم موجودة، يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات. فدل هذا على أنه لا يلزم من إثبات الأسماء والصفات تشبيه الله بخلقه كما يقولون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن متأخريهم: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة)**، عبد الله بن قدامة الإمام المشهور عند الحنابلة الذي صنف كتاب «العمدة» في الفقه وغيره له كتاب في إثبات أسماء الله وصفاته.

---

(١) هو موفق الدين المقدسي أحد الأئمة الأعلام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي صاحب التصانيف، ولد سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، صنف «المغني» و«الكافي» و«المقنع» و«العمدة في الفقه»، وغيرها الكثير، قال الذهبي: (كان عالم أهل الشام في زمانه) اهـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥)، وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٠١)، والعبر (٣/ ١٨٠- ١٨١)، وشذرات الذهب (٧/ ١٥٥- ١٦٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلله الحمد والمنة على بقاء السنة، وأهلها مع تفرق الأهواء، وتشعـــب الآراء)**، الحمد لله، وجود هذه الكتب لأهل السنة تدمغ أهل الباطل وتدحضهم، وتبين باطلهم، وهي موجودة ومتوفرة ومطبوعة وموزعة.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِي قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»[(١)].

ش: «عَلِيٌّ»: هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب، وأحد الخلفاء الراشدين.

وسبب هذا القول -والله أعلم-: ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القصاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل، فربما استنكرها بعض الناس وردها، وقد يكون لبعضها أصل، أو معنى صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك، فأرشدهم أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف، ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال من الحرام الذي كلفوا به علمًا وعملًا، دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم إلى التكذيب، لا سيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِي قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»)**، هذه قاعدة: أنك لا تأت أناسًا يجهلون، ثم تحدثهم بما لا يفهمون فينكرونه، لا تحدثهم إلا بما يفهمون، علمهم أولًا ثم حدثهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧)، وفيه: «أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ».

أما أن تأتيهم وهم جهال، وتحدثهم بما لا يعرفون فسينكرونه، فتكون أنت السبب. فلا تحدث عند العوام وعند الناس الذين لم يتعلموا بأشياء لا يفهمونها وهي حق فينكرونها؛ لأنهم لم يدرسوها ولم يفهموها، لا تحدث إلا من يفهم ويعلم ما تقول؛ كل مقام له مقال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«عَلِيٌّ»: هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب**)، هذا قول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»، هذه كلمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأحد الخلفاء الراشدين**)، رابع الخلفاء الراشدين المهديين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وسبب هذا القول -والله أعلم- ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القصاص وأهل الوعظ**)، هو يعني أهل الوعظ والقصاص؛ ينهاهم أن يحدثوا الناس بشيء لا يعرفونه؛ فينكرونه وهو حق، فينهاهم عن ذلك، «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وسبب هذا القول -والله أعلم-: ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القصاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل، فربما استنكرها بعض الناس وردها، وقد يكون لبعضها أصل، أو معنى صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك**)، يقول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا بحَدِيثٍ لَا تَبْلُغُهُ

عُقُولُهُمْ؛ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[١]؛ فتنة تصرفه عن الحق، وينكر الحق؛ لأنه جاهل لا يدري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأرشدهم أمير المؤمنين** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف، ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال من الحرام الذي كلفوا به علمًا وعملًا، دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم إلى التكذيب، لا سيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم)**، واليوم جاءت هذه المواقع وما يوجد فيها من غث وسمين ومن حق وباطل، فأربكت كثيرًا من الناس، وسببها أنهم أسمعوهم أشياء ما كانوا يفهمونها فأنكروها، لو علموهم قبل ذلك وبينوا لهم، ما كان شيء من ذلك.

ش: وقد كان شيخنا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لا يحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي: كـ«المنعش»، و«المرعش»، و«التبصرة»؛ لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به أعلم مما لا ينبغي اعتقاده. والمعصوم من عصمه الله.

وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ينهى القصاص عن القصص؛ لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك، ويقول: «لَا يَقُصُّ إِلَّا أَمِيرٌ أَوْ مَأْمُورٌ»(١).

وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم علمًا وعملًا ونية وقصدًا، وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه من البدع ووسائلها، والله الموفق للصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد كان شيخنا المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، كان شيخنا: الذي هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ صاحب «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد».

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٩/ ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٨، ٤٣١)، وأبو داود (٣٦٦٥)، والبزار في مسنده (٧/ ١٩٢)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٥٥، ٦١، ٦٢، ٦٥، ٧٦، ٧٨) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد كان شيخنا المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، شيخنا المصنف؛ لأن عبد الرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشيخ عبد الرحمن ابن حسن أدرك جده، وأخذ عنه؛ لذلك يقول: (شيخنا).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وينهاهم عن القراءة في مثل كتب ابن الجوزي: كـ«المنعش»، و«المرعش»)**، يعني: كتب الوعظ، ابن الجوزي له كتب وعظ يأتي فيها بأشياء قد ينكرها بعض الناس؛ لأنهم لا يعرفونها: «المنعش»، و«المدهش»، فلابد أن يحدث الناس بما يعرفونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **ينهى القصاص عن القصص)**، القصاص: الوعاظ، فكان معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الخليفة ينهى عن القصص على الناس بالأشياء الغريبة والتي لا يفهمونها، فيأمر بألا يحدث الناس إلا بما يفهمونه.

وَرَوَى عَبْدُ الرزاقِ عَنْ مَعْمَر عَنْ ابنِ طَاوسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّه رَأَى رَجُلًا انتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ؛ استِنْكَارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُ هؤلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِندَ مُحْكَمِه، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟». انْتَهَى(١).

ش: قوله: «وَرَوَى عَبْدُ الرزاقِ»: هو ابن همام الصنعاني المحدث محدث اليمن صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري. وهو شيخ عبد الرزاق يروي عنه كثيرًا(٢).

ومَعْمَر -بفتح الميمين وسكون العين- أبو عروة بن أبي عمرو راشد الأزدي الحراني ثم اليماني: أحد الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري يروي عنه كثيرًا(٣).

قوله: «عَنْ ابنِ طَاُوسٍ»: هو عبد الله بن طاوس اليماني.

قال مَعْمَر: كان من أعلم الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة(٤).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٣٩) وفي مصنفه (١١/ ٤٢٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٢).

(٢) انظر في ترجمة عبد الرزاق رَحِمَهُ اللَّهُ: تاريخ دمشق (٣٦/ ١٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣)، وإكمال تهذيب الكمال (٨/ ٢٦٦)، وميزان الاعتدال (٢/ ٦٠٩).

(٣) انظر في ترجمة معمر رَحِمَهُ اللَّهُ: تاريخ دمشق (٥٩/ ٣٩٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٥)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٣٠٠)، وميزان الاعتدال (٤/ ١٥٤).

(٤) انظر في ترجمة عبد الله بن طاوس رَحِمَهُ اللَّهُ: مشاهير علماء الأمصار (ص٣٠٤)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٦٧٩)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٤١٢)، والوافي بالوفيات (١٧/ ١١٨).

قوله: «عن أبيه»: هو طاوس بن كيسان الجندي -بفتح الجيم والنون- الإمام العلم، قيل: اسمه ذكوان، قاله ابن الجوزي[(١) (٢)].

قلت: وهو من أئمة التفسير ومن أوعية العلم.

قال في تهذيب الكمال: عن الوليد الموقري عن الزهري قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قال: قلت: من مكة.

قال: فمن خلفت يسودها وأهلها؟

قلت: عطاء بن أبي رباح، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قلت: فبم سادهم؟ قال: قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا.

قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس بن كيسان، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء، قال: إنه لينبغي ذلك.

قال: فمن يسود مصر؟ قلت يزيد بن حبيب، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت من الموالي، عبدٌ نوبي أعتقته امرأة من هذيل.

---

(١) انظر: كشف النقاب عن الأسماء والألقاب لابن الجوزي بتحقيق الصاعدي (ص٣٠٩).

(٢) انظر في ترجمة طاوس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مشاهير علماء الأمصار (ص١٩٨)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٦٥)، وإكمال تهذيب الكمال (٧/ ٥٢)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٢٣٦).

قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران.

قال: فمن العرب أم من الموالي، قال: قلت: من الموالي.

قال فمن يسود أهل خراسان؟ قال: قلت: الضحاك بن مزاحم، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي.

قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت: الحسن البصري، قال فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي.

قال: ويلك، ومن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي، قال:

فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من العرب.

قال: ويلك يا زهري فرجت عني، والله لتسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو دين: من حفظه ساد، ومن ضيعه سقط[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ ابن عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «أَنَّه رَأَى رَجُلًا انتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي الصِّفَاتِ استِنْكارًا لِذَلِكَ، فَقَالَ: مَا فَرَقُوا هؤلاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِندَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟)، هذا الأثر فيه أن هناك جماعات من أهل الضلال ينكرون أسماء الله وصفاته، ويزعمون أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ واحد.

(١) أورده الحافظ المزي بصيغة التمريض في تهذيب الكمال (٢٠/ ٨١- ٨٢)، وأخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص١٩٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠/ ٣٩٣).

نعم، هو واحد- سبحانه-، لكن يزعمون أنه إذا قيل: السميع البصير، الرؤوف الرحيم، ونحو ذلك، أن هذا من الشرك؛ فهم ينفون الصفات؛ يرون أن هذا هو التوحيد، وأن إثبات الأسماء والصفات شرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ويرون أن الله جَلَّوَعَلَا ذات مجردة، ليس له أسماء ولا صفات -بزعمهم-، وهذا ضلال وكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

ولكن زين لهم شياطين الإنس والجن هذا المذهب الخبيث، وإلا فإن أسماء الله وصفاته من صفات الكمال ونعوت الجلال، وكلما كثرت أسماء الشيء، دلت على عظمته، فهذا من جهلهم، ولذلك أنكروا الأسماء والصفات وجحدوها، وظنوا أن هذا هو التوحيد.

والواقع أن هذا ليس إيمانًا بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، حتى تؤمن بالله وبأسمائه وصفاته، وهذه الأسماء والصفات الكثيرة العظيمة تدل على عظمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولكن أهل الضلال زين لهم شياطين الإنس والجن هذا المذهب، وهو أن الله جَلَّوَعَلَا ليس له أسماء ولا صفات؛ لأن ذلك يقتضي الشرك عندهم، وهذه مخالفة للعقول، ومخالفة للكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَرَوَى عَبْدُ الرزاقِ»: هو ابن همام الصنعاني المحدث)**، ، عبد الرزاق الصنعاني، مشهور من أئمة أهل اليمن، الصنعاني يعني: له صنعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَرَوَى عَبْدُ الرزاقِ»: هو ابن همام الصنعاني المحدث)**، وكذلك: همام بن منبه من علماء اليمن الكبار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قلت: يا أمير المؤمنين، إنما هو دين: من حفظه ساد ومن ضيعه سقط**)، هذه النتيجة، أن السبب في ظهور هؤلاء مع أنهم ليسوا من العرب أنهم سادوا بالعلم والعمل، وهذا العلم من أخذ به ساد، ومن تركه ضاع.

....

ش: قوله: «عَنْ ابن عَبَّاسٍ»: قد تقدم، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، ودعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»(١).

وروى عنه أصحابه أئمة التفسير: كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء ابن أبي رباح، وطاوس وغيرهم.

قوله: «مَا فَرَقُوا هؤلاءِ؟»: يستفهم من أصحابه، يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن ومعناه، حصل معهم فَرَق -أي: خوف-، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات، انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: حدث وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرب على الكرسي»، فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع. وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث، ولا ينكرونها. أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب الرد على الجهمية(٢). وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول ترك ما وجب من الإيمان به، فتُشبه حالهم حال من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٥، ٥/ ٦٥)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٨٣)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٦٣).

(٢) الحديث أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ٣٠٢) موقوفًا على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأثر وكيع أورده الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص١٥٨)، وفي العرش (٢/ ١٥٥، ٢٥٣).

بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥]، فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الإيمان بكتاب الله كله واليقين؛ كما قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]. فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن، وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن. وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى الذي أراد الله، فيحمله على غير معناه؛ كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية، ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته، وقد وقع منهم الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم، فإن الواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس.

وسبب هذه البدع: جهل أهلها وقصورهم في الفهم، وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها، وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد، والتوفيق بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضًا، ورد المتشابه إلى المحكم، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «عَنْ ابن عَبَّاسٍ»: قد تقدم، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، ودعا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ،

وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»)، هذه الدعوات النبوية نفع الله بها هذا الرجل الذي هو ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فساد الناس بالعلم والعمل -مع صغر سنه-، وهذا العلم الشرعي من أخذه وعمل به، ساد، ولو كان ليس عربيًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، ودعا له النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»)**، يعني: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «مَا فَرَقُوا هؤلاءِ؟»: يستفهم من أصحابه، يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن ومعناه حصل معهم فَرَق أي: خوف، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين)**، هذا الذي يجدونه عند ذكر أسماء الله وصفاته من الاستنكار هو بسبب الجهل، وأنهم لم يتلقوا العلم عن أهل العلم الموثوقين، وهذه نتيجة التتلمذ على علماء الضلال؛ أنه يسري في طلابهم. فيجب التتلمذ على أهل العلم المعروفين به الثابتين عليه؛ كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»[(١)].

فيجب على طالب العلم أن يختار العلماء الراسخين، ولو أنه يسافر إليهم؛ ليأخذ عنهم العلم، ولا يتتلمذ على العباد والزهاد الذين ليس عندهم علم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال الذهبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: **حدث وكيع عن إسرائيل بحديث: «إذا جلس الرب على الكرسي» فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع.**

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٤) عن محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها)، مع أن الله يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، يعني: علا وارتفع، والاستواء على العرش صفة من صفات الأفعال، يفعلها الله إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلا هو في العلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق مخلوقاته، وأحيانًا يستوي على العرش، يعني: يرتفع على العرش -والعرش: هو سقف المخلوقات(١)، وهو أعظم المخلوقات-(٢)، يستوي على العرش استواءً يليق بجلاله، ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، وإنما هو استواء يليق بجلال الله، نؤمن به ونثبته، ولا نحرفه عن معناه؛ لأن بعضهم يفسر

---

(١) كما في حديث الأطيط الذي أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٢٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٣٣٠)، والآجُرِّيُّ في الشريعة (٣/ ١٠٩٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٣٧) من حديث جُبَيْر بن مُطْعِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟!** وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟! إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا.** وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ**».

قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]: استولى على العرش[١]، وهذا كلام باطل، ليس في الكتاب ولا في السنة هذا التفسير.

هو مستولٍ على العرش وعلى غيره من مخلوقاته، لا ميزة للعرش في ذلك على غيره من المخلوقات، إذا كان القصد أنه استولى، فهو مستولٍ على كل شيء، ليس على العرش فقط. أما ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، فهو في سبعة مواضع من كتابه، كلها بلفظ: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، إلا لفظًا واحدًا: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩][٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول ترك ما وجب من الإيمان به، فتُشبه حالهم حال من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾** [البقرة:٨٥])، هذه آفة خطيرة؛ الذي يؤمن ببعض الآيات، ويؤمن ببعض الأسماء والصفات، وينكر البعض الآخر مع ثبوته لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا بسبب الجهل، وبسبب أخذ العلم عن أهل الضلال والمنحرفين.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤)؛ حيث ذكر اثني عشر وجهًا في إبطاله، وانظر أيضًا فيه (١٦/ ٣٩٥) وما بعدها. وقال ابن القيم في النونية (١/ ٣٩٦):

هَـذَا وَمِـنْ عِشْرِينَ وَجْـهًـا يَبْطُلُ ... التَّفْسِيرُ بِاسْتَوْلَى لِذِي الْعِرْفَانِ
قَـدْ أُفْـرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَـامِ هَـ ... ـذَا الشَّأْنِ بَحْرِ الْعَالَمِ الحَرَّانِي

وفي «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (ص٣٧١): رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من اثنين وأربعين وجهًا.

(٢) ورد ذكر الاستواء في سبعة مواضع: سورة الأعراف آية (٥٤)، وسورة يونس آية (٣)، وسورة الرعد آية (٢)، وسورة طه آية (٥)، وسورة الفرقان آية (٥٩)، وسورة السجدة آية (٤)، وسورة الحديد آية (٤). وانظر: نونية ابن القيم مع شرحها لابن عيسى (١/ ٥١٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك)؛ بأخذ العلم عن أهله المعروفين به، ومن الكتب الموثوقة -كتب أهل السنة والجماعة-، ويحذر كل الحذر من الكتب المنحرفة -كتب أهل الضلال-؛ لأنها تضله وتهلكه، فلابد من أمرين:

أولًا: أخذ العلم عن أهله المعروفين به.

وثانيًا: أخذ العلم عن الكتب الموثوقة المبنية على الكتاب والسنة ومذهب أهل السنة والجماعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الإيمان بكتاب الله كله واليقين؛ كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آل عمران:٧])، ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾، يعني: القرآن؛ ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾، والمُحْكَم: هو الذي يظهر تفسيره منه. ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾، والمتشابه: هو الذي لا يظهر تفسيره منه، حتى يرد إلى المحكم، فالمتشابه يرد على المحكم، فيتبين معناه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى الذي أراد الله فيحمله على غير معناه، كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية، ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته)، فلابد من أخذ العلم عن

العلماء الراسخين المعروفين بالعقيدة السليمة وبالعلم الصحيح، والابتعاد عن المتعالمين، وعن أهل الضلال، وعن كتبهم المملوءة من التحريف والتزييف.

الحمد لله الطريق واضح؛ عندنا كتاب الله: القرآن، وعندنا سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه؛ فلا طريق إلا هذا الطريق: الأخذ بالكتاب والسنة، وترك ما خالف الكتاب والسنة من عقائد أهل الضلال، وهي كثيرة، وهي مروجة -أيضًا-، فلابد أن الإنسان يتعلم العقيدة الصحيحة من أهلها المعروفين بها، ولابد أن يعتمد على الكتاب والسنة والكتب المبنية على الكتاب والسنة، هذا هو الطريق الصحيح.

واليوم ظهرت المواقع التي فيها التضليل والتحريف، وصار كلٌّ يتكلم في هذه المواقع ويُنشر، ويسمعه الناس في المشارق والمغارب، فعلينا أن نحذر منها، ولا ينجو من ذلك إلا من وفقه الله، وتعلم العقيدة على أهل العلم الموثوقين المعروفين به.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية ونحوهم)**، فإن هؤلاء ما ضلوا إلا بسبب أنهم أخذوا العلم عن غير أهله المعروفين به، أخذوه عن أهل الضلال فضلوا.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته)**، يحمل بعض آيات القرآن على مذهبه وعلى ما يراه، ويترك أخذ القرآن عن أهله، وأخذ التفسير عن ما ثبت من التفاسير الصحيحة، تفاسير أهل السنة والجماعة: كتفسير ابن جرير الطبري إمام المفسرين، وتفسير الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ وغير ذلك من التفاسير المعروفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه)**، الحمد لله الذي تكفل بحفظ دينه، وحفظ كتابه وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليرجع إليهما من يريد الحق، وحفظ لنا مذهب أهل السنة والجماعة؛ لنرجع إليه، ولنحذر مما سوى ذلك من كتب أهل الضلال وعلماء أهل الضلال؛ حتى نصل إلى الحق من الكتاب والسنة، وعن أهل السنة والجماعة والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، هذا هو الطريق الصحيح؛ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فصراط الله واحد، ﴿صِرَٰطِي﴾: صراط واحد، وأما ما خالف هذا القرآن، فإنه سبل، وقد ضرب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثلًا بذلك، فخط خطًا معتدلًا على الأرض، وخط على جوانبه خطوطًا، وقال للخط المعتدل: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، وقال للخطوط للتي على جنباته من هنا وهنا، قال: «**وَهَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»[(١)]، فلنحذر من هذه السبل المتفرقة؛ ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، هذه وصية الله لنا.

---

(١) أخرجه أحمد (٧/ ٢٠٧، ٤٣٦)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٩٥)، والدارمي في سننه (١/ ٢٨٥)، وابن وضاح في البدع (١/ ٦٧)، والبزار في مسنده (٥/ ٩٩، ١١٣، ١٣١، ٢٥١)، والمروزي في السنة (١/ ٩، ١٠)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٨٠، ١٨١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦١، ٣٤٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: ذكر ما ورد عن علماء السلف في المتشابه:

قال في الدر المنثور: أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زَجْرٌ وَأَمْرٌ، وَحَلَالٌ، وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ، وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»[(١)].

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قال في الدر المنثور)**، كتاب «الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور»: هذا للسيوطي، كتاب مطبوع ومتداول، وهو كتاب جيد.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(وَمُحْكَمٌ، وَمُتَشَابِهٌ)**، المحكم: هو الذي يظهر معناه من لفظه. والمتشابه: هو الذي لا يظهر معناه من لفظه، ولكن يرد إلى المحكم، المتشابه يرد على المحكم فيتبين معناه[(٢)]، هذا طريق العلم الصحيح: أن المتشابه يرد إلى المحكم، فيفسره ويبينه، ويتضح الحق؛ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، والأمُّ: هو الذي يرجع إليه الشيء.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٧٣٩، ٢/ ٣١٧)، وابن حبان (٣/ ٢٠)، وكذا أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٦٢). وانظر: الدر المنثور (٢/ ١٤٩).

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي (١/ ٢٢٢)، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث (٢/ ١٧٣).

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]: لا يظهر معناها منها، وإنما يظهر معناها بردها إلى المحكم الذي يفسرها ويبينها، ولكن هذا يحتاج إلى أخذ العلم عن أهل العلم الموثوقين به.

....

ش: قال: وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ [آل عمران:٧] الآية. قال: «طَلَبَ الْقَوْمُ التَّأْوِيلَ، فَأَخْطَؤُوا التَّأْوِيلَ، وَأَصَابُوا الْفِتْنَةَ، وَطَلَبُوا مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَهَلَكُوا بَيْنَ ذَلِكَ»[١].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]. قال: منهن: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ﴾ [آل عمران:٦١]، إلى ثلاث آيات. ومنهن: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، إلى آخر الآيات»[٢].

وأخرج ابن جرير من طريق أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس، عن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْمُحْكَمَاتُ: النَّاسِخَاتُ الَّتِي يُعْمَلُ بِهِنَّ؛ وَالْمُتَشَابِهَاتُ: الْمَنْسُوخَاتُ»[٣].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن إسحق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا هذه الآية ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، فقال أبو فاختة: «هُنَّ فَوَاتِحُ السُّوَرِ مِنْهَا يُسْتَخْرَجُ الْقُرْآنُ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٢٠٧)، وأخرجه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٢/ ١٥٤).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٢)، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٢/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٢).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٤).

ٱلْكِتَٰبُ﴾ [البقرة:١، ٢]. منْهَا اسْتُخْرِجَتِ البقرة، و﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١، ٢] مِنْهَا اسْتُخْرِجَتِ آل عمران)[1].

وقال يحيى: «هُنَّ اللَّاتِي فِيهِنَّ الْفَرَائِضُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَالحُدُودُ وَعِمَادُ الدِّينِ»[2].

وأخرج ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: «﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ حُجَّةُ الرَّبِّ وَعِصْمَةُ الْعِبَادِ، وَدَفْعُ الخُصُومِ وَالْبَاطِلِ، لَيْسَ فِيهَا تَصْرِيفٌ وَلَا تَحْرِيفٌ عَمَّا وُضِعَتْ عَلَيْهِ. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ فِي الصِّدْقِ، لَهُنَّ تَصْرِيفٌ وَتَحْرِيفٌ وَتَأْوِيلٌ، ابْتَلَى اللهُ فِيهِنَّ الْعِبَادَ، كَمَا ابْتَلَاهُمْ فِي الحَلَالِ وَالحَرَامِ، لَا يُصْرَفْنَ إِلَى الْبَاطِلِ وَلَا يُحَرَّفْنَ عَنِ الحَقِّ»[3].

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان، قال: إنما قال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]؛ لأنه ليس من أهل دين لا يرضى بهن: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]: يعني فيما بلغنا (ألم)، و (المص)، و (المر)[4].

قلت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشعر بأن أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه، وما قال النفاة من أنها من المتشابه دعوى بلا برهان.

---

(١) أخرجه الطبري (٥/ ٢٠٢)، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٢/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٣).

(٢) أخرجه الطبري (٥/ ٢٠١)، وعبد بن حميد كما في الدر المنثور (٢/ ١٤٥).

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٩٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٩٣- ٥٩٤)، وانظر: الدر المنثور (٢/ ١٤٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾** [آل عمران:٧] **الآية. قال: «طَلَبَ الْقَوْمُ التَّأْوِيلَ فَأَخْطَؤُوا التَّأْوِيلَ، وَأَصَابُوا الْفِتْنَةَ، وَطَلَبُوا مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَهَلَكُوا بَيْنَ ذَلِكَ)**، الذي يعتمد على المتشابه ويترك المحكم هذه عاقبته؛ أنه يضل ويضيع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال يحيى: «هُنَّ اللَّاتِي فِيهِنَّ الْفَرَائِضُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ، وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَالْحُدُودُ وَعِمَادُ الدِّينِ»)**، هذه المحكمات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾** [آل عمران:٧]**: يعني فيما بلغنا ﴿الٓمٓ﴾، و﴿الٓمٓصٓ﴾، و ﴿الٓمٓر﴾)**؛ الحروف المقطعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشعر بأن أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه، وما قال النفاة من أنها من المتشابه دعوى بلا برهان)**، فأسماء الله وصفاته من المحكم وليس من المتشابه.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الرَّحْمنَ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠][(١)].

ش: روى ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عن قتادة: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠]: **ذُكِرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ زَمَنَ الحُدَيْبِيَةِ حِينَ صَالَحَ قُرَيْشًا كَتَبَ: «هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ». فَقَالَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ: لَئِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللهِ ثُمَّ قَاتَلْنَاكَ لَقَدْ ظَلَمْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: دَعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ نُقَاتِلْهُمْ فَقَالَ: «لَا، وَلَكِنِ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ، إِنِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ». فَلَمَّا كَتَبَ الْكَاتِبُ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» قَالَتْ قُرَيْشٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَلَا نَعْرِفُهُ، وَكَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَكْتُبُونَ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنَا نُقَاتِلْهُمْ، قَالَ: «لَا، وَلَكِنِ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ»[(٢)].**

وروى -أيضًا- عن مجاهد قال: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ [الرعد:٣٠]. قال: **«هَذَا مَا كَاتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا فِي الحُدَيْبِيَة، كَتَبَ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». قَالُوا: لَا تَكْتُبِ الرَّحْمَنَ، وَمَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنُ، وَلَا نَكْتُبُ إِلَّا بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، قَالَ اللهُ** تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الرعد:٣٠] الآية[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣٠- ٥٣١).

(٢) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٣/ ٥٣١).

وروى أيضًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو سَاجِدًا: يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ. فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: هَذَا يَزْعُمُ أَنَّهُ يَدْعُو وَاحِدًا وَهُوَ يَدْعُو مَثْنَى مَثْنَى». فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠] الآية(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠])، كانوا يستمعون لقراءة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة قبل الهجرة، يأتون في الليل ويستمعون، فالرسول يصلي ويقرأ فيستمعون له وهم كفار، يستمعون له ويعجبون بذلك، فلما قرأ: (الرَّحْمَنَ)، قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة -يعنون مسيلمة الكذاب؛ لأنه تسمى بالرحمن-، فأنزل الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠](٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: «لَا، وَلَكِنِ اكْتُبُوا كَمَا يُرِيدُونَ»)، لأجل تألفهم وإمهالهم حتى يتضح لهم الحق.

---

(١) أخرجه الطبري (١٥/ ١٢٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٨).

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: عَدَمُ الإِيْمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الرَّعْدِ.

الثَّالِثَةُ: تَرْكُ التَّحْدِيْثِ بِمَا لا يَفْهَمُ السَّامِعُ.

الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ العِلَّةِ: أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَكْذِيْبِ اللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ المُنْكِرُ.

الخَامِسَةُ: كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنْ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذلِكَ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: عَدَمُ الْإِيمَانِ بِجَحْدِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ**)، فمن جحد شيئًا من الأسماء والصفات، لم يكن مؤمنًا حتى يؤمن ويقر بجميع الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ الرَّعْدِ**)، وهي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠]، يعني: يجحدون هذا الاسم من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: تَرْكُ التَّحْدِيْثِ بِمَا لَا يَفْهَمُ السَّامِعُ**)، أنت إذا حدثت أحدًا، أو علمت أحدًا، علمه بما يفهم، ولا تعلمه بشيء لا يفهمه، ولكن انتظر به حتى يفهم ذلك الشيء؛ لئلا يكون هذا سببًا في ضلاله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: ذِكْرُ العِلَّةِ: أَنَّهُ يُفْضِي إِلَى تَكْذِيْبِ اللهِ وَرَسُوْلِهِ، وَلَوْ لَمْ يَتَعَمَّدِ الْمُنْكِرُ**)، فالواجب على المسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وإن لم تفهمها آمِنْ بها، ثم اطلب معناها الذي

أشكل عليك، حتى يتبين لك، فلا تبادر بالإنكار بسبب أنك لا تفهم الشيء هذا، ستفهمه إذا راجعت أهل العلم وسألتهم عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ لِمَنْ اسْتَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ أَهْلَكَهُ**)، «يَجِدُوْنَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ وَيَهْلِكُوْنَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ؟!».

٤٠- بَـابُ

قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣].

قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: (هُوَ قَوْلُ الرَّجُل: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي)[١].

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: (يَقُوْلُوْنَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا)[٢].

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: (يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا)[٣].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣])، ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما ذكر بعض العلماء في معناها.

وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي المَعْنِيِّ بِالنِّعْمَةِ. فَذَكَرَ عَنْ سُفْيَان، عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣] قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ مَا عَدَّدَ اللهُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ النِّعَمِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ وَرِثُوهُ عَنْ آبَائِهِمْ[٤].

وأخرج عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣]، قَالَ: (هِيَ الْمَسَاكِنُ وَالْأَنْعَامُ وَمَا يُرْزَقُونَ مِنْهَا، وَالسَّرَابِيلُ مِنَ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٢٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٦)، وزاد المسير (٤/ ٤٧٩)، وشفاء العليل (ص٣٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٢٥).

الحَدِيدِ وَالثِّيَابِ، تَعْرِفُ هَذَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، ثُمَّ تُنْكِرُهُ بِأَنْ تَقُولَ: هَذَا كَانَ لِآبَائِنَا، فَوَرَّثُونَا إِيَّاهُ[(١)].

وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَنْ رَزَقَكُمْ؟ أَقَرُّوا بِأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي رَزَقَهُمْ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: رُزِقْنَا ذَلِكَ بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي)؛ ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣]، يقول: هذا مالي. لا يقول: من الله. يقول: ورثته عن آبائي. فهو اعترف أنه ماله، وأنكر أنه من الله؛ ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ مُجَاهِدٌ -مَا مَعْنَاهُ-: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثْتُهُ عَنْ آبَائِي»)، ولم يقل: هذا مالي، وهو من الله، الله رزقني إياه. وإنما يعتمد على أنه ميراث عن آبائه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فُلَانٌ لَمْ يَكُنْ كَذَا»)، فيسندون الشيء إلى المخلوق: «لولا فلان ما صار كذا»، الواجب أن يقولوا: «لولا الله ثم فلان».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا»)، هذه الأموال وهذه الأرزاق ليست من الله -بزعمهم-، وإنما هي بشفاعة أصنامهم ومعبوداتهم، فلا ينسبون النعمة إلى الله، بل ينسبونها إلى غيره.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٢٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٢٥-٣٢٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي المَعْنِيِّ بِالنِّعْمَةِ)، ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾، قَالَ: مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، يعرفون أنه على حق، لكن لا يتبعونه، ينكرونه؛ ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ مَا عَدَّدَ اللهُ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنَ النِّعَمِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ)، في هذه السورة؛ سورة النحل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ وَرِثُوهُ عَنْ آبَائِهِمْ)، ولا ينسبونه إلى الله، وإنما يقولون: هذا ميراثنا عن آبائنا، إذًا آباؤكم من أين جاءهم هذا؟ أليس من الله؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تَعرِفُ هَذَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، ثُمَّ تُنْكِرُهُ بِأَنْ تَقُولَ: هَذَا كَانَ لِآبَائِنَا، فَوَرَّثُونَا إِيَّاهُ)، ويجحدون أنه من الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: مَنْ رَزَقَكُمْ؟ أَقَرُّوا بِأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي رَزَقَهُمْ، ثُمَّ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: رُزِقْنَا ذَلِكَ بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا)، يقرون أنه من الله، ثم يقولون: هذا بشفاعة آلهتنا، يعني: الأصنام.

....

ش: وذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثل هذا عن ابن قتيبة، وهو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، قاضي مصر النحوي اللغوي، صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة، اشتغل ببغداد، وسمع الحديث عن إسحاق بن راهويه وطبقته. توفي سنة ست وسبعين ومائتين(١).

وقال آخرون: ما ذكره المصنف عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله الكوفي الزاهد؛ عن أبيه وعائشة وابن عباس، وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري، وثقه أحمد وابن معين. قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة(٢).

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣]، قَالَ: «إِنْكَارُهُمْ إِيَّاهَا، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: لَوْلَا فُلَانٌ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْلَا فُلَانٌ مَا أَصَبْتُ كَذَا وَكَذَا»(٣).

واختار ابن جرير القول الأول(٤)، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها. وهو الصواب، والله أعلم(٥).

---

(١) انظر في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تاريخ بغداد (١٠/ ١٦٨)، وإنباه الرواة على أنباه النحاة (٢/ ١٤٣)، وتاريخ الإسلام (٦/ ٥٦٥)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٣٧).

(٢) انظر في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تاريخ دمشق (٤٧/ ٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٣)، وجامع التحصيل (ص٢٤٩)، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (ص ٢٩٨)، والأعلام للزركلي (٥/ ٩٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/ ٣٢٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣، ٣٤).

قوله: (قَالَ مُجَاهِدٌ): هو شيخ التفسير: الإمام الرباني، مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم.

قال الفضل بن ميمون: (سمعت مجاهدًا يقول: عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ، وَأَسْأَلُهُ: فيم نزلت؟ وكيف نزلت؟ وكيف معناها؟)(١)، توفي سنة اثنتين ومائة. وله ثلاث وثمانون سنة(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قَالَ: «إِنْكَارُهُمْ إِيَّاهَا، أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: لَوْلَا فُلَانٌ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَوْلَا فُلَانٌ مَا أَصَبْتُ كَذَا وَكَذَا»)، ولا يقول: من الله، وإنما يقول: لولا فلان؛ ينسب هذا إلى فلان، إلى المخلوق، فينسب نعمة الله إلى المخلوق، ولا ينسبها إلى الله الذي أنعم بها.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٤)، والخلال في السنة (١/ ٢٢٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩، ٢٨٠)، من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.
وأخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٨٥، ٣/ ٧٥٥)، والدارمي في سننه (١/ ٧٢٥)، والطبراني في الكبير (١١/ ٧٧) من طريق محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح عن مجاهد به.

(٢) انظر في ترجمته رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تاريخ الإسلام (٣/ ١٤٨)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٧٦)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٨).

وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الَّذِيْ فِيْهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...» الحديث[(١)]: وَقَدْ تَقَدَّمَ؛ وَهَذَا كَثِيْرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيْفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالمَلَّاحُ حَاذِقًا». وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ[(٢)].

ش: وقوله: (وَقَالَ أَبُو العَبَّاس)، هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية الإمام الجليل.

قوله: (بَعْدَ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ)، قد تقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء.

قال: (وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ. قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالمَلَّاحُ حَاذِقًا». وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ). اهـ.

وكلام شيخ الإسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام في من نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها، وأسند أسبابها إلى غيره، كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٤٦، ١٠٣٨، ٤١٤٧، ٧٥٠٣)، ومسلم (٧١).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٣٣).

قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ أَبُو العَبَّاسِ -بَعْدَ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِيْ فِيْهِ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...». الحَدِيْثَ: وَقَدْ تَقَدَّمَ؛ وَهَذَا كَثِيْرٌ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيْفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُ بِهِ)، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل:٥٣]، فجميع النعم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ينعم بها على عباده؛ رحمة منه بهم وإحسانًا إليهم. فالذي ينسب شيئًا من النعم إلى غير الله هذا كفرٌ بهذه النعمة؛ لأنه نسبها إلى غير من جاء بها، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالواجب نسبة النعم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المنعم على عباده. وأما كون بعض الناس سببًا في بعض النعم، فهذا لا يجيز أن ننسب النعمة إليه، وإنما ننسبها إلى المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونثني على من تسبب بها، نثني عليه، وندعو له؛ لأنه محسن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: «وَقَالَ أَبُو العَبَّاس»، هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الإمام الجليل)، هو يكنى بأبي العباس، وهو ليس له ولد، ولم يتزوج رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن هذا من باب التوقير له، فلا بأس أن يكنى الإنسان بولد، وهو ليس له ولد، وإنما هو باب التوقير له.

قوله: (بَعْدَ حَدِيْثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ. قد تقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء)، وهو حديث: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ»، يعني: لما

جاءوا لأداء العمرة مع الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، نزل عليهم المطر وهم في الحديبية، والحديبية طرف التنعيم قريبة من مكة.

صلى بهم رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صلاة الفجر، فلما سلم، وأتوا بالأذكار، قال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: قال: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**»، كيف؟ «**فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ**»؛ لأنهم كانوا ينسبون المطر إلى النجوم؛ مطلع النجوم أو غروب النجوم.

«**وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**»، يعني: بنجم كذا وكذا. «**فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي**»، يعني: كفر النعمة، «**فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»، فهذا يدل على أن النعم تنسب إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا تنسب إلى الأسباب التي بواسطتها حصلت النعمة، فالأسباب خلقٌ لله عَزَّوَجَلَّ، لا تفعل شيئًا إلا بأمره -سبحانه- وتدبيره، فالأمر راجع إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**قال: وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضِيفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ**)، يعني: كثيرٌ أن الله يذم من نسب النعمة إلى غيره أو النعم إلى غيره.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**وَيُشْرِكُ بِهِ**)، يشرك به في ذلك، إذا نسب النعمة إلى المخلوق، قد جعله شريكًا لله، شريكًا لله في التدبير؛ توحيد الربوبية.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (**قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَّاحُ حَاذِقًا»**)، كقول بعضهم إذا كانوا في السفن في البحر وحصل لهم

راحة ومشي طيب، بعضهم لا ينسب هذا إلى الله، يقول: كانت الريح طيبة التي تُمشي السفينة، والملاح -وهو الذي يقودها- كان حاذقًا، وهذا كفرٌ بالنعمة.

ما هو كذا، لا هذا الملاح ولا الريح، التدبير بيد الله، وإنما هذه أسباب جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تأتي بهذه الأشياء بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالواجب نسبة النعم إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ولا بأس أن نثني على المتسبب وندعو له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالمَلَّاحُ حَاذِقًا»)**، فينسب النعمة إلى الريح، وإلى ملاح السفينة، وهذا كفرٌ بالنعمة، الواجب نسبة ذلك إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخنا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة)**، الشارح يقول: (قال شيخنا)، وهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لأن الشارح حفيد للشيخ ابن ابنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخنا** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلام إنكارًا للنعمة)**، اجتماع الضدين في القلب: الاعتراف بأن النعمة من الله، ثم نسبتها إلى غيره، وهذان متضادان، فالواجب أن تنسب النعمة إلى المنعم، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويثنى عليه بها، ويحمد عليها، وأما المخلوق الذي جرت على يديه وتسبب بها، فإنه يدعى له، ويعترف بمجهوده.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا.

الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ.

الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ هَذَا الكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ.

الرَّابِعَةُ: اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي القَلْبِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في الباب مسائل، وهذه عادته رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد أنه إذا فرغ من الباب، قال: (فِيْهِ مَسَائِلُ)، يعني: هذا الباب فيه مسائل، يعني: فوائد، فهو يستقصي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يسوق -أولًا- الآيات والأحاديث ويبين ما فيها، ثم إذا فرغ يستنبط من الباب وما ورد فيه من الآيات والأحاديث يستنبط منه مسائل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيرُ مَعْرِفَةِ النِّعْمَةِ وَإِنْكَارِهَا**)، ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣]، يعرفون أن النعمة من الله، ثم ينسبونها إلى غيره، هذا إنكارٌ للنعمة؛ لأنها نُسبت إلى غير الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: مَعْرِفَةُ أَنَّ هَذَا جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةٍ كَثِيْرٍ**)، الثانية: معرفة أن هذا الأمر -وهو نسبة النعمة إلى غير الله- جار على ألسنة كثير من الناس، فيجب التنبه لهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: تَسْمِيَةُ هَذَا الكَلَامِ إِنْكَارًا لِلنِّعْمَةِ**)، ينكرونها؛ ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣]، قالوا: «كانت الريح طيبة والملاح حاذقًا»، فهذا إنكار للنعمة، النعمة لله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو المنعم

بها، وأما الملاح، فإنما مجهوده في قيادة السفينة، ولا يقود السفينة إلا إذا جاء الله بالريح التي تدفعها، وإذا توقفت الريح، توقفت السفينة، وقد يبقون أيامًا في البحر واقفين إلى أن تأتي الريح، ومن الذي يأتي بالريح؟ يأتي بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالفضل راجع إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ فِي الْقَلْبِ)**، اجتماع الضدين في القلب، ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣]، هذان الضدان: معرفة النعمة أنها من الله، ثم إنكارها بنسبتها إلى غيره.

٤١- بَـابُ

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]). الند: المثل والنظير. وجعل الند لله: هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله، كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم.

وهذه الآية في سياق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢].

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أَيْ: عُدَلَاءَ شركَاءَ. وَهَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنسٍ، وَقَتَادَةُ، والسُّدي، وَأَبُو مَالِكٍ: وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ[١].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] «أَيْ: لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرَهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ الرَّسُولُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ»[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٢)، وابن كثير (١/ ١٩٥- ١٩٦).

وكذلك قال قتادة ومجاهد.

وعن قتادة ومجاهد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]. قَالَ: (أَكْفَاءَ مِنَ الرِّجَالِ تُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ)(١).

وقال ابن زيد: (الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه، وجعلوا لها مثل ما جعلوا له)(٢).

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]، قَالَ: أَشْبَاهًا)(٣).

وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]. (قَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ)(٤).

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢])، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعني: شركاء.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه لا شريك له في خلقه وأمره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (وجعل الند لله: هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله)، الند لله: أن يُجعل شيءٌ من النعم إلى غير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهذا فيه أنه

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٣)، والواحدي في البسيط (٢/ ٢٣٠)، عن ابن عباس وابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩١)، والواحدي في البسيط (٢/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٣٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٢)، وابن كثير (١/ ١٩٦).

جعل هذا الشيء ندًّا، أي: شريكًا لله عَزَّوَجَلَّ في تدبيره وخلقه وأمره، فالواجب أن تنسب النعم إلى الله، ولا مانع أن يثنى على من تسبب بها والدعاء له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهم**)، أهل الجاهلية من المشركين يقرون بتوحيد الربوبية، وأن الله هو المدبر لهذا الكون، وهو الخالق، وهو المحيي المميت، يعترفون بهذا، إنما ينكرون توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة.

فيجب على من عرف توحيد الربوبية أن يأتي بتوحد الألوهية؛ لأنه هو النتيجة من توحيد الربوبية، ليست النتيجة أنك تعترف بتوحيد الربوبية، وأن الله هو الخالق الرازق، هذا شيء أقر به المشركون، وإنما الواجب أن تقر بتوحيد الألوهية؛ لأن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذه الآية في سياق قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾** [البقرة:٢١])، هذه الآية هي أول نداء في المصحف، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾، في أول سورة البقرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾: نادى الله جميع الناس العرب والعجم، ناداهم: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا** ﴾: تفترشون، تجلسون عليها، تنامون عليها، تسيرون عليها، ﴿ **جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ** ﴾، أي: سقفًا، فالسماء سقف الأرض.

﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]: أنه لا شريك له في خلقه وتدبيره، وأنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢])، وأنتم تعلمون أنه لا ند له يعمل هذه الأشياء؛ أنه خلق السماء، أنه جعل الأرض فراشًا، أنه أنبت النبات، تعلمون أن هذا إنما هو لله عَزَّوَجَلَّ، فكيف تشركون معه من لا يقدر على شيء من هذه الأمور؟! ومن ثمّ قالوا: إن توحيد الربوبية دليل على توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال العماد ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره**)، العماد، هو ليس اسمه، اسمه إسماعيل بن كثير، وإنما هذا لقبٌ له؛ عماد الدين، كذا اختصرها المؤلف، فقال: العماد، وهو عماد الدين ابن كثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال العماد ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أَيْ: عُدَلَاءَ شرَكَاءَ**)، ﴿أَندَادًا﴾، أي: عُدَلَاءَ يعادلونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في التدبير والخلق والرزق والإحياء والإماتة، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه لا ند له ولا شريك له في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَتَادَةُ، والسُّدي، وَأَبُو مَالِكٍ: وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِد**)، من المفسرين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] «**أَيْ: لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ**)، وأنتم تعلمون أنه لا ند له في خلقه وأمره وتدبيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ الرَّسُولُ إِلَيْهِ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ)**، الرسول محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجميع المرسلين كلهم يدعون إلى توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة؛ ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك قال قتادة ومجاهد)**، قتادة بن دعامة السدوسي: إمام جليل في التفسير وغيره، وهو من تلاميذ ابن عباس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن قتادة ومجاهد** رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة:٢٢]. **قَالَ: أَكْفَاءَ مِنَ الرِّجَالِ)**، أَكْفَاءَ أو أَكْفِيَاء، يعني: مساوين له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن زيد: الأنداد: الآلهة التي جعلوها معه)**، مع الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعن ابن عباس** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة:٢٢]، **قَالَ: أَشْبَاهًا)**، المعنى واحد، ﴿ أَندَادًا ﴾: شركاء، ﴿ أَندَادًا ﴾: أشباهًا لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال مجاهد:** ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢]. **(قَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ)**، جميع الكتب التي جاءت بها الأنبياء كلها على هذا تبين أن الله جَلَّوَعَلَا هو الخالق الرازق المحيي المميت المستحق للعبادة دون سواه.

....

ش: وذكر حديثًا في معنى هذه الآية الكريمة، وهو ما في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الحارث الأشعري أن نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، وأنه كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بها. فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ. فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي. قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ، فَقَعَدَ عَلَى الشَّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ، أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ، وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا. وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي بِالْقَلِيلِ، وَالْكَثِيرِ، حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ.

وَأَمَرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيرًا، فإنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ.

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الَّتِي سَمَّاهُمُ اللهُ تعالى الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ»[١].

هذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا».

وهذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأنه كَادَ أَنْ يُبْطِئَ بها)، يعني: لم يبادر عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ لَهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وعيسى: ابن الخالة، يحيى وعيسى ابني الخالة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٤٠٤، ٢٩/ ٣٣٥)، والترمذي (٢٨٦٣)، وابن حبان (١٤/ ١٢٤-١٢٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٦٤، ٣/ ١٩٥)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٨٦-٢٨٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٨٢)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٧٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا**)، فلا تلتفتوا لا برؤوسكم ورقابكم ولا بقلوبكم، لا تلتفتوا لا بقلوبكم ولا برؤوسكم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنتم في الصلاة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ**)، في عصابة: يعني: جماعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا**)، لا برقابكم ولا بقلوبكم، أقبلوا على الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ**)، وهذا كما في الحديث: أن ريح نفس الصائم عند الله كمثل ريح المسك(١)، وهو نفس الصائم عند الناس يكرهون نفس الصائم؛ لأن إذا فرغت المعدة، يتصاعد منها أبخرة مكروهة الرائحة، ولكن هذه الرائحة هي أطيب عند الله من ريح المسك، لماذا؟ لأنها ناشئة عن عبادة الله جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٨٩٤، ١٩٠٤، ٥٩٢٧، ٧٤٩٢، ٧٥٣٨)، ومسلم (١١٥١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ، وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةِ**)، الجماعة، يعني: كونوا مع جماعة المسلمين، وأطيعوا إمام المسلمين بالمعروف، هذا لابد منه، كونوا مع الجماعة، ولا تشذوا؛ «**وَمَنْ شَذَّ شَذَّ فِي النَّارِ**»، كونوا مع الجماعة؛ فإن «يد الله مع الجماعة -أو- على الجماعة»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ**)، السمع والطاعة لولي الأمر المسلم، يجب السمع له والطاعة بالمعروف؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩].

﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾: وهم الأمراء والملوك المسلمون، ولذلك قال: ﴿ مِنكُمْ ﴾، يعني: من المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَالْهِجْرَةِ**)، الهجرة: هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام؛ فرارًا بالدين(٢). والهجرة مقرونة بالجهاد، الجهاد والهجرة، فلا يجوز لك أن تقيم مع المشركين مع الكفار، وأنت تقدر على أن تهاجر إلى بلاد المسلمين، وتكون مع المسلمين، قال الله جَلَّ وَعَلَا في من ترك الهجرة وأقام

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٩- ٢٠١)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٣٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر الهجرة في اللغة في: النهاية في غريب الأثر (٥/ ٢٤٣)، ولسان العرب (٥/ ٢٥٠)، ومختار الصحاح (ص٢٨٨).
وانظر الهجرة في الشرع في: أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٥٩٢)، والكافي (١/ ١٨٧)، والمغني (٩/ ٢٣٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٤)، وفتح الباري (١/ ١٦)، وفتح القدير (١/ ٢١٨).

في بلاد الكفر من غير عذر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ﴾. الملائكة تقول لهم: ﴿ فِيمَ كُنتُمْ ﴾: أي مكان أنتم فيه؟ ﴿ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: لا نقدر أن نعبد ربنا من أذى الكفار؛ ﴿ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

فالعاجز عن الهجرة معذور، ولكن يتمسك بدينه حتى ييسر الله له الهجرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ)، الجهاد هو قتال الكفار والبغاة ومن خرج عن جماعة المسلمين يجب قتاله، الكفار يُقَاتَلون لكفرهم، والخارجون عن طاعة إمام المسلمين يُقَاتَلون لبغيهم، هؤلاء بغاة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يُرَاجِعَ)، «خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»: هذا تشبيه للإسلام واجتماع الناس فيه أنه يجمعهم بالربقة التي تكون في حبل، وتدخل فيها رؤوس الأغنام لحفظها وبقائها، يسمونه الربز، هذا حبل في جوانبه مثل الفتحات تُدخل فيها رؤوس أولاد الغنم حتى يحفظها، فكذلك الإسلام مثل ربقة الأغنام يجمع المسلمين ويحفظهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ)، (قيد شبر)، يعني: قدر شبر، لا يقول: هذا شيء يسير. ولو قدر شبر لا تخرج عن الجماعة، لا تخرج عن الجماعة أبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ جُثَى جَهَنَّمَ)**، من دعا بدعوى الجاهلية مثل النياحة، النياحة على الميت هذه دعوى الجاهلية -والعياذ بالله-: واعضداه، وارأساه، هذا من دعوى الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ فَقَالَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ)**، هذا من باب الوعيد الذي يمر كما جاء، ولا يقال: إنه كفر، ولكن عليه وعيد شديد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الَّتِي سَمَّاهُمُ اللهُ تعالى الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ)**، ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:٧٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والشاهد منه في هذه الآية قوله: «وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا»)**؛ كما أنه هو الخالق الرازق فهو الذي يستحق العبادة دونما سواه ممن لا يخلق ولا يرزق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه الآية دالة على توحيد الله -تعالى- بالعبادة)**، دالة على إفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالعبادة دونما سواه، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، أي: شركاء، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] أنه لا شريك له.

....

ش: وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًا.

وَسُئِلَ أَبُو نُوَاسٍ(١) عَنْ ذَلِكَ، فَأَنْشَدَ(٢):

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٍ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٍ ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ(٣):

---

(١) أبو نواس هو: (رَئِيْسُ الشُّعَرَاءِ أَبُو عَلِيٍّ الحَسَنُ بنُ هَانِئٍ الحكمي، وقيل: ابن وهب، وُلِدَ بِالأَهْوَازِ وَنَشَأَ بِالبَصْرَةِ، وَسَمِعَ مِنْ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ وَطَائِفَةٍ. وَتَلَا عَلَى يَعْقُوْبَ وَأَخَذَ اللُّغَةَ عَنْ: أَبِي زَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ وَغَيْرِهِ. وَمَدَحَ الخلفاء والوزراء، ونظمه في الذروة حتى قال فِيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ شَيْخُهُ: أَبُو نُوَاسٍ لِلْمُحْدَثِيْنَ، كَامْرِئِ القَيْسِ لِلْمُتَقَدِّمِيْنَ. قِيْلَ: لُقِّبَ بِهَذَا، لِضَفِيْرَتَيْنِ كَانَتَا تَنُوْسَانِ عَلَى عَاتِقَيْهِ أَيْ: تَضْطَرِبُ، وَهُوَ مِنْ مَوَالِي الجَرَّاحِ الحِكَمِيِّ، أَمِيْرِ الغُزَاةِ). انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٧٩)، وتاريخ بغداد (٧/ ٤٤٩)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٩٥)، والأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٥).

(٢) انظر: اللطائف والظرائف للثعالبي (ص٢٠٥)، ومرآة الزمان (١٣/ ٣٥١)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٥٥)، ولطائف المعارف لابن رجب (ص٣١٦).

(٣) هو: عبد الله ابن المعتز بالله محمد ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم ابن الرشيد، الأمير أبو العبّاس العبّاسيّ الأديب، صاحب الشعر البديع والنثر الفائق. أخذ العربية والأدب عَنْ: المبرِّد، وثعلب، وعَنْ: مؤدِّبه أحمد بن سعيد الدّمشقيّ. وكان مولده في شَعْبان سنة تسع وأربعين ومائتين. وتوفي سنة ستٍّ وتسعين. انظر في ترجمته: معجم الأدباء (٤/ ١٥١٩)، وتاريخ الإسلام (٦/ ٩٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٢)، وفوات الوفيات (٢/ ٢٣٩).

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ(١)

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع)**، وجود الصانع يعني: الخالق لهذه الأشياء، خلق السماوات والأرض والجبال والبحار والأنهار والفجاج، الذي خلقها هو الذي يستحق العبادة.

وأما هذه المعبودات الشركية، فهي لا تخلق ولا ترزق، عاجزة، هي مخلوقة فكيف تعبد؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى)**، هي دالة على وجود الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن هذا الخلق لا يمكن، ﴿ **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ** ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦]، الخلق يدل على الخالق؛ كما

---

(١) هي للشاعر المشهور إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو إسحاق العنزي، المعروف بأبي العتاهية، انظر: طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٢٠٧)، والتمثيل والمحاضرة (ص١١)، وزهر الآداب (٢/ ٣٨٧)، وتاريخ دمشق (١٣/ ٤٥٣).
وقد نسبها لأبي نواس الجاحظ في المحاسن والأضداد (ص ١٦٨)، وابن خلكان في وفيات الأعيان (٧/ ١٣٨).
وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:
وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمْيَانِ
بِشَهَادَةِ الإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا لله لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ
انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ١٩٩).

قالوا لأعرابي: بم عرفت ربك؟ قال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، أفلا يدل هذا الكون على السميع البصير[(١)]؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَسُئِلَ أَبُو نُوَاسٍ عَنْ ذَلِكَ)**، أبو نواس الشاعر المعروف، شاعر عنده مجون، ولكنه كان موحدًا لله عَزَّوَجَلَّ، ليس مشركًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ)**، هذه حكمة، «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**»[(٢)]؛ كما قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ)**، ابن المعتز هذا من بني العباس، نال الخلافة يومًا واحدًا، ثم قُتِلَ.

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٣/ ٣٢)، وتلبيس إبليس (ص ٤٠)، وزاد المسير (١/ ٢٦٦).

(٢) أخرجه أبو يعلى في معجمه (١/ ٢١٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤/ ٢٩٦)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٣٠، ٣/ ٦١، ٩/ ٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦٩) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

وعن ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الآيةِ: «الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِن دَبيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلانُة، وَحَيَاتِي. وَتَقُولُ: لَوْلا كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَانَا اللُّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلا اللَّهُ وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فلانًا، هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتم(١).

ش: قوله: (وعن ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الآيَةِ «الأَنْـدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِن دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكِ يَا فُلانُة، وَحَيَاتِي. وَتَقُولُ: لَوْلا كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ، وَلَوْلا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَانَا اللُّصُوصُ. وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَقَوْلُ الرَّجُلِ: لَوْلا اللهُ وَفُلَانٌ. لَا تَجْعَلْ فِيهَا فلانًا، هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ». رَوَاهُ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ)، بين ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن هذا كله من الشرك، وهو الواقع اليوم على ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك.

فتنبه لهذه الأمور؛ فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه، والتغليظ فيه لكونه من أكبر الكبائر. وهذا من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وعن ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي الآيةِ: «الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ، أَخْفَى مِن دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ)؛ الشرك : شرك خفي، وشرك ظاهر، الشرك الخفي هذا أخفى من دبيب النملة السوداء على صخرة سوداء في ظلمة الليل، من الذي يرى النملة السوداء في سواد الليل على صخرة سوداء؟ هذا يدل على أن الشرك دقيق، وأنه يسري في الناس، وقد لايشعرون به، والمراد الشرك الأصغر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللهِ، وَحَيَاتِكِ)، «والله، وحياتك»؛ تقسم بحياة المخلوق، وقد قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»[1]، فلا يجوز الحلف إلا بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَتَقُولُ: لَوْلا كُلَيْبَةُ هَذَا لأَتَانَا اللُّصُوصُ،)، كذلك تقول: «لولا الكلب لأتانا اللصوص»، نعم، الكلب سبب، ولكن الذي منع اللصوص هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («وَلَوْلا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لأَتَانَا اللُّصُوصُ»)، «ولولا البط في الدار»، يعني: البط له صوت، ولا يستطيع السارق يدخل البيت الذي فيه بط، هذا لا بأس به، لكن لا تجعله هو الذي حمى البيت، الذي حمى بيتك هو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإنما البط سبب من الأسباب.

---

(١) أخرجه أحمد (١٠/ ٢٤٩) بلفظ: «كَفَرَ وَأَشْرَكَ»، وأبو داود (٣٢٥١) بلفظ: «فَقَدْ أَشْرَكَ»، والترمذي (١٥٣٥) بلفظ: «كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»، وأصل الحديث في البخاري (٣٨٣٦، ٦١٠٨، ٦٦٤٦، ٦٦٤٨، ٧٤٠١)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

قولـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَوْلُ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَـاءَ اللهُ وَشِـئْتَ)**، قال رجل للنبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَـا شَـاءَ اللهُ، وَشِـئْتَ، قـال: «**أَجَعَلْتَنِـي لِلهِ نِدًّا، قُـلْ: مَا شَـاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[(١)]، فهو جمع بين الله وبـين المخلوق بالواو، والواو للتشريك والتسـوية، والواجـب أن يقول: لـولا الله ثم كذا وكذا؛ تـأتي بـ«ثم»، لا تأتي بالواو؛ لأن «ثم» تقتضي الترتيب، وأما الواو، فهي تقتضي التشريك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتنبه لهذه الأمور فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه، والتغليظ فيه لكونه من أكبر الكبائر)**، الشرك أكبر من الكبائر.

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٣/ ٣٣٩، ٤٣١، ٤/ ٣٤١، ٥/ ٢٩٧)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٣٦٢)، وابن ماجه (٢١١٧)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ». رَوَاهُ الترمذيُّ وحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ[(١)].

ش: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ». يحتمل أن يكون شكًا من الراوي، ويحتمل أن تكون (أو) بمعنى الواو، فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر، كما هو من الشرك الأصغر. وورد مثل هذا عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا اللفظ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»**)، الحلف: هو تأكيد الشيء بذكر معظم[(٢)]. ولا يجوز الحلف بغير الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الذي يستحق التعظيم على الجميع هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ**»، شك الراوي هل قال: كفر، أو قال: أشرك. وكلا الأمرين خطير: الكفر والشرك، لكنه كفرٌ أصغر وشرك أصغر، لا يخرج من الملة. فلا يقال لمن حلف بغير الله: إنك قد كفرت وخرجت من الملة، أو أشركت. وإنما هذا شركٌ أصغر، أو كفرٌ أصغر، ولكنه خطير لا تساهل فيه؛ فالشرك الأصغر يجر إلى الشرك الأكبر إذا تساهل الإنسان فيه وتهاون به.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٠/ ٢٤٩)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: المطلع على ألفاظ المقنع (ص٤٧٠)، والمبدع في شرح المقنع (٨/ ٥٧)، والدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي (٣/ ٧٩٦)، والإقناع في فقه الإمام أحمد (٤/ ٣٢٩).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»(١).

ش: ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر -كما تقدم بيان ذلك.

فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟ كدعوة غير الله والاستغاثة به، والرغبة إليه، وإنزال حوائجه به؛ كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها من تعظيم القبور، واتخاذها أوثانًا، والبناء عليها، واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا»**)، ابن مسعود الهذلي صحابي جليل من أكابر صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**لِأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا**»؛ لأن الكذب وإن كان محرمًا فهو أخف من الشرك وأخف من الكفر، فكونه يرتكب الأخف ولا يدخل في الحرام أحب إليه من أن يحلف بغير الله؛ «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ**»(٢).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٦٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٧٩)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦٧).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٤).

من حلف بغير الله صادقًا، فقد كفر أو أشرك؛ كما في الحديث، وإن كان صادقًا؛ لأنه لا يجوز أن يحلف إلا بالله؛ «**مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»(١)، هكذا قال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر، وإن كان أصغر كما تقدم بيان ذلك)**، فلا يتساهل بالحلف بغير الله، ويقال: إنه كفرٌ أصغر أو شركٌ أصغر؛ فالشرك والكفر وإن كان أصغر فإنه خطير جدًا، فكيف بالكفر الأكبر -والعياذ بالله؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟!)**، إذا كان الشرك الأصغر، وهو الحلف بغير الله كفرًا أو شركًا مع أنه أصغر، فكيف بالشرك الأكبر -والعياذ بالله؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟!)**، المشرك بالله الشرك الأكبر مخلد في النار، إذا مات عليه ولم يتب، فإنه يخلد في النار، ولا مطمع له في دخول الجنة، فلا يتساهل في هذا الأمر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كدعوة غير الله)**، يعني: صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، هذا هو الشرك الأكبر؛ كأن ينذر لغير الله، ينذر للقبور والأضرحة، فهذا شرك أكبر محرم أشد التحريم. فعلى المسلم أن يتذكر هذا، وأن يمنع لسانه وقلبه من أن يتهاون بهذا الأمر.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩، ٣٨٣٦، ٦١٠٨، ٦٦٤٦، ٧٤٠١)، ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كدعوة غير الله والاستغاثة به، والرغبة إليه)**، الشرك الأكبر: كدعاء غير الله؛ أن يدعو غير الله -من الأضرحة، أو من الأولياء والصالحين، أو من الأصنام والأحجار والأشجار-، هذا شرك أكبر؛ دعاء، إذا دعا غير الله، فقد أشرك الشرك الأكبر، أو نذر لغير الله، أو ذبح لغير الله، أو صرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، فقد أشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة، وإذا مات عليه ولم يمت، فهو خالد مخلد في النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والاستغاثة به)**، الاستغاثة بغير الله: طلب الغوث من غير الله؛ لأنه لا يغيث من الشدائد إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦٢]، هذه الأمور لا تكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والاستغاثة به)**، الاستغاثة: طلب الغوث، والاستغاثة أعظم من الاستعانة؛ الاستعانة: يجوز للمخلوق أن يستعين بغير الله، أن يستعين بالمخلوق، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، يستعين بالمخلوق فيما يقدر عليه ذلك المخلوق، لا بأس؛ ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، وأما الاستغاثة، فهي طلب الغوث من الله، أكبر من الاستعانة، الاستغاثة أكبر من الاستعانة، فلا تجوز إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٩]، ولا ينجي من الشدائد والكربات إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والرغبة إليه)**، الرغبة إليه، يعني: الطمع فيما عنده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنزال حوائجه به)**، إنزال حوائجه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ بأن يطلبها من الله جَلَّ وَعَلَا وحده لا شريك له، ولا يطلبها من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها من تعظيم القبور)**، كحال الأكثر من هذه الأمة: هذا في وقت المؤلف الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكلما تأخر الزمان، يشتد الأمر ويكثر الجهل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من تعظيم القبور، واتخاذها أوثانًا)**، تعظيم قبور الموتى، الاستغاثة بالموتى والاستعانة بالموتى أصحاب القبور؛ كما عليه حال كثيرٍ من المشركين من هذه الأمة الذين يبنون الأضرحة على القبور، ويعكفون عندها ويدعونها، وهم يدّعون الإسلام، صرفوا أنواعًا من العبادة لغير الله، وهي القبور أو الموتى، هذا شرك أكبر يخرج من الملة.

يقولون: هؤلاء رجال صالحون، ونحن مذنبون، ونرجو منهم أن يتوسطوا لنا عند الله. هكذا يقولون.

الله جَلَّ وَعَلَا أمر بدعائه وحده، وأن من وقع في الشدة أو في الكربة فإنه يتوجه إلى الله بدعائه واستعانته واستغاثته، ولا ينصرف إلى الأضرحة والقبور؛ كما عليه كثير ممن يدعون الإسلام؛ يبنون الأضرحة على القبور، ويجعلون لها سدنة، وينذرون لها النذور بحجة أنهم يريدون أنها تشفع لهم عند الله سبحانه؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ

وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، يقولون: نعرف أنهم عاجزون لا يقدرون على كشف الكربة وكشف الغم، ولكن نريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله أن يكشف كربتنا، ويقضي حاجتنا.

لماذا لا تتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مباشرة وتدعو الله؟!

الله ﴿ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [النمل:٦٢]، هو الذي بيده الأمر، ولم يأمرنا أن نتخذ بيننا وبينه وسائط، بل أمرنا بدعائه مباشرة، والرغبة إليه مباشرة، وهو قريب مجيب يسمع ويرى ويقدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

توجه إلى ربك، ولا تتوجه إلى مخلوق ضعيف ميت، هو ميت وأنت حي، أنت أقدر منه، فكيف انطمست القلوب إلى هذا الحد، وبُنِيَت الأضرحة على القبور، وصُرِفت لها الأموال التي يأكلها المشركون؟!

الأموال هذه من الذي يأكلها؟ يأكلها المشركون والسدنة عند القبور والذين بنوا هذه الأضرحة -نسأل الله العافية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(من تعظيم القبور، واتخاذها أوثانًا، والبناء عليها)**، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ**»[(١)]، دعا ربه سبحانه بألا يجعل قبره -قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وثنًا يعبد؛ كما حصل في الأمم السابقة.

---

(١) أخرجه الإمام مالك مرسلا في الموطأ (٨٥) (١/ ١٧٢) من حديث عطاء بن يسار.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِيْنَ دُعَاءَهُ ... وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الجُدْرَانِ[(١)]

على قبره صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقبره بين جدران في غرفة -في حجرة-، وهذه الجدران على شكل مثلث من الجهة الشمالية، فإذا وقف الواقف شمالي القبر، فإنه يكون أمامه الجدار، وليس أمامه قبر الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله أحاطه بثلاثة الجدران؛ كما قال ابن القيم.

فَأَجَابَ رَبُّ العَالَمِيْنَ دُعَاءَهُ ... وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الجُدْرَانِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال)**، يعكفون عندها، وينذرون لها، ويذبحون لها بحجة أنها تشفع لهم عند الله.

ولماذا لا تدعون الله، وتنذرون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتتوجهون إليه، تدعون الله؟! الله قريب مجيب؛ يسمع ويرى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس بحاجة إلى من يبلغه حوائج عباده كما تقولون؛ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، أمرنا أن ندعوه مباشرة، ولا نتجه إلى غيره بدعائنا، أو أن ننذر لغيره؛ من أجل أن يشفع لنا عند الله، أو ما أشبه ذلك.

هذه الأضرحة التي أهلكت كثيرًا من الأمة بسبب الجهل، وبسبب الدعوات المضللة. فالذي يصرف للبدوي في مصر، والذين يدعون عنده ويقيمون الأيام والليالي عاكفين عنده لا يحصون عددًا -والعياذ بالله-، قبر البدوي، ومن هو البدوي؟ البدوي رجل من أهل مكة ذهب إلى مصر،

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٥٢).

ويقولون أو يروون عنه: أنه بَالَ في المسجد، ولم ينله مكروه ولا سوء بسبب ما فعل، قالوا: هذا دليل على أنه ولي من أولياء الله. كيف يبول في المسجد، ولايصاب؟! هذا ولي من أولياء الله، يفعل ما يشاء؛ لأنه خرج من العهدة، صار وليًّا من أولياء الله -تعالى الله عما يقولون- يفعل ما يشاء، وليس عليه حلال، وليس عليه حرام -هكذا يقولون-؛ لأنه ولي من أولياء الله -تعالى الله عما يقولون!

الله يقول: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤]، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾، يعني: (إن) هذه نافية، يعني: ما أولياء الله ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾، ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾: الذين يفعلون ما أمر الله به، ويتركون ما نهى الله عنه، ويدعون الله على بصيرة، هؤلاء هم المتقون، ليس بأوليائه الفسقة والذين يبولون في المسجد وما أشبه ذلك من الطوام التي يفعلونها؛ يقولون: لم يأت خلاف، هذا دليل على أنه ولي -تعالى الله عما يقولون! الله يمهل ولا يهمل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يستدرج الناس، هذا من الاستدراج أنه بَالَ في المسجد، ولم يصبه شيء -نسأل الله العافية.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤، ٤٥].

....

ش: **وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه.**

قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:٣٧]، **كفرهم الله تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه من دونه في دار الدنيا. وقال تعالى:** ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨]، **وقال تعالى:** ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن:٢٠، ٢١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله)**، يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد عظمت البلوى -يعني: في زمانه- بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، الشرك الأكبر لا يغفر إلا بالتوبة، ومن مات عليه، فهو خالد مخلد في النار، كيف يقال: إنه ولي؟!!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه)**، تركوا ما دل عليه القرآن من النهي عن الشرك

وعن الكفر، وعن وسائل الشرك ووسائل الكفر، وذهبوا إلى الحكايات التي تُحكى من الجهلة؛ أن فلانًا له كرامات، وأن فلانًا يفعل كذا وكذا من الأموات، وأنه.... وأنـه....، أضلوا الناس بهذا، واضطروهم أن يأتوا بالنذور والصدقات إلى هذا الضريح، ويسلمونها للسادن والسدنة. وهؤلاء السدنة يأكلونها، يستغلون هذه القبور، اعتبروها مصائد ومحلات للارتزاق بها -والعياذ بالله-، نعوذ بالله منهم ومن أفعالهم، ونعوذ بالله من كسبهم وما يأكلون -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الله تعالى**: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ [الأعراف:٣٧])، لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبًا، كذب على الله، فهؤلاء الذين يقولون: هؤلاء من أولياء الله، فنجعلهم وسائط بيننا وبين الله، نحن مذنبون، وهؤلاء أولياء يشفعون لنا عند الله.

الله أمرك أن تستغفره، وأن تتوب إليه مباشرة، وأن ترفع يديك إليه؛ ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى:٢٥]، لا تنتقل عن الله، وتتجه إلى مخلوق مثلك أو أقل منك؛ بحجة إنه ولي! الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الأنفال:٣٤]، كيف يكون وليًّا هذا، وهو يرضى بهذا الشيء، هذا ليس بولي، هذا من أولياء الشيطان، وسدنته من أولياء الشيطان -نسأل الله العافية!

هكذا أضلوا الناس بهذه الدعايات الكاذبة، وأكلوا أموال الناس بالباطل، وصرفوهم عن دعاء الله وعبادة الله إلى عبادة هؤلاء الأموات؛ بحجة أنهم رجال صالحون، وأنهم يشفعون لهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس:١٨]، الله جَلَّوَعَلَا يعلم كل شيء، ويقدر على كل شيء، ويجيب المضطر إذا دعاه، وعنده حوائج العباد كلهم؛ كما في الحديث القدسي: «**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»(١)، هذا الرب الكريم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الذي يجب أن تتجه إليه وتدعوه، وتستغفره وتتوب إليه، تعبده حق عبادته، ولا تلتفت إلى هذه المخاريق الباطلة وهذه الحكايات الفاسدة تجعلها حججًا، تترك القرآن، تترك السنة، تحتج بهذه الروايات الكاذبة؛ فلان فعل كذا، وحصل له كذا، فلان دعا عند القبر، وحصل له كذا. هذا كله من الباطل، كله من الباطل والبهتان -والعياذ بالله!

هذه البلاد كانت كذلك، كانت فيها قبور، وفيها أشجار وأحجار تعبد من دون الله، حتى جاء الله بالشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمنَّ الله عليه بالعلم الغزير النافع، فدعا إلى الله على بصيرة، وهدم ما كان في بلاد نجد من الأضرحة، لم يهدمها هو بنفسه، هدمها بواسطة الحكام الذين ناصروه وأيدوه، فطهر الله هذه البلاد -ولله الحمد-، وإلا كانت مثل غيرها من البلاد الأخرى لولا أن الله بعث هذا الداعي المخلص فيها، فنفع الله بدعوته، وأيده ولاة الأمور، ناصروه من آل سعود -حفظهم الله-، حتى استنارت هذه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

البلاد، ولا تجد فيها ضريحًا يُعبد من دون الله، لا تجد فيها قبرًا، لا تجد فيها سدنة، طهرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذه الدعوة المباركة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الله تعالى:** ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ﴾ [الأعراف:٣٧])، ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: يقول: إن الله يقول كذا، ويأمر بكذا؛ حكايات باطلة.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾: القرآنية، وآياته الكونية التي تدل على وحدانيته، وتنهى عن الشرك، انصرف عن آيات الله إلى الحكايات والمخاريق الباطلة الشيطانية، واتخذها حججًا بدل القرآن - والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا ﴾)، ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾، يعني: غابوا عنا. هم لم يعلموا عن عبادتكم لهم، ولم يعلموا عن دعائكم لهم، لم يدروا عن هذا، أموات، ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ [النحل:٢١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴾)، العاقبة أنهم يشهدون؛ يقولون: الله نحن ضللنا الطريق، لكن لا ينفعهم حينذاك، إذا عرفوا أنهم أخطؤوا وأنهم ضلوا الطريق لا ينفعهم هذا، بل يصيبهم حسرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى:** ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:١٨])، ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾، المساجد: بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، وقيل: المراد بالمساجد: الأعضاء السبعة التي يسجد عليها الإنسان حال سجوده. ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ كائنًا من كان.

﴿أَحَدًا﴾: نكرة في سياق النهي تعم كل أحد؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا صالح من الصالحين، أي أحد لا يدعى مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن:٢٠])، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾، لما ذهب إلى الطائف يدعوهم إلى الله وسبوه، ورموه بالحجارة، وأدموا عقبه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جاء راجعًا إلى مكة، أدركته الصلاة في وادي نخلة بين مكة والطائف، فصلى في وادي نخلة، وتلا القرآن، فلما سمعت الجن القرآن الذي يتلوه، التفوا عليه، لاحظ! لما أن الإنس نبذوه، جاء الله بالجن، فالتفوا عليه، وسمعوا قراءته؛ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن:١-٤]، إلى آخر السورة، سورة: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾، هذه نزلت عليه في وادي نخلة بين مكة والطائف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٠ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢٠، ٢١])، يقول: ﴿قُلْ إِنِّي﴾، قُلْ لهم؛ لجميع الخلق: ﴿لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١]، وإنما يملك أن يدعوهم إلى الله سبحانه الذي يملك الضر، ويملك الرشد، هذا الذي جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر؛ فخالفوا ما بلغ به الأمة وأخبر به عن نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعاملوه بما نهاهم عنه من الشرك بالله، والتعلق على غير الله؛ حتى قال قائلهم[1]:

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِيْ مَنْ أَلُوْذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ

فانظر إلى هذا الجهل العظيم؛ حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه ولياذه بغير الله. وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ». رواه مالك وغيره[2].

وقد قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام:٥٠]. فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة والمحادة لله ورسوله، وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير، خصوصًا ممن يدعون العلم والمعرفة، ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها، لذلك تعظيمها من القربات عندهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) انظر: ديوان البوصيري (ص٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠) من حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر، فخالفوا ما بلغ به الأمة)**، عكسوا الأمر، فخالفوا ما بلغ به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي * فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ)** هذا البوصيري في البردة، هذه يقرؤونها الآن في الموالد، ويعتنون بها أكثر مما يعتنون بالقرآن، البردة -والعياذ بالله-، وهي فيها الشرك الأكبر، ودعاء غير الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ)**، لاحظ! فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا: الدنيا والآخرة كلها بيد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل بعد هذا الغلو غلو؟! نسأل الله العافية!

وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ: من علومه، بعض علومه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، هذا بعض علم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لاحظ الغلو -والعياذ بالله- إلى أين ذهب بهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فانظر إلى هذا الجهل العظيم؛ حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه ولياذه بغير الله)**، وهذه البردة يرددونها الآن، يعتنون بها، يطبعونها الطباعة الفاخرة، وهي شرك أكبر، كفر أكبر -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهى عنه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بقوله: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»)**، والإطراء: هو المبالغة في المدح، بالغوا في المدح، حتى جعلوا الدنيا والآخرة من بعض ما يملكه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذًا ماذا بقي لله عَزَّ وَجَلَّ تعالى الله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد قال تعالى**: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [الأنعام:٥٠])، أمره الله جَلَّ وَعَلَا أن يصرح لأمته بهذا التصريح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد قال تعالى**: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾)، ﴿ قُل ﴾ لقومك: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ التي منها ينفق على عباده، ويرزقهم ويعطيهم، هذه ليست عند الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه بيد الله.

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾: الرسول لا يعلم الغيب إلا ما علمه الله، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]: يطلعه على ما شاء الله من الغيب لأجل الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ ﴾ [يونس:٢٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّى مَلَكٌ ﴾)، يعني: من الملائكة، هو ليس من الملائكة، إنما هو من بني آدم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة والمحادة لله ورسوله**)، يعني: في قوله:

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ

هل بعد هذا الغلو غلو -والعياذ بالله-؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذا الذي يقوله هذا الشاعر**)، وهذا الذي يقوله هذا الشاعر، يعني: البوصيري.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا الذي يقوله هذا الشاعر هو الذي في نفوس كثير خصوصًا ممن يدعون العلم والمعرفة)**، من علماء الضلال، ممن يدعي العلم والمعرفة وهو من علماء الضلال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورأوا قراءة هذه المنظومة)**، البردة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القربات)**، يتقربون بقراءتها إلى الله، وفيها الشرك الأكبر -والعياذ بالله-، يتقربون إلى الله بالشرك الأكبر، وهو دعاء غير الله، وادعاء أن الرسول يملك الدنيا والآخرة.

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا: يعني: الآخرة.

وَمِنْ عُلُومِكَ: يعني: من بعض علمك.

عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ: نسأل الله العافية! اللوح المحفوظ والقلم الذي كتب الله به مقادير الأشياء، هل بعد هذا الغلو غلو -والعياذ بالله؟!

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ**(١).

ش: وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويًا للمعطوف عليه، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا.

وتسوية المخلوق بالخالق شرك؛ إن كان في الأصغر مثل هذا، فهو أصغر، وإن كان في الأكبر، فهو أكبر؛ كما قال تعالى عنهم في الدار الآخرة: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨]، بخلاف المعطوف بـ(ثم)؛ فإن المعطوف بها يكون متراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة؛ فلا محذور لكونه صار تابعًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْ حُذَيْفَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»**)، هذا التوجيه النبوي: «**لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ**» بالواو؛ لأن الواو تقتضي التشريك والمساواة، «**وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»؛ لأن (ثم) للترتيب، والواو للجمع، وبينهما فرق عظيم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ٢٩٩، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٩٦)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٣٦١)، وابن ماجه (٢١١٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٤٠)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٣٠٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويًا للمعطوف عليه، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع، فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا)**، يعني: العطف بالواو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى عنهم في الدار الآخرة:** ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧، ٩٨]**)**، إذا اجتمع أهل النار مع من كانوا يعبدونهم من دون الله ومع الأحجار والأصنام؛ لأن الأحجار والأصنام التي يعبدونها تكون معهم في النار؛ ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء:٩٨]، لما سمع المعارضون والكفار هذه الآية، قالوا: إذًا نحن نعبد المسيح عيسى بن مريم، إذًا هو يصير معنا في النار؟ فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠١-١٠٣].

هؤلاء الذين لم يرضوا أن يدعوا من دون الله، بل نهوا عن ذلك، ولكن لما ماتوا دعوهم من دون الله؛ كما فعلوا مع المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فهم يتبرؤون منهم يوم القيامة.

﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ﴾، يقولون: ﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص:٦٣]، ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ [سبأ:٤١]، يعني: الشياطين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف المعطوف بـ«ثم»)**، هما كلاهما عاطف، «ثم» والواو، لكن الواو تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه والمساواة، أما «ثم» فتقتضي الترتيب. العبد له مشيئة، والله له مشيئة، ولكن لا تقل: ما شاء الله وشئت، فتجعل مشيئة العبد مساوية لمشيئة الله، بل تقول: ما شاء الله ثم شئت. لما قال رجل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قال: **«أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟! قُلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»**[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف المعطوف بـ«ثم»؛ فإن المعطوف بها يكون متراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة. فلا محذور لكونه صار تابعًا)**، المعطوف بـ«ثم» يكون تابعًا للمعطوف عليه، وأما المعطوف بالواو، فيكون المعطوف شريكًا للمعطوف عليه.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٥).

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ: أَعُوذُ باللّهِ وَبِكَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: باللّهِ ثُمَّ بِكَ. قَالَ: وَيَقُولُ: لَوْلَا اللّهُ ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا يَقُولُ: لَوْلَا اللّهُ وَفُلَانٌ»(١).

ش: قد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك. وهذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك.

وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر، ولا يقال في حقهم شيء من ذلك، فلا يجوز التعلق عليه بشيء ما بوجه من الوجوه.

والقرآن يبين ذلك، وينادي بأنه يجعلهم آلهة إذا سئلوا شيئًا من ذلك، أو رغب إليهم أحدٌ بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر، فمن تدبر القرآن ورُزِقَ فهمه، صار على بصيرة من دينه، وبالله التوفيق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن تدبر القرآن ورُزِقَ فهمه صار على بصيرة من دينه وبالله التوفيق)، من تدبر القرآن، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

يقول ابن القيم(٢):

فتَدَبَّرِ القُرآنَ إنْ رُمْتَ الهُدَى ... فالعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ القُرآنِ

---

(١) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٧)، ومعمر بن راشد في جامعه (١١/ ٢٧)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص١٩٣).
(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٣١٥).

....

ش: والعلم لا يؤخذ قسرًا، وإنما يؤخذ بأسباب ذُكر بعضها في قوله[(١)]:

أَخِـي لَـنْ تَـنَـالَ الْعِـلْمَ إلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَـاءٌ وَحِـرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ ... وَإِرْشَادُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ

وأعظم من هذه الستة من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله، فهو الموفق لمن شاء من عباده؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حيث قال[(٢)]:

وَالـجَـهـلُ دَاءٌ قَـاتِـلٌ وَشِـفَـاؤُهُ ... أمـرَانِ فِـي الـتَّـرْكِـيبِ مُتَّفِقَانِ
نَـصٌّ مِـنَ الـقُـرآنِ أو مِـن سُنَّةٍ ... وَطَبِـيـبُ ذَاكَ الـعَـالَـمُ الرَّبَّانِي
وَالـعِـلـمُ أقـسَـامٌ ثَـلَاثٌ مَـا لَهَا ... مِـن رَابِـعٍ وَالـحَـقُّ ذُو تِبيَانِ
عِـلـمٌ بِـأوصَـافِ الإلَـهِ وَفِعلِهِ ... وَكَـذَلِـكَ الأسـمَـاءُ لِلرَّحمَنِ
وَالأمـرُ وَالـنَّـهـيُ الـذِي هُـوَ دِينُهُ ... وَجَـزَاؤُهُ يَـومَ الـمَـعَـادِ الثَّانِي
وَالـكُـلُّ فِـي الـقُـرآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... جَـاءَت عَـنِ الـمَبـعُوثِ بِالْقُرْآنِ
وَاللهِ مَـا قَـالَ امـرُؤٌ مُتَحَذلِقٌ ... بِـسِـوَاهُـمَـا إلَّا مِـنَ الـهَـذَيَـانِ

---

(١) من كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: ديوان الشافعي (ص١٦٤).
(٢) انظر: النونية لابن القيم مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٣٨٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ذَكَاءٍ وَحِرْصٍ وَاجْتِهَادٍ وَبُلْغَةٍ ... وَإِرْشَادِ أُسْتَاذٍ وَطُولِ زَمَانِ)**، لا ينال العلم إلا بهذه الأمور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأعظم من هذه الستة من رزقه الله -تعالى- الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله)**، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، يسره الله جَلَّ وَعَلَا لمن يريد الحق سيجده في القرآن والسنة واضحًا؛ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧]، هذا حث على التذكر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣])**، يقول الله لرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾: لم يكن الرسول يعلم هذه إلا من الله جَلَّ وَعَلَا لما علمه الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَاللهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مُتَحَذْلِقٌ ... بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنَ الهَذَيَانِ)**، من ترك القرآن والسنة، وذهب إلى الحكايات وأقوال الناس ليس عنده إلا هذيان، ليس عنده علم. العلم في الكتاب والسنة، في الوحي المنزل من الله جَلَّ وَعَلَا، هذا هو العلم.

فَتَدَبَّرِ القُرآنَ إنْ رُمْتَ الهُدَى ... فَالعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ القُرآنِ

ليس هناك طريق غير هذا.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ البَقَرَةِ فِي الأَنْدَادِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ يُفَسِّرُوْنَ الآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ؛ أَنَّهَا تَعُمُّ الأَصْغَرَ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ اليَمِيْنِ الغَمُوْسِ.

الخَامِسَةُ: الفَرَقُ بَيْنَ الوَاوِ وَ «ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ: الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ البَقَرَةِ فِي الأَنْدَادِ**)، وهي: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة٢٢]، ﴿أَندَادًا﴾، أي: شركاء؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يعبدون الله جَلَّ وَعَلَا، ويعبدون معه آلهة أخرى من الأصنام وغيرها، فنهاهم الله عن ذلك.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه لا ند له ولا شبيه له، يؤمنون بتوحيد الربوبية أن الله لا شبيه له، ولا ند له، ولا مثل له، يؤمنون بهذا، ومع هذا يدعون معه غيره، يعبدون معه غيره، وهذا تناقضهم في توحيد الألوهية.

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾، أي: أشباهًا ونظائر تدعونهم معه من الأشجار والأحجار والأولياء والصالحين، هذا في الجاهلية. ثم كان بعد القرون المفضلة، وبعدما طغت الجاهلية في القرون المتأخرة عاد الشرك في توحيد الألوهية بعبادة القبور والأضرحة، وبنوا عليها المشاهد، ووضعوا

لها السدنة، عادت الجاهلية. ولكن من فضل الله أن هناك دعاة إلى الحق من أهل العلم ينكرون هذه الجاهلية، ويأمرون بإفراد الله جَلَّوَعَلَا بالعبادة، ومنهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإنه قام في هذه البلاد بإنكار ما عليه أهل زمانه أو غالبهم، فدعا إلى الله وبين، وألف كتاب التوحيد، هذا الكتاب الفذ الذي ألفه في توحيد الألوهية وإفراد الله جَلَّوَعَلَا بالعبادة، وجعله على أبواب، وانتفع الناس به، واستفادوا منه في هذه البلاد وفي غيرها ممن منَّ الله عليهم بقبول الحق ومعرفته، فكان في كل بلد -ولله الحمد- من تقوم بهم الحجة على غيرهم ممن يبينون التوحيد وينكرون الشرك في الألوهية، وينكرون تعظيم القبور، إلى حد أن يوضع عليها قباب ويستغاث بها، ويستعان بها عند الشدائد، فنفع الله بدعوته، ولا تزال -ولله الحمد-، لا سيما أنه انضم إليه الإمام محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بايعه على النصرة، فتمت البيعة بين الشيخ وبين محمد بن سعود؛ هذا في العلم، وهذا في السلطة، توحدت السلطة مع دعوة التوحيد، وظهرت -ولله الحمد- واستبانت، ونفع الله بها هذه البلاد وغيرها من البلاد التي قبلت الحق، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وهذا مصداق لقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ فِي كُلِّ قَرْنٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»**(١)، **«يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ فِي كُلِّ قَرْنٍ** -يعني: مائة سنة- **مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»**، هذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٢٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٧، ٥٦٨)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ٢٠٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ البَقَرَةِ فِي الأَنْدَادِ)، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾، يعني: شركاء في العبادة، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: أنه لا شريك له، لا شريك له في الربوبية، ولا شريك له في الألوهية، فهو- سبحانه- المستحق وحده للعبادة دون ما سواه، هذا ما دعت إليه الرسل؛ ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل:٣٦]، تقوم الحجة -ولله الحمد-، يقيض الله لهذا الدين من ينصره ويبينه للناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: أَنَّ الصَّحَابَةَ يُفَسِّرُوْنَ الآيَةَ النَّازِلَةَ فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ؛ أَنَّهَا تَعُمُّ الأَصْغَرَ)، فالآية النازلة في الشرك الأكبر تعم الشرك الأصغر -أيضًا-، فالشرك بجميع أنواعه - الأكبر والأصغر- كله بينه الله في كتابه ونهى عنه، وحذر منه غاية التحذير، ولهذا يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن القرآن كله توحيد، القرآن كله توحيد، وبين هذا كيف كان، القرآن كله توحيد[1].

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين (٣/ ٤١٧): (إِنَّ كُلَّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ فَهِيَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلتَّوْحِيدِ، شَاهِدَةٌ بِهِ، دَاعِيَةٌ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ: إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ، وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ فِي نَهْيِهِ وَأَمْرِهِ، فَهِيَ حُقُوقُ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتُهُ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ كَرَامَةِ اللهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقْبَى مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ خَبَرٌ عَمَّنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: أَنَّ الحَلِفَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ)**، لأن الحلف تعظيم للمحلوف به، وهذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»**(١)، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»**(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ صَادِقًا فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ اليَمِيْنِ الغَمُوْسِ)**، إذا حلف بالله صادقًا، هو لم يكذب فهي أشد من اليمين الغموس التي تغمس صاحبها بالإثم ثم في النار؛ لأن الشرك هو أعظم الذنوب، وإن كان أصغر، فهو أعظم الذنوب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: الفَرْقُ بَيْنَ الوَاوِ وَ«ثُمَّ» فِي اللَّفْظِ)**، الفرق بين الواو و«ثم»، العطف بالواو والعطف بـ «ثم».

فلا تقل: لولا الله وفلان، ولكن تقول: لولا الله ثم فلان، تأتي بـ«ثم».

«ما شاء الله وشاء فلان»: هذا شرك، والتوحيد أن تقول: «ما شاء الله ثم شاء فلان»، تأتي بـ«ثم»، فتكون مشيئة العبد متأخرة عن مشيئة الله، وليست مشاركة لها.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٨).
(٢) سبق تخريجه (ص٧٤).

٤٢ - بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بِالحَلِفِ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ». رَوَاهُ ابنُ مَاجه بِسَنَدٍ حَسَنٍ[(١)].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بالحَلِفِ باللهِ).

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ». رَوَاهُ ابنُ مَاجه بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

قوله: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»، تقدم النهي عن الحلف بغير الله عمومًا.

وقوله: «مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ»، هذا مما أوجبه الله على عباده، وحضهم عليه في كتابه؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد:٢١]، وهو حال أهل البر؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٠١)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٣٠٥) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَمْ يَقْنَعْ بالحَلِفِ باللهِ)**، ما جاء من الوعيد في حق من لم يقنع بالحلف بالله؛ **«مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ»**.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ»)**، **فَلْيَرْضَ**: هذا هو التوحيد.

«مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ»، ولا يحلف بالله كاذبًا؛ يعظم اليمين، وهذا من تعظيم الله سبحانه، من تعظيم المحلوف به، **«مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ»**.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ)**، تبرأ الله منه -والعياذ بالله- من لم يرض بالحلف بالله، بماذا يرضى؟ ما الذي يرضى به؟ يرضى بالحلف بالله، **«وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»**: تبرأ الله منه -نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ»، هذا مما أوجبه الله على عباده، وحضهم عليه في كتابه)**، **«مَنْ حَلَفَ بِاللهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»**، هذا الذي جاء عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩])، ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: اتخذوا وقاية تقيكم من عذابه وغضبه بطاعته سبحانه. الوقاية: هي طاعة الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه الوقاية التي تقي من عذاب الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥])، ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ﴾، إلى قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١])، ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ في الجهاد، وكان لابد من الجهاد.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وجاهدوا في سبيله لنصرة دينه، ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وإن كان قد ينالهم شيء مما يكرهون، فهو مكتوب لهم عند الله في صحائف أعمالهم الصالحة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهو حال أهل البر؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧])، ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾، يعني: وقت القتال يكونون صادقين مع الله، ناوين بذلك نصرة الدين وطاعة الله ورسوله.

....

ش: وقوله: «وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»، أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه، فلا ريب أنه يجب عليه الرضا، وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك، فهذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حلف له معتذرًا أو متبرئًا من تهمة. ومن حقه عليه: أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه؛ كما في الأثر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ شَرًّا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا من الخَيْرِ مَحْمَلًا»(١).

وفيه: من التواضع والألفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم، وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله، ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد؛ كما في الحديث(٢)، وهو من مكارم الأخلاق.

فتأمل -أيها الناصح لنفسه- ما يصلحك مع الله تعالى؛ من القيام بحقوقه وحقوق عباده، وإدخال السرور على المسلمين، وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم؛ فإن فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٥٩)، وأحمد في الزهد كما في الدر المنثور (٧/ ٥٦٥). وانظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٣٠٩)، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه أحمد (٤٥/ ٥٣٥، ٥٣٧)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٢)، وابن حبان (٢/ ٢٣٠، ١٢/ ٥٠٦، ٥٠٧).

وبسط هذه الأمور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الأدب وغيرها. فمن رُزِقَ ذلك والعمل بما ينبغي العمل به منه، وترك ما يجب تركه من ذلك، دل على وفور دينه، وكمال عقله. والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين. والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»)**، **«وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ»**، ولو كان الحالف كاذبًا، لكن المحلوف له يرضى بالله عَزَّوَجَلَّ. **«وَمَنْ لَمْ يَرْضَ»** بالحلف **«بِاللهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ»**، تبرأ الله منه -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه فلا ريب أنه يجب عليه الرضا)**، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»**(١)، فإذا حَلَّفَ القاضي المنكر، فإنه يجب على المدعي أن يرضى بذلك؛ تعظيمًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك، فهذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حلف له معتذرًا أو متبرئًا من تهمة)**، في الخصومات هذا معروف، وكذلك فيما يجري بين الناس من الاختلافات، فإنه إذا حلف أحد الاثنين، حلف المدعى عليه، فإنه يجب على المدعي أن يقنع، فإن كان الحالف صادقًا،

---

(١) أخرجه الترمذي بنحوه (١٣٤١)، وابن المقرئ بلفظه في معجمه (١/ ١٩٨)، والدارقطني في سننه (٤/ ١١٤، ٥/ ٢٧٦، ٣٨٩، ٣٩٠) من حديث ابن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فهذا هو الحق، وإن لم يك صادقًا، فالإثم عليه، ولكن المحلوف له يرضى بالحلف بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن حقه عليه: أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه)**، من حق المحلوف له: أن يحسن الظن بالحالف، وأنه صادق في يمينه، ما لم يتبين له خلاف ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن حقه عليه: أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه، كما في الأثر عن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«وَلَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَخِيكَ شَرًّا، وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا من الخَيْرِ مَحْمَلًا»)**، لا تظن بكلمة صدرت من أخيك شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملًا، احمله على المحمل الطيب. وهذا تصلح به أمور الدين وأمور الدنيا، إذا تعامل الناس بذلك على تعظيم اليمين بالله، واقتنع المحلوف له بالله، فهذا هو الإيمان، وهذا هو المؤاخاة في دين الله عَزَّوَجَلَّ، ومن لم يرض باليمين، فليس من الله؛ كما في الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: من التواضع والألفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم)**، إذا ساد الصدق بين المؤمنين في معاملاتهم وفي أقوالهم وأفعالهم، ووُجِدَ حسن النية من بعضهم في البعض الآخر، صلحت الأحوال، واستقامت الأمور. وأما إذا حدث التشكك في الناس وسوء الظن بالناس -بالمسلمين-، فإن العواقب وخيمة؛ لا يثق أحد بأحد، ولا يرضى أحد بأحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله)**، أن يصدق بعضهم بعضًا إذا حلف له، وأن ذلك من أسباب اجتماع القلوب

وتآلفها بين المسلمين، وهذا هو المطلوب من المسلمين أن يكونوا إخوة متحابين، إخوة متعاونين؛ ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد، كما في الحديث)**، ثم إن الثقة بالمسلم تدخل في حسن الخلق الذي هو أعظم ما يوضع في ديوان المسلم: حسن الخلق؛ إنكم لا تسعون الناس بأرزاقكم، ولكن تسعونهم بأخلاقكم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فتأمل -أيها الناصح لنفسه- ما يصلحك مع الله -تعالى-؛ من القيام بحقوقه وحقوق عباده)**، هذا الذي يصلحك مع الله: أن تقوم بحقوق الله عليك، وأن تقوم بحقوق العباد الواجبة عليك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإدخال السرور على المسلمين)**، حسن الخلق مع المسلمين والملاطفة هذا من مكارم الأخلاق ومن خصال الدين، وأما التنافر والتباغض وسوء الظن بأخيك المسلم، فهذا من صفات أهل النفاق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم؛ فإن فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال)**، لا تترفع على إخوانك المسلمين، بل اعتبرك واحدًا منهم، وتفرح لفرح أخيك، وتتأثر من تـأثر أخيك؛ «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١)، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وبسط هذه الأمور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الأدب وغيرها)، في كتب الأدب الشرعي، الآداب الشرعية فيها مؤلفات، دُوِنت فيها الآداب الشرعية التي يجب أن تسود بين المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فمن رُزِقَ ذلك والعمل بما ينبغي العمل به منه، وترك ما يجب تركه من ذلك)، وهذا واجب على كل مسلم أن يعمل بما يجب العمل به، وأن يترك ما يجب تركه، هذا هو دين الإسلام، وهو الخلق الذي يجب أن يسود بين المسلمين، واقرؤوا سورة الحجرات وما فيها من التوجيهات الربانية العظيمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين)، هذا لا يتم إلا بإعانة الله عَزَّوَجَلَّ، والاعتماد على الله بأن يرزقك هذه الأخلاق الطيبة السامية؛ اطلب من الله: «**اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والله الموفق والمعين لعبده الضعيف المسكين، والله أعلم)، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، فكل مخلوق فهو مفتقر إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ولولا أن الله يعينه ويمده ويرزقه، ما استطاع أن يعيش على هذه الأرض.

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد في مسنده (٦/ ٣٧٣)، وابن حبان (٣/ ٢٣٩)، والطبراني بلفظه في الدعاء ١/ ١٤٥، ٤١٥) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الحَلِفِ بِالْآبَاءِ.

الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللَّهِ أَنْ يَرْضَى.

الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في هذا الباب مسائل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الحَلِفِ بِالْآبَاءِ**)، النهي عن الحلف بالآباء؛ «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»، كانوا في الجاهلية يحلفون بآبائهم، «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: الْأَمْرُ لِلْمَحْلُوفِ لَهُ بِاللهِ أَنْ يَرْضَى**)، يقتنع، «**وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ**»، هذا الحديث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: وَعِيدُ مَنْ لَمْ يَرْضَ**)، «**فَلَيْسَ مِنَ اللهِ**»، هذا الوعيد: أنه ليس من الله؛ تبرأ الله منه.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٨).

٤٣- بَابُ قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ

عَنْ قتَيْلَةَ: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ؛ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُوْنَ، تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! وَتَقُوْلُوْنَ: وَالكَعْبَةِ! فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُوْلُوا: وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ[1].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ).

عَنْ قتَيْلَةَ: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شِئْتَ». رواه النسائي وصححه.

قوله: عن قتَيْلَةَ -بمثناة مصغرة- بنت صيفي الأنصارية صحابية مهاجرة، لها حديث في سنن النسائي، وهو المذكور في الباب[2]، ورواه عنها عبد الله بن يسار الجعفي.

وفيه: قبول الحق ممن جاء به كائنًا من كان.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٤/ ٤٣٦، ٩/ ٣٦٢)، وفي المجتبى (٣٧٧٣). وأخرجه -أيضًا-: أحمد في مسنده (٤٥/ ٤٣)، والحاكم في المستدرك وصححه (٤/ ٣٣١).

(٢) هي: قُتيلة بنت صيفي الجهنية، قال ابن حجر في الإصابة (٨/ ٢٨٤): (ويقال: الأنصارية، قال أبو عمر: كانت من المهاجرات الأول... ولم أر من نسبها أنصارية، وقوله: من المهاجرات، يأبى ذلك). انظر في ترجمتها: الطبقات الكبرى (٨/ ٢٣٨)، وأسد الغابة (٧/ ٢٣٣)، وتهذيب الكمال (٣٥/ ٢٧٠)، والوافي بالوفيات (٢٤/ ١٤٩).

وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة.

وهذا يبين أن النهي عن الشرك بالله عام لا يصلح منه شيء، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه.

وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله، ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع، وإنما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها، وجعلها للأمة قبلة، فالطواف بها مشروع، والحلف بها ودعاؤها ممنوع.

فميز -أيها المكلف- بين ما يشرع وما يمنع، وإن خالفك من خالفك من جهة الناس الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ)، أن ذلك لا يجوز؛ لأن الواو تقتضي المشاركة بين الطرفين: المعطوف والمعطوف عليه، والله جَلَّ وَعَلَا لا شريك له. وأن الصواب الذي أرشد إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقال: ما شاء الله ثم شئت؛ تأتي بـ«ثم»؛ لأن «ثم» للترتيب مع التراخي، وأما الواو فهي للجمع، فتجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله بـ«ثم» ومترتبة عليها، وهذا هو الصواب، هذا من مكملات التوحيد، من مكملات التوحيد أن تقول: ما شاء الله ثم شئت، ولا تقل: «ما شاء الله وشئت»، فلا يجوز الجمع بين الله وبين المخلوق بالواو؛ لأن الواو تقتضي المشاركة والمساواة، فماذا تعمل؟ تأتي بـ«ثم»: «لولا الله ثم أنت»، فتجعل المخلوق مرتبًا مع الله

بـ«ثم»، و»ثم» للتراخي، والواو للجمع. «ثم» للترتيب والتراخي؛ فتجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، وكذلك: لولا الله ثم أنت ما حصل كذا بي، لولا الله ثم، لا تقل: لولا الله وأنت. وقد قال رجلٌ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، قَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا؟ -يعني: شريكًا- قُلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ قُتَيْلَةَ)**، قُتَيْلَةَ: هي قتيلة بنت الحارث الهلالية صحابية جليلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ قتَيْلَةَ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُشْرِكُوْنَ، تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! وَتَقُوْلُوْنَ: وَالكَعْبَةِ!)**، لاحظ! اليهود لأن لهم هوى أدركوا هذا الخطأ؛ لأن لهم هوى، وهم يريدون أن يعيبوا على المسلمين؛ يتصيدون عليهم الأخطاء، فهذا اليهودي جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو من يهود المدينة-، وقال: يا محمد، إنكم تشركون؛ كيف؟ تقولون: ما شاء الله وشئت. أدرك هذا اليهودي هذا الخطأ، وإن كان يسيرًا على المسلمين؛ لأن له هوى، وينسى ما عند اليهود من الطوام والشركيات، ينسى ذلك. ولكن لم يمنع هذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأخذ بالصواب، ولو جاء به عدو، فالحق ولو جاء به العدو تقبله، تقبل الحق ممن جاء به، ولو كان عدوًّا.

«إِنَّكُمْ تُشْرِكُوْنَ، تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا تقولوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! ولكن قولوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ».

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٥).

لأن «ثم» تجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله ومترتبة عليها، وهذا هو التوحيد، وهذا فيه نجاة من الشرك اللفظي، شرك لفظي ولكن يتجنب، ولو كان لفظيًّا.

فانظر! العدو يتصيد الأخطاء على المسلمين، فهذا يهودي، يهودي على دين اليهود جاء للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُوْنَ، تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ! مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ! فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ».أن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت، ونهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد. فهذا فيه -كما يقول الشيخ- فهم الإنسان إذا كان له هوى، اليهودي له هوى، ليس قصده الحق، لكن له هوى بتنقص المسلمين، فوجد هذه الغلطة؛ يقولون: ما شاء الله وشاء محمد، وهذا شركٌ؛ لأن الواو تقتضي التشريك والمساواة. النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعنف عليه مع أنه عدو، لم يعنف عليه؛ لأن هذا حق، والحق يقبل ممن جاء به ولو كان عدوًا، قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر، ونبه عليه، فكان ذلك سبب خير للمسلمين، مجيء هذا اليهودي صار سبب خير للمسلمين؛ حيث إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجههم إلى الطريق الصحيح بسبب مجيء هذا اليهودي الذي لم يأت ناصحًا، وإنما جاء معيرًا، ولكن المسلم يقبل الحق ممن جاء به ولو كان عدوًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَتَقُوْلُوْنَ: وَالكَعْبَةِ!)**، تحلفون بالكعبة، والكعبة مشرفة، ولها مكانة عظيمة في الإسلام وعند المسلمين وعند الله قبل ذلك؛ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦]، هذه الكعبة المشرفة، ومع هذا لا يجمع بينها وبين المخلوق في الحلف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ**)، أرشدهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصواب، وأخذ بقول اليهودي لما جاء بالحق، فالحق يُقبل ممن جاء به، فأمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتعديل العبارة بدل: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، تقول: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ. العبد له مشيئة بلا شك، والله له مشيئة؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، لكن تُجعل مشيئة العبد بعد مشيئة الله، ويفصل بينهما بـ«ثم»، لا بالواو، والحديث وإن كان ضعيفًا فإنه يُعمل به في مجال الأمر والنهي احتياطًا.

فلا يجوز الحلف بالمخلوق، ولو كان هذا المخلوق فاضلًا معظمًا مثل الكعبة لا يحلف بها، لا يقال: والكعبة، وإنما يقال: ورب الكعبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه: قبول الحق ممن جاء به كائنًا من كان**)، يعني: ولو كان عدوًّا، ولو كان هو عنده أخطاء أكبر من ذلك، فإننا نقبل الحق. فلوكان عدوًا، إذا جاءك العدو بالحق، فإنك تقبله، وتعمل به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة**)، الكعبة معظمة، وهي بيت الله، هي بيت الله العتيق، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦]. هي بيت الله العتيق، ومع هذا لا يجوز الحلف بها، فلا تقل: والكعبة، لكن تحلف برب الكعبة؛ لأن الله رب كل شيء ومليك، فلا يحلف إلا بالله؛ «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا**

فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ»[١]؛ لأن الحلف بالشيء تعظيم لـه، التعظيم حقٌّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه: بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة)**، الكعبة وإن كانت عظيمة معظمة ومشرفة، ولكنها مخلوقة، لا يحلف بها، ويتوجه إليها المسلمون في صلواتهم وفي دعواتهم في أي مكان، هي بيت الله العتيق، بيت الله المحرم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا يبين أن النهي عن الشرك بالله عام)**، النهي عن الشرك عام في الشرك الأصغر والشرك الأكبر، لا يتساهل في الشرك الأصغر؛ لأنه يقود إلى الشرك الأكبر، وهو وسيلة إليه. فالنهي عن الشرك عام، سواء صدر من كافر أو من مسلم ينهى عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا يصلح منه شيء، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل)**، لا لملك مقرب كجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا لنبي مرسل وهو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه)**، ولا بالكعبة مع أنها بيت الله العتيق، ومكانتها في الإسلام عظيمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه)**، ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ** ﴾ [آل عمران:٩٦، ٩٧]، ومقام إبراهيم هو الصخرة التي كان يقف عليها حين يبني الكعبة، ترتفع به وتنخفض بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فجعل الله لها

(١) سبق تخريجه (ص٧٨).

مكانة وشرفًا، وفيها آثار قدمي إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيها آثار قدمي إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم)**، انتبهوا! ينبهكم الشيخ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله)**، من الجهال من يسأل الكعبة، ويتعلق بها، ويشتد عندها، هي بيت الله بلا شك، بيت الله العتيق، ولكنها محل عبادة ودعاء، وليست محل استنجاد بها، أو طلب شيء منها، فهم يحلفون بالكعبة، ويشركون بالكعبة، فلا يجوز هذا، لا يجوز شيء من الشرك، ولو كان شركًا أصغر؛ لأن التهاون به يجر إلى الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر ولا تنفع)**، هي بيت الله جَلَّ وَعَلَا، بيت الله العتيق التي يحج إليها ويعتمر إليها، ويصلى إليها في جميع أقطار الأرض؛ يتجهون إليها في صلاتهم؛ ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤]، يعني: نحوه وجهته.

فالكعبة لا تضر ولا تنفع، هي حجارة وبنيان، لكنها مشعر من شعائر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أي: علامات العبادة التي وضعها الله لعباده، فهي مشعر؛ يعبد الله عندها، ويطاف بها، ويحج ويعتمر إليها، ويصلى إليها، المسلمون في أقطار الأرض في مشارق الأرض ومغاربها يتوجهون في صلاتهم ودعائهم إلى الكعبة بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها)**، ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩]، أمر الله بالطواف بها تطوعًا أو واجبًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وجعلها للأمة قبلة)**، جعل الله الكعبة للأمة قبلة؛ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٤٤]؛ لأن القبلة كانت في أول الإسلام إلى بيت المقدس، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحب أن يستقبل الكعبة، علم الله ذلك منه؛ ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، كان ينظر إلى السماء يتحرى أن ينزل الأمر بالتوجه إلى الكعبة. ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤]؛ فالذي يرى الكعبة لابد أن يتوجه إليها، إلى عينها، لابد أن يتوجه إلى عينها، وأما الذي لا يرى الكعبة، فإنه يتوجه إلى الجهة التي فيها الكعبة؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل المدينة: «**مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ**»[(١)]، فكلما ابتعد الإنسان عن الكعبة، اتسع الاتجاه إليها، كل أهل الأرض من المسلمين يتوجهون إلى الكعبة في أي مكان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالطواف بها مشروع، والحلف بها ودعاؤها ممنوع)**، الطواف بالكعبة مشروع، والحلف بها ممنوع؛ الحلف لا يكون إلا بالله، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٢، ٣٤٤)، وابن ماجه (١٠١١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فميز -أيها المكلف- بين ما يشرع وما يمنع)**؛ في حق الكعبة وغيرها. لا تنظر إلى الناس وأفعالهم، وإنما تنظر إلى ما جاء به جبريل إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما بلغه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته، خذ هذا، ولا تحد عنه، وإن خالفك الناس، ولو آذوك وازدروك، لا تلتفت إليهم، كن مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من كان مع الله، كان الله معه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن خالفك من خالفك من جهة الناس الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلًا)**، لا تنظر إلى الناس، انظر إلى الشرع المطهر وما جاء به، لا تنظر إلى العادات والتقاليد التي ما أنزل الله بها من سلطان، انظر إلى الشرع المطهر، وهو ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاعمل به، واثبت عليه، وادع إليه.

....

ش: قوله: «وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، والعبد وإن كان له مشيئة، فمشيئته تابعة لمشيئة الله، ولا قدرة له على أن يشاء شيئًا إلا إذا كان الله قد شاءه؛ كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الإنسان:٢٩، ٣٠]، وفي هذه الآيات والأحاديث الرد على القدرية والمعتزلة -نفاة القدر- الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله تعالى من العبد وشاءه، وسيأتي ما يبطل قولهم في: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ) إن شاء الله، وأنهم مجوس هذه الأمة.

وأما أهل السنة والجماعة، فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى في كل شيء مما يوافق ما شرعه الله وما يخالفه من أفعال العباد وأقوالهم، فالكل بمشيئة الله وإرادته، فما وافق ما شرعه، رضيه وأحبه، وما خالفه، كرهه من العبد؛ كما قال تعالى: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ [الزمر:٧] الآية.

وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك، فإنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقر اليهودي على قوله: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ»)**، يعني قول اليهودي، الإنسان إذا صار له هوى، التمس الزلات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»)**، قبله الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قبل هذا، ولم يقل: وأنتم اليهودي عندكم كذا وكذا من الطوام، بل قبل هذا التنبيه، ولو كان من عدو.

أقره النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بأن هذا شرك، أقره على هذا؛ لأنه شرك، لأنه جمع بين الله وبين العبد بالواو، والواو تقتضي المشاركة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والعبد وإن كان له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله)**، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، فالعبد له مشيئة، والله له مشيئة، فلا تجمع بينهما بالواو، ولكن رتب مشيئة العبد على مشيئة الله؛ ما شاء الله ثم شئت.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا قدرة له على أن يشاء شيئًا إلا إذا كان الله قد شاءه)**، بلا شك؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩])**، فأثبت له سبحانه مشيئة، وأثبت للعبد مشيئة، وجعلها مترتبة على مشيئة الله، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، أثبت الله لنفسه -سبحانه- مشيئة، وأثبت لعبده مشيئة، ولكن لا يُجمع بينهما بالواو، فيقال: ما شاء الله وشئت، بل يقال: ما شاء الله ثم شئت؛ تكون مشيئة العبد بعد مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الإنسان:٢٩، ٣٠])، القرآن تذكرة، ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدثر:٥٥]، يعني: قرأه وعمل به، ﴿فَمَن شَآءَ﴾: بمشيئته، فالعبد يعمل بمشيئته، وأثبت الله له مشيئة. إذًا فالحديث وإن كان فيه ضعفٌ فإن الآية تؤيده، الآية تؤيده، وتثبت للعبد مشيئة، ولكنها بعد مشيئة الله، هذا هو التوحيد.

والشاهد منها: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ فأثبت للعبد مشيئة، وأثبت لنفسه مشيئة، وجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]. أثبت للعبد مشيئة، ﴿فَمَن شَآءَ﴾، يعني: منكم، من شاء منكم أيها المخاطبون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي هذه الآيات والأحاديث الرد على القدرية والمعتزلة- نفاة القدر- الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله -تعالى- من العبد وشاءه**)، الجهمية والمعتزلة وفرق الضلال يثبتون للعبد مشيئة، لكن يغلون فيها، يغلون في مشيئة العبد، ويخرجونها عن مدارها الصحيح ويعظمونها.

أما أهل الإيمان، فهم يوافقون الكتاب والسنة؛ فيجعلون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

جاء رجلٌ إلى أحد المعتزلة، وقال له: إِنَّ نَاقَتِي سُرِقَتْ فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيَّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ نَاقَةَ هَذَا الْفَقِيرِ سُرِقَتْ، وَلَمْ تُرِدْ سَرِقَتَهَا، اللَّهُمَّ ارْدُدْهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا شَيْخُ، الْآنَ ذَهَبَتْ نَاقَتِي وَأَيِسْتُ مِنْهَا، قَالَ: وَكَيْفَ؟

قَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ لَا تُسْرَقَ فَسُرِقَتْ، لَمْ آمَنْ أَنْ يُرِيدَ رُجُوعَهَا، فَلَا تَرْجِعَ، وَنَهَضَ مِنْ عِنْدِهِ مُنْصَرِفًا. إذا كان الله لم يرد أن تُسرق وسُرِقت، فإنني أخشى -يعني: باعتقادك-، فإنني أخشى أن يشاء الله ردها، فلا ترد، أعرابي أدرك هذا، وأنكر على المعتزلي(١).

فهذا فيه ردٌّ على الجهمية والمعتزلة الذين لا يثبتون لله مشيئة، المعتزلة لا يثبتون لله مشيئة، وكذلك أشياخهم الجهمية -نسأل الله العافية-، فينفون صفة عظيمة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

فالقدرية نفاة القدر؛ الذين يقولون عن الأمر: آنفٌ، وليس هناك قدرٌ سابق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وسيأتي ما يبطل قولهم في: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ) إن شاء الله، وأنهم مجوس هذه الأمة)**، هذا الكتاب -كتاب التوحيد- كتاب عظيم، والله إنه عظيم؛ فيه تحقيق التوحيد الخالص لله عَزَّوَجَلَّ، وفيه نفي عقائد أهل الجاهلية وأهل الشرك والفرق الضالة؛ لأنهم ينكرون القدر، الجهمية والمعتزلة ينكرون القدر، والله جَلَّوَعَلَا قدر كل شيء؛ ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان:٢]، فهم ينفون القدر، وينفون سائر الصفات، ولذلك سُمِوا بالمعطلة؛ لأنهم عطلوا الله جَلَّوَعَلَا من أسمائه وصفاته -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا!

---

(١) انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٤/ ٢٨٠)، واعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ٨٥٦)، والأذكياء لابن الجوزي (ص٩١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأنهم مجوس هذه الأمة)**، المعتزلة مجوس هذه الأمة، لماذا؟ المجوس جعلوا إلهين اثنين: خالق للخير وخالق للشر، خالق للنور وخالق للظلمة، المجوس جعلوا إلهين اثنين ، ولذلك يسمون الثنوية؛ لأنهم جعلوا إلهين اثنين -نسأل الله العافية-، فالذي يشبههم من هذه الأمة هم المعتزلة؛ لأن المعتزلة أثبتوا خالقين: أن العبد له مشيئة خارجة عن مشيئة الله، فجعلوه شريكًا لله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة في هذا الباب وغيره، واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله -تعالى- في كل شيء)**، أهل السنة والجماعة تمسكوا بما جاء في الكتاب والسنة، فأثبتوا ما أثبته الكتاب والسنة، وقد أثبت الكتاب والسنة المشيئة للعبد، أثبتوها للعبد، ولكن جعلوها مترتبة وتابعة لمشيئة الله جَلَّ وَعَلَا، وهذا هو الحق البين الواضح؛ فالله قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، فجعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ومترتبة عليها، مشيئة العبد تكون صحيحة، وتكون باطلة، إذا شاء الباطل وشاء الانحراف، فإنه مشيئته باطلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فما وافق ما شرعه رضيه وأحبه، وما خالفه كرهه من العبد)**، كرهه ونهى عنه، فليس من لازم المشيئة: المحبة؛ فقد يشاء الله شيئًا ولا يحبه؛ مثل كفر الكافر، ضلال الضال؛ شاءه الله، لكن لا يحبه، وإنما شاءه لحكمة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أما الإرادة، فهي قسمان: الإرادة الكونية، والإرادة الشرعية.

الإرادة الشرعية من لازمها المحبة، وأما الإرادة الكونية، فليس من لازمها المحبة؛ قد يريد الله كونًا، وهو لا يحبه شرعًا؛ من باب الابتلاء والامتحان والحكم التي لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**كما قال تعالى:** ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر:٧] **الآية**)، لو كفر أهل الأرض كلهم، ما نقص ذلك من ملك الله شيئًا، ولكن كفرهم يعود ضرره عليهم، وأما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لا تضره معصية العاصي، ولا تنفعه طاعة المطيع، وإنما النفع والضرر يرجعان إلى المخلوق، إلى صاحب المشيئة، صاحب الإرادة.

﴿ إِن تَكْفُرُوا ﴾: دل على أن العبد يكفر بإرادته، وليس مجبرًا -كما تقوله الجبرية-، يكفر بإرادته، ويطيع بإرادته، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك**)؛ لأن الكعبة مخلوق، ولا يجوز الحلف بالمخلوق، بل هو من الشرك بالله؛ «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»(١)، فلا يجوز الحلف بمخلوق؛ لا الكعبة، ولا غير الكعبة؛ «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢)، وهذا سيأتي له بابٌ مستقل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك، فإنَّ النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أقر اليهودي على قوله: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ»**)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أقر اليهودي على قوله: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ»، ولم يرد عليه ذلك؛ لأنه حق، والحق يقبل ممن جاء به.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤).
(٢) سبق تخريجه (ص٧٨).

وَلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[(١)].

ش: هذا يقرر ما تقدم من أن هذا شرك؛ لوجود التسوية في العطف بالواو.

وقوله: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا»، فيه بيان أن من سوّى العبد بالله، ولو في الشرك الأصغر، فقد جعله ندًّا لله، شاء أم أبى -خلافًا لما يقوله الجاهلون-، بما يختص بالله من عبادته، وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَلَهُ أَيْضًا**)، وله: الذي روى الحديث الأول النسائي، فسنن النسائي رَحِمَهُ اللَّهُ من أحق وأطيب كتب السنن.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، قَالَ: أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»**)، رجلٌ قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»، بالواو. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منكـرًا عليه، «**أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟**»، يعني: شريكًا؛ حيث شركت بيني وبينه في المشيئة.

---

(١) أخرجه بنحوه أحمد (٣/ ٣٣٩، ٤٣١، ٤/ ٣٤١، ٥/ ٢٩٧)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٣٦٢)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢١٧)، وفيه: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ عَدْلًا...**». وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٧٤)، والطبراني في الكبير (١٣٠٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٩) وفيه: «**جَعَلْتَ للهِ نِدًّا...**».

«قُلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»، فأرشده إلى الصواب وإلى التوحيد، وإلى ما يبرئ الذمة، وهذا من نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإرشاده لواحد من الأمة إرشاد لجميع الأمة، وأمره لواحد أمر لجميع الأمة، إلا إذا دل دليل على خصوصية هذا الشخص.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال الشارح)**، الشارح: الذي هو سليمان بن محمد بن عبد الوهاب الذي قتله إبراهيم باشا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(هذا يقرر ما تقدم من أن هذا شرك، لوجود التسوية في العطف بالواو)**، العطف بالواو، أما لو كان بـ«ثم»، فإنه صحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقوله: «أَجَعَلْتَنِي لِلهِ نِدًّا»، فيه بيان أن من سوى العبد بالله، ولو في الشرك الأصغر، فقد جعله ندًّا لله، شاء أم أبى)**، ندًا: أي مساويًا لله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فقد جعله ندًّا لله، شاء أم أبى)**، ولو قال: أنا لم أقصد، العبرة ليست بالقصد، العبرة باللفظ، العبرة باللفظ المنهي عنه، لا تأت به، ولو أنك لم تقصد، أما لو قصد، فيكون هذا الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه)**، الأكبر والأصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين)**، هذا حديث، هذا حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»**[(١)]، فمن وفقه الله للفقه في الدين، فهذا دليل على أن الله أراد به خيرًا، ومن حرمه الفقه في الدين، فهذا دليل على أن الله أراد به غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَلابْنِ مَاجه عَنِ الطُّفَيْلِ -أَخِي عَائِشَةَ لأُمِّهَا- قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ اليَهُوْدِ. قُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ! قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ! ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: المَسِيْحُ ابْنُ اللهِ! قَالُوا: وَأَنْتُمْ لأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ! فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا؛ أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُوْلُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»[1].

ش: قوله: (عَنِ الطُّفَيْلِ أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا) هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة، أخو عائشة لأمها، صحابي له حديث عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنف في الباب[2].

وهذه الرؤيا حق، أقرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمل بمقتضاها، فنهاهم أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ»، وأمرهم أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨) بغير هذا اللفظ، وأخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ٢٩٦) بنحوه.

(٢) انظر في ترجمة الطفيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: معجم الصحابة للبغوي (٣/ ٤٣٠)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/ ١٥٦٥)، والاستيعاب (٢/ ٧٥٦)، والإصابة (٣/ ٤٢١).

وهذا الحديث والذي قبله أمرهم فيه أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»، ولاريب أن هذا أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: ثم شاء فلان؛ لأن فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه، فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص.

قوله: «كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا». ورد في بعض الطرق: «أنه كان يمنعه الحياء منهم»(١)، وبعد هذا الحديث الذي حدثه به الطفيل عن رؤياه خطبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنهى عن ذلك نهيًا بليغًا، فما زال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبلغهم حتى أكمل الله له الدين، وأتم له به النعمة، وبلغ البلاغ المبين -صلوات الله وسلامهم عليه وعلى آله وصبحه أجمعين.

وفيه معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(٢).

قلت: وإن كانت رؤيا منام، فهي وحي يثبت بها ما ثبت بالوحي أمرًا ونهيًا -والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ الطُّفَيْلِ -أَخِي عَائِشَةَ لِأُمِّهَا)، أم عائشة: أم رومان، وهي والدة -أيضًا- للطفيل.

---

(١) هي رواية أحمد في المسند (٣٤/ ٢٩٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٢١٣)، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٦١)، والطبراني في الكبير (٨/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٨٩) من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (٦٩٨٨)، ومسلم (٨، ٢٢٦٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ: رَأَيْتُ كَأَنِّي أَتَيْتُ عَلَى نَفرٍ مِنَ اليَهُوْدِ**)، رأيت: يعني: هذا في الرؤيا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ القَوْمُ؛ لَوْلَا أَنَّكُمْ تَقُوْلُوْنَ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ!**)، هذه مقالة اليهود: عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ.

عُزَيْرٌ: هو عزرا، هو يسمونه عزرا بلسان اليهود، وهو عُزَيْرٌ، عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ -تعالى الله عما يقولون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ**)، بهذه الرؤيا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا**)، كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا، يعني: الحياء، كان يمنع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أن ينبه عليها الحياء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذه الرؤيا حق، أقرها رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وعمل بمقتضاها**)، الرؤيا لا يشرع بها أحكام إلا إذا أقرها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أقرها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يشرع بها أحكام، أما مجرد الرؤيا من غير أن يقرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يشرع بها أحكام، ولكن يُعمل بها في الخير، ويُترك الشر الذي نبهت عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذا الحديث والذي قبله أمرهم فيه أن يقولوا: «مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»، ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص، وأبعد عن الشرك**)، هذا من تكميل التوحيد، أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص)**، يتجنب الألفاظ التي فيها محظور، ويلتزم بالألفاظ السليمة، ويقوم مقاله حتى يسلم من الوقوع في الخطأ أو الشرك أو الذم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبعد هذا الحديث الذي حدثه به الطفيل عن رؤياه خطبهم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فنهى عن ذلك نهيًا بليغًا، فما زال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يبلغهم حتى أكمل الله له الدين، وأتم له به النعمة، وبلغ البلاغ المبين- صلوات الله وسلامهم عليه وعلى آله وصبحه أجمعين)**، لم يترك شيئًا يُقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا إلا وبينه لأمته، ولم يترك شيئًا يُبعد عن الله إلا وبينه لأمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، وأمرنا بالاقتداء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه معنى قوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»)**، الرؤيا الصالحة، ليس كل رؤيا، لكن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما بُدئ به قبل بعثته في الرؤيا؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وإن كانت رؤيا منام، فهي وحي يثبت بها ما ثبت بالوحي أمرًا ونهيًا -والله أعلم)**؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقرها، ولم يقرها إلا بالوحي.

---

(١) أخرجه البخاري (٣، ٤٩٥٣، ٤٩٥٥، ٤٩٥٦، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ».

فِيْهِ مسَائِلُ:

الأُوْلَى: مَعْرِفَةُ اليَهُوْدِ بِالشِّرْكِ الأَصْغَرِ.

الثَّانِيَةُ: فَهْمُ الإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟!»[(١)]، فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ: (مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ). وَالبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ؟!

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا».

الخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الوَحْيِ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَدْ تَكُوْنُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الأَحْكَامِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأُوْلَى: مَعْرِفَةُ اليَهُوْدِ بِالشِّرْكِ الأَصْغَرِ)**؛ لأن لهم هوى، والإنسان إذا كان له هوى، فإنه يعرف حتى الصغائر من الذنوب؛ ليعير بها غيره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: فَهْمُ الإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لَهُ هَوًى)**، فهذا اليهودي لما كان هوى على المسلمين، فهم الخطأ الذي يقع فيه بعض المسلمين، فنبه عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟!» فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ: (مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ). وَالبَيْتَيْنِ بَعْدَهُ؟!)**، صاحب البردة البوصيري، يقول البوصيري في بردته -قصيدة تسمى البردة-:

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٤).

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ، يعني: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أكرم الخلق بلا شك.

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِيْ مَنْ أَلُوْذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ

إِنْ لَمْ تَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا، لاحظ! -والعياذ بالله- الشرك.

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا، يعني: الآخرة، الدنيا والآخرة من جود الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس لله فيها شيء -تعالى الله عما يقول!

فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتَهَا ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللوْحِ وَالقَلَمِ

وهذا أشد -والعياذ بالله-، جعل ما كُتِب في اللوح بعض علم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الغلو -والعياذ بالله- والشرك فظيع، ومع هذا يقرؤونها، يقرؤونها الآن في الموالد ويرددونها، يفرحون بها؛ البردة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنَ الشِّرْكِ الأَكْبَرِ، لِقَوْلِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا**»)، ولو كان من الأكبر، لما منعه الحياء أن ينكره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ مِنْ أَقْسَامِ الوَحْيِ**)، جزء من النبوة، كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول ما بُدئ به الرؤيا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: أَنَّهَا قَدْ تَكُوْنُ سَبَبًا لِشَرْعِ بَعْضِ الأَحْكَامِ**)، الرؤيا تكون سببًا لشرع بعض الأحكام إذا كان هذا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه نهى عن هذا القول، وسبب هذا الرؤيا التي رُئيت.

٤٤- بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

ش: قوله: (بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللهَ)، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

قال العماد ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية:٢٤]، أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البدأة والرجعة.

وتقول الفلاسفة الدهرية الدورية، المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾. قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤]، أي: يتوهمون ويتخيلون[1].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٨- ٢٦٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى الله**)، من سب الدهر، فقد آذى الله، وفي رواية: «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»(١)، فإذا سب الدهر، سب من خلقه، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والدهر إنما هو وقت للأعمال لا يسب.

قول المصنف: (**مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى الله**)، هذا أخذ من الحديث: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»، وليس الدهر من أسماء الله، وإنما بيَّن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معنى آذى الله في أن الدهر إنما هو زمان ووقت للأعمال من خير أو شر، فهو لا يُسب، وإنما يُسب فعل العصاة والمذنبين الذين يستغلون الدهر لغير ما خُلِق له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى الله**)، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتأذى، ولكنه لا يتضرر، يتأذى بأفعال الناس والخلق التي لا تليق، وهو لا يتضرر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى**: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤])، هؤلاء الكفار الذين ينسبون الحوادث إلى الدهر، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.

الدهر إنما هو وقت للأعمال، ولا ينسب إليه شيء من أفعال بني آدم، إنما أفعالهم تعود عليهم، والدهر بريء منها، وليس الدهر من أسماء الله سبحانه؛

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦، ٦١٨١، ٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين، قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله عَزَّوَجَلَّ: «**وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، فالذي يقلب الليل والنهار هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾)، ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾: لا يؤمنون بالآخرة.

﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ ﴾، أي: الكفار، ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾.

ثم نسبوا ذلك، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾، ولم ينسبوا ذلك إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي يحيي ويميت، والذي بيده الأمر، والذي خلق الدهر، خلق الليل والنهار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾)، ما لهم بهذا الكلام من علم، إنما هو من عند أنفسهم؛ لأنهم لم يتلقوا العلم عن أهله المعروفين به، فصاروا يتخرصون ويتخبطون، ويقولون ما لا يليق في جناب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال العماد ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [الجاثية:٢٤]، أي: ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة)**، هذا إنكار للبعث.

﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، يعني: ينكرون الآخرة والبعث.

﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء:٤٩]، هكذا يقولون. وهذا كفرٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كفرٌ بما جاءت به الرسل من

الإخبار عن البعث والنشور والجزاء والحساب، وأن هناك يومًا بعد الدنيا، وهو اليوم الآخر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البدأة والرجعة)**، هو كفرٌ موروث عن السابقين من كفار الأمم الذين ينكرون البعث والنشور، ويقولون: ما هي إلا هذه الدنيا فقط، وليس هناك بعث، ولا يوم آخر ولا حساب ولا جزاء، هكذا يقولون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية، المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه)**، كلها أقوال باطلة وأقوال تخمينية؛ لأنهم أعرضوا عن الرسل وعما جاءوا به من الإخبار عن البعث والنشور، وعن الجزاء والحساب، وأن هناك يوما ينتظرهم، وهو اليوم الآخر الذي لابد لكل الخلق من ملاقاته، لا سيما البشرية.

الله جَلَّ وَعَلَا خلق الدنيا وجعلها مزرعة للآخرة، فالسعادة في الآخرة مبنية على العمل الصالح، والعمل الصالح إنما هو في الدنيا، فالدنيا مزرعة للآخرة، فمن حفظ دنياه، حفظ آخرته، ومن ضيع دنياه، ضيع آخرته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول)**، الفلاسفة الذين يدعون الحكمة ويسمون بالحكماء، فهذا اعتقادهم في حياتهم وفي معادهم؛ لأنهم لم يتبعوا الرسل عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

الذين جاءوا بالبيان التام، وبينوا أن الله خلق الدنيا وخلق الآخرة، فالدنيا مزرعة الآخرة؛ فمن حفظ دنياه بالخير والعمل الصالح، حفظ آخرته، وسعد فيها، ومن ضيع دنياه وعاش عيشة البهائم في هذه الدنيا، فإنه يكون خاسرًا في اليوم الآخر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولهذا قالوا:** ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية:٢٤])، ينسبون الموت للدهر، وينسون الله جَلَّ وَعَلَا الذي يحيي ويميت، والذي بيده الأمر في الأول والآخر، فهذا خسران -والعياذ بالله- كما أنهم يدعون الحكمة، ويدعون المعرفة، لكن كل معرفة وكل قول لا يكون له دليل مما جاءت به الرسل، فإنه قول ضائع وقول باطل.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[(١)].

وَفِي رِوَايَةٍ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»[(٢)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «قَالَ اللهُ تَعَالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**)، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: «**يُؤْذِيْنِي ابْنُ آدَمَ**»، فالله يتأذى، ولكنه لا يتضرر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يؤذيه ابن آدم.

«**يَسُبُّ الدَّهْرَ**»: يقول: ما يهلكنا إلا الدهر، والذي يحيي ويميت هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدهر ليس له دخل إلا أنه وقت للعمل، وقت للعمل من خير أو شر، وهذا العمل يحصى ويسجل، ثم يوم القيامة يلقاه صاحبه؛ ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٣-١٥].

الله جَلَّ وَعَلَا أقام الحجة على عباده ببعثة الرسل، وإنزال الكتب، فلم يبق لأحد حجة على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢) (٢٢٤٦).
(٢) أخرجه مسلم (٥) (٢٢٤٦).

....

ش: فأما الحديث الذي أخرجه صاحب الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

وفي رواية: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**».

وفي رواية: «**لَا يَقُلْ ابْنُ آدَمَ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُرْسِلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا**»(١).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي رواية: «**لَا يَقُلْ ابْنُ آدَمَ يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُرْسِلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا**»)، هذا يوضح أن قول الله جَلَّ وَعَلَا: «**وَأَنَا الدَّهْرُ**» ليس الدهر من أسماء الله، الله جَلَّ وَعَلَا وضح ذلك بقوله سبحانه: «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، فالذي يتصرف في الدهر هو الله جَلَّ وَعَلَا، وليس الدهر هو الذي يتصرف، وإنما الدهر وقت للعمل من خير أو شر.

---

(١) أخرجه مسلم (٣) (٢٢٤٦)، والبخاري (٦١٨٢) مختصرًا.

....

ش: قال في شرح السنة: حديث متفق على صحته، أخرجاه من طريق معمر، من أوجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال: ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد، سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر. اهـ. باختصار(١).

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًّا بهذا الطريق، قال: (كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله تعالى في كتابه: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية:٢٤] ويسبون الدهر. فقال الله عَزَّ وَجَلَّ:«يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»(٢).

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله، ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يَقُولُ اللهُ تعالى:

---

(١) انظر: شرح السنة للبغوي (١٢/ ٣٥٧).
(٢) أخرجه الطبري (٢١/ ٩٧).

يَسُبُّ ابْنُ آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِيَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ»[١]، وأخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به[٢].

وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: يَقُولُ اللهُ تعالى: «اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي، وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ: وَادَهْرَاهْ، وَأَنَا الدَّهْرُ»[٣].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل؛ لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر)**، هذا شأن أهل الجاهلية؛ أنهم ينسبون ما يصيبهم من المكاره إلى الدهر، ولا يقرون أن ذلك بسبب ذنوبهم ومعاصيهم؛ حتى يحفزهم هذا على التوبة وإصلاح العمل، ينسون هذا، وينسبون كل ما يصيبهم إلى الدهر؛ أنه هو الذي أماتهم، وهو الذي أصابهم، وهو الذي حصل منه كذا وكذا، هذه عقيدة جاهلية مخالفة لما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب؛ أن الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي خلق الدنيا وخلق الآخرة، وجعل الدنيا مزرعة للآخرة، فمن صلحت دنياه، صلحت آخرته، ومن ساءت دنياه، ساءت آخرته، ولا يظلم ربك أحدًا.

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٩١).
(٢) أخرجه من هذا الطريق: البخاري (٦١٨١)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٢٥٤).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٣/ ٣٦٨، ١٦/ ٣٤٠)، والطبري في تفسيره (٢١/ ٩٧)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٣٥٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١١٣)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٢، ٥٣٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلى الله** عَزَّوَجَلَّ**؛ إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر)**؛ لأن الدهر إنما هو وقت للعمل، سواء كان عملًا طيبًا أو عملًا سيئًا، وقت للعمل فقط، وليس الدهر هو الذي يحدث، إنما هذا بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقال الله** عَزَّوَجَلَّ: **«يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)**، هذا فيه إبطال لما يعتقده أهل الجاهلية من أن ما يصيبهم إنما هو من الدهر، ومن طول الحياة، ومما يقع فيها، وينسون الله – سبحانه– المدبر الخالق المحيي المميت، ينسون الله جَلَّ وَعَلَا.

ومعنى قوله: **(وَأَنَا الدَّهْرُ)**: ليس الدهر من أسماء الله؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه، بين ذلك بقوله: **«وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»**، هذا معنى قول الله: **«وَأَنَا الدَّهْرُ»**، أي: أن الله هو الذي يقلب الدهر، يقلب الليل والنهار، بيده الأمر، ﴿**أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الأعراف:٥٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: يَقُولُ اللهُ تعالى: «اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي، وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ: وَادَهْرَاهْ، وَأَنَا الدَّهْرُ»)**، الأحاديث بمعنى واحد؛ أن الدهر ليس له تصرف، وإنما الدهر وقت للعمل من خير أو شر، وأن الأمور كلها بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالله جَلَّ وَعَلَا بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأما الشر، فلا يُنسب إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وإنما ينسب إلى فعل العبد؛ هو الذي اكتسب هذا العمل السيء،

وهو الذي نسي الآخرة والبعث والنشور، وأطلق لنفسه العنان، ولم يكن في حسبانه أن هناك بعثًا ونشورًا وحسابًا وجزاء، بل أكثرهم لا يؤمن بالآخرة، وإنما يقول: إنما هي حياتنا الدنيا، وما يهلكنا إلا الدهر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(إن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: يَقُولُ اللهُ -تعالى-: «اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي، وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ: وَادَهْرَاهْ، وَأَنَا الدَّهْرُ)**، في هذا الحديث يقول الله: **«اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي»**، بمعنى: أن الله أمر عبده أن يتصدق، وأن يعمل الأعمال الصالحة من ماله، فبخل بذلك، وأمسك المال، وضيع آخرته، لم يقدم لها شيئًا.

الله أعطاه هذا المال من أجل أن يعمل به عملًا صالحًا يجده في آخرته، ولم يعطه هذا المال ليعبث به، أو ليتكبر به على الناس، وإنما أعطاه هذا المال ليتمكن به من العمل الصالح ومن الصدقات، وإيتاء الزكاة، والنفقة على أهله ومن تلزمه نفقته، بل إنه أساء التصرف في هذا المال الذي أقرضه الله إياه.

«اسْتَقْرَضْتُ عَبْدِي فَلَمْ يُعْطِنِي»: الله جَلَّ وَعَلَا أمر بالصدقات، وأمر بإخراج الزكاة، وأمر بالإنفاق في وجوه الخير، كل هذا قرض أقرضه ربه، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خير الرازقين.

فالله جَلَّ وَعَلَا ليس بحاجة إلى أعمال العباد، وإنما هم المحتاجون إليها، لكن برحمته أنه يتقبلها منهم، ويثيبهم عليها، ويضاعفها لهم، فهذا من فضله وإحسانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («**وَسَبَّنِي عَبْدِي، يَقُولُ: وَادَهْـرَاهْ، وَأَنَـا الدَّهْرُ**»)، **يقول**: «**وَادَهْرَاهْ**»: يشكو دهره، والله هو الدهر وقد بين الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا، قال: «**بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، هذا معنى: «**وَأَنَا الدَّهْرُ**»، وليس الدهر من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: قَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»: كَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بلاء أو ملامة، قالوا: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسُبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا هُوَ اللهُ، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللهَ -سبحانه-؛ لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الحَقِيقَةِ، فَلِهَذَا نهي عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ؛ لِأَنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ الَّذِي يَعْنُونَهُ، وَيُسْنِدُونَ إِلَيْهِ تِلْكَ الْأَفْعَالَ. هَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي تَفْسِيرِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ حَزْمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِّهِمُ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الحُسْنَى؛ أَخْذًا مِنْ هَذَا الحَدِيثِ... اهـ[(١)].

وقد تبين معناه في الحديث بقوله: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.

وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي قوله: «بِيَدِي الأَمْرُ»[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَانَتِ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا إِذَا أَصَابَهُمْ شِدَّةٌ أَوْ بلاء أو ملامة، قالوا: يا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَيُسْنِدُونَ تِلْكَ الْأَفْعَالَ إِلَى الدَّهْرِ وَيَسُبُّونَهُ، وَإِنَّمَا فَاعِلُهَا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٦٩-٢٧٠).

(٢) هذه الزيادة وردت عند البخاري (٤٨٢٦، ٧٤٩١)، وأبي داود (٥٢٧٤)، والطبري (٢١/ ٩٧).

هُوَ اللهُ، فَكَأَنَّهُمْ إِنَّمَا سَبُّوا اللهَ -سبحانه؛ **لِأَنَّهُ فَاعِلُ ذَلِكَ فِي الحَقِيقَةِ**)، إذا سبوا الدهر، سبوا الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله هو الذي بيده الأمر والتدبير، والخلق والإيجاد، وأما الدهر فإنما هو وقت للعمل فقط، من حفظه وعمل فيه عملًا صالحًا، وجده عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن ضيعه، فإنه خسر الدنيا والآخرة؛ كما في القرآن: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَدْ غَلِطَ ابْنُ حَزْمٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وَمَنْ نَحَا نَحْوَهُ مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ فِي عَدِّهِمُ الدَّهْرَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الحُسْنَى، أَخْذًا مِنْ هَذَا الحَدِيثِ**)، ابن حزم والظاهرية غلطوا في هذا، ظنوا أن هذا هو المقصود بهذا الحديث، مع أن المقصود بقوله تعالى: «**وَأَنَا الدَّهْرُ**»، كما بينه في نفس الحديث: «**أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، هذا معنى: «**وَأَنَا الدَّهْرُ**».

الدهر إنما هو مخلوق، وهو زمان للعمل، وليس الدهر هو الذي يصيب الناس، أو أن الموت إنما هو من أفعال الدهر، وإنما الحياة والموت بيد الله، والدهر إنما هو زمان للعمل الصالح والعمل السيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد تبين معناه في الحديث بقوله: «أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه**)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن معنى قوله: «**وَأَنَا الدَّهْرُ**» أنه يقلب الليل والنهار، الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي يقلب الليل والنهار، فبيده الأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص:٧١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، **وهي قوله: «بِيَدِي الأَمْرُ»**)؛ لأن هذه اللفظة تفسر قوله: «**وَأَنَا الدَّهْرُ**».

....

ش: قوله: (وَفِي رِوَايَةٍ: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فإنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»).

معنى هذه الرواية: هو ما صرح به في الحديث من قوله: «وَأَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، يعني: أن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتدبيره، بعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره؛ ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين، وحسن الظن به -سبحانه وبحمده-، والرجوع إليه بالتوبة؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين؛ كابن المعتز والمتنبي وغيرهما.

وليس منه وصف السنين بالشدة ونحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف:٤٨] الآية.

وقال بعض الشعراء[1]:

إنَّ الليالي مِنَ الزَّمَانِ مَهُولَةٌ ... تُطْوَى وَتُنْشَرُ بَيْنَهَا الأَعْمَارُ

فَقِصَارُهُنَّ مَعَ الهُمُومِ طَوِيلَةٌ ... وَطِوَالُهُنَّ مَعَ السُّرُورِ قِصَارُ

---

(١) هو عتاب بن ورقاء الشيباني، توفي في حدود الخمسين والمائتين. انظر: من غاب عنه المطرب للثعالبي (ص٥٤)، وتاريخ الإسلام (٥/ ١١٨٠)، والوافي بالوفيات (١٩/ ٢٨٨).

وقول أبي تمام(١):

أعوامُ وَصْلٍ كاد يُنْسِي طِيبَها ذِكْرُ النَّوى فكأنَّها أيَّامُ
ثم انْبَرَتْ أيَّامُ هَجْرٍ أعقبتْ نحْوِي أسًى فكأنَّها أعْوامُ
ثُمَّ انقضَتْ تِلكَ السِّنونُ وَأهلُها فكأنَّها وكأنَّهم أحْلامُ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أن ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتدبيره، بعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن)**، هذا واضح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين)**، في الحالتين: الحالة الحسنة والحالة السيئة، فيحمد الله عَزَّوَجَلَّ، فيكثر من العمل الصالح، ويتوب من العمل السيء، وبذلك يكون الوقت مغنمًا له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف:١٦٨])، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾، أي: اختبرناهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، فكل ما يجري في هذا الوقت من الليل والنهار إنما هي أفعال العباد من خير أو شر، وفي الدار الآخرة يلقون ثمرات عملهم في الدنيا؛ فأهل الخير يجدون الخير، وأهل الشر يجدون الشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾)، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾، أي: اختبرناهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾التي تجري؛ من سعة الرزق، وسعة المال، وما يحصل لهم في هذه الحياة من المسار.

---

(١) انظر: ديوان أبي تمام (ص٢٨٢)، والصناعتين الكتابة والشعر (ص٤٢٥)، ومعاهد التنصيص (١/ ٤٣).

وكذلك في المقابل يجدون الشر، ويجدون المحن، ويجدون العقوبات، وكل ذلك مرده إلى أعمالهم، فمن عمل خيرًا، وجده، ومن عمل شرًا، وجده، ولا يظلم ربك أحدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾)، ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم﴾، أي: اختبرناهم ﴿بِٱلۡحَسَنَٰتِ﴾، وهي ما يجري من الخير، ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾، وهي ما يجري من الشر، هذا اختبار من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وامتحان.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: يتوبون إلى ربهم عَزَّ وَجَلَّ، يصلحون عملهم، هذه هي الحكمة في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥])، ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾، يعني: نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾، فتنة، يعني: اختبار وامتحان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين، كابن المعتز والمتنبي وغيرهما**)، على ألسنة الشعراء في الغالب أنهم يسيئون التعبير، وينسبون الحوادث إلى الزمان، ولا ينسبونها إلى الخالق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ويعرفون الحكمة منها، فهم لا يعرفون هذا الشيء، تجد هذا في أشعارهم -كابن المعتز والمتنبي وغيرهما.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ.

الثَّانِيَةُ: تَسْمِيَتُهُ أَذىً للهِ.

الثَّالِثَةُ: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الدَّهْرِ**)، فلا يجوز أن يُسب الدهر؛ لأن الدهر ليس له تصرف فيما يجري فيه، وإنما المتصرف هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الذي قدر الخير وقدر الشر، وهو الذي يحاسب بني آدم على أعمالهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَسْمِيَتُهُ أَذىً للهِ**)، الله جَلَّ وَعَلَا يتأذى، ولكنه لا يتضرر، يتأذى؛ «**يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ**»، ولكنه لا يتضرر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يضره شيء.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: التَّأَمُّلُ فِي قَوْلِهِ: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ»**)، ما معنى: هو الدهر؟ أنه يقلب الليل والنهار؛ كما بيَّنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**».

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ سَابًّا وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ بِقَلْبِهِ**)، قد يكون سابًّا بلفظه ولو لم ينوه ويقصده بقلبه.

فائدة: وصف اليوم بأنه يوم حار أو يوم سيئ، يقول: حصل لي حادث، هل يكون هذا من سب الدهر، إذا وصف اليوم بأنه حار أو بارد؟

الجـواب: اليوم يكون حـارًا، ويكون بـاردًا. ولا يكون سبًّا، هذا وصف.

وإذا وصفه بأنه يوم سيئ عليه؛ لأنه حصل عليه حادث؟

نقول: لا، لا ينسب هذا للدهر، ينسبه إلى فعله هو.

فائدة: بعض الناس يلعن اليوم الذي تعرف فيه إلى فلان؟

الجواب: اليوم لا يُلعن، ولا يُسب، ولا يُذم، وإنما عليه أن يرجع إلى نفسه وتصرفاته، فيتوب إلى الله من السيئات، ويكثر من الحسنات.

فائدة: التشاؤم في بعض الأيام، بعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء، أو يتشاءم بالشهور كشهر صفر؟

الجواب: هذا من أفعال الجاهلية، لا ينسب للدهر شيء مما يجري فيه بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله هو المالك المتصرف.

فائدة: قول القائل: هذا يوم مشؤوم، هل يعد من سب الدهر؟

الجواب: ما هو السبب؟ أنه حصل له حادث، أو حصل له قضية.

الجواب: لا، ليس بمشؤوم، المشؤوم أفعال العبد.

٤٥- بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاة وَنَحْوِه

ش: قوله: (بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاة وَنَحْوِهِ).

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة؛ قياسًا على ما في حديث الباب؛ لكونه شبهه في المعنى، فينهى عنه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ التَّسَمِّي بِقَاضِي الْقُضَاة وَنَحْوِهِ)، «قَاضِي الْقُضَاة» لفظ فيه مبالغة، وكان المشايخ من علماء هذه الدعوة يستبدلونه بـ«رئيس القضاة» بدلًا من «قاضي القضاة»؛ لأن الذي يقضي على القضاة هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فهو من تجنب الألفاظ التي فيها مبالغة، وفيها زيادة تفخيم، فتستبدل بألفاظ مناسبة مثل رئيس القضاة ونحوه مما لا حرج فيه، وكان علماء هذه الدعوة يسمونه «رئيس القضاة» بدلًا من «قاضي القضاة».

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسَمَّى: مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ». قَالَ سُفْيَانُ مِثْلُ «شَاهَانْ شَاه»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ»(٢).

قَوْلُهُ (أَخْنَعَ): يَعْنِي أَوْضَعَ.

ش: قوله: (**فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلاَّ اللهُ»**)؛ لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى؛ فهو ملك الأملاك، لا ملك أعظم ولا أكبر منه، مالك الملك ذو الجلال والإكرام. وكل ملك يؤتيه الله من يشاء من عباده، فهو عارية يسرع ردها إلى المعير، وهو الله تعالى، ينزع المِلك من مُلكه تارة، وينزع المُلكَ منه تارة، فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه.

وأما رب العالمين، فملكه دائم كامل لا انتهاء له، بيده القسط يخفضه ويرفعه، ويحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما تكتبه الحفظة عليهم، فيجازى كل عامل بعمله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر؛ كما ورد في الحديث: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢٠) (٢١٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢١) (٢١٤٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٧٧، ٧/ ١٤٧)، والبيهقي (٦/ ٢٣٢)، وبنحوه أحمد (٣٨/ ٣٧٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٨٦، ٣/ ٢٦) من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (قَالَ سُفْيانُ)، يعني: ابن عيينة.

«مِثْلُ شَاهَنْشَاه»: عند العجم عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مثل به سفيان؛ لأنه عبارة عنه بلغة العجم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فِي الصَحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ، لَا مَالِكَ إِلاَّ الله»)؛ لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى فهو ملك الأملاك لا ملك أعظم ولا أكبر منه)، هذا فيه النهي عن هذا اللفظ المبالغ فيه؛ بأن يقال: «قاضي القضاة» ونحو ذلك؛ لأن هذا فيه رفع الإنسان إلى مرتبة لا يستحقها؛ مما فيه مبالغة وتفخيم وتعظيم. والمطلوب التواضع، وتجنب الألفاظ التي لا يستحقها الإنسان؛ كـ«قاضي القضاة»، «ملك الملوك»، ونحو ذلك، إنما هذه الأوصاف فوق مستوى الإنسان مهما بلغ من العلم والرئاسة ونحو ذلك، فإنما العالم الحقيقي كلما ارتفع، خفض نفسه، وتواضع لله عَزَّوَجَلَّ، ومن تواضع لله، رفعه الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فِي الصَحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ، لَا مَالِكَ إِلاَّ الله»)؛ لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى فهو ملك الأملاك لا ملك أعظم ولا أكبر منه)، وهذا -أيضًا- مما يوضح أن هذا اللقب «قاضي القضاة»، ونحو «ملك الملوك» ونحوه أنه فيه تعظيم الإنسان ورفعة للإنسان لم يصل

إليها، ولن يصل إليها، والشريعة الإسلامية جاءت بالتواضع لله عَزَّوَجَلَّ، وترك ما يرفع الإنسان فوق منزلته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل ملك يؤتيه الله من يشاء من عباده فهو عارية يسرع ردها إلى المعير وهو الله -تعالى-، ينزع المِلك من مُلكه تارة وينزع المُلكَ منه تارة، فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه)**، وهذا -أيضًا- مما يبين أن تفخيم الألقاب والمناصب أنه غير لائق؛ لأن المناصب زائلة مهما كانت، والخلق عباد الله عَزَّوَجَلَّ، وهو ربهم ومليكهم ومعبودهم، فيجب عليهم التواضع لله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، إذا قرأ الإنسان هذه الآية ونحوها من كتاب الله، عرف قدر نفسه؛ فلم يرفعها إلى منزلة لم ولن تصل إليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما رب العالمين، فملكه دائم كامل لا انتهاء له بيده القسط يخفضه ويرفعه)**، الله جَلَّوَعَلَا بيده الملك، وبيده القسط يرفعه ويخفضه، فهو الذي يستحق العظمة، ويستحق العبادة، ويستحق التواضع له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والإنسان مخلوق مهما كان، وسائر إلى الفناء والزوال في هذه الدنيا، والرفعة الحقيقية إنما هي في الآخرة عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الجنة، وأما الدنيا، فإنها زائلة مهما كانت.

قال الشاعر(١):

أينَ الملوكُ ذوو التّيجانِ مِن يَمَنٍ ... وأينَ منهم أكاليلٌ وتيجانُ؟

---

(١) البيت للشاعر الأندلسي أبي البقاء الرندي. انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٤/ ٤٨٧)، وريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا (ص٣٧١).

يعني: أنهم زالوا، وهم كانوا في مكان عند الناس مرتفعة، لكنهم زالوا، وزالت مراتبهم، والبقاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ويحفظ على عباده أعمالهم بعلمه** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **وما تكتبه الحفظة عليهم، فيجازى كل عامل بعمله؛ إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر)**، هذا شأن كل إنسان في هذه الدنيا، إنما هو عمل في هذه الدنيا، عامل إما في خير، وإما في شر. وعلى كل حال ما في الدنيا من المناصب والمكانة المرتفعة فإنها إلى زوال، أين الذين من قبلنا؟ أين الملوك؟ وأين الرؤساء؟ وأين؟ وأين؟ لم يبق إلا ملك الله جَلَّ وَعَلَا، وعظمة الله.

فالإنسان يتواضع إلى ربه، ويعرف قدر نفسه، ولا تغره الألقاب والمناصب والوظائف مهما كانت؛ فإنها إلى زوال، ولا يبقى إلا ملك الملوك، ويبقى ملك الله جَلَّ وَعَلَا الذي لا زوال له ولا نفاد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما تكتبه الحفظة عليهم، فيجازى كل عامل بعمله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر)**، فالإنسان موكل به ملائكة يكتبون عمله وما يصدر منه، ويسجل هذا في ديوان يعرض عليه يوم القيامة؛ ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٣-١٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما ورد في الحديث: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ المُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ،**

وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ»)، هذا الدعاء يبين حاجة الإنسان إلى ربه، وأنه مهما نال من المناصب في هذه الدنيا، فإنه زائل، ويبقى العمل من خير أو شر، فكلٌّ يلقى ما قدمه لنفسه؛ ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨، ٨٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما ورد في الحديث: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ)**، هذا فيه التسليم لله عَزَّوَجَلَّ، وأن الأمور كلها ترجع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يبقى إلا العمل الذي يخرج به الإنسان من هذه الدنيا؛ إما عمل صالح، وإما غير ذلك، هذا الذي يبقى، وأما المناصب والتفخيمات والتعظيمات، فإنها تزول، وشرع الله لنا أن نقول: «**التَّحِيَّاتُ لِلهِ**»[1]، أي: جميع التعظيمات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «**التَّحِيَّاتُ لِلهِ**»، فهي: جميع التعظيمات، التحيات معناها: التعظيمات، «**التَّحِيَّاتُ لِلهِ**»، نقر بذلك في صلاتنا، نعترف به، فنتواضع لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ)**، هذا دعاء جامع، «**أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرَ كُلَّهُ**»؛ لأن الخير بيد الله، هو الذي يهب الخير لمن يشاء، فالأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فندعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقنا مما عنده، نحن ضعفاء فقراء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قيل لبعض الملوك لما جيء له بشربة ماء، وكان عنده أحد العلماء، فقال له: يا فلان -يعني: الملك أو الرئيس-، أرأيت لو احتجت إلى شربة، بكم

(١) أخرجه البخاري (٨٣١، ٨٣٥، ١٢٠٢، ٦٢٣٠، ٦٢٦٥، ٧٣٨١)، ومسلم (٤٠٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

تشتريها؟ قال: بنصف ملكي. قال: لو انحبست فيك، كم تدفع لإزالتها؟ قال: بالنصف الثاني من ملكي. فقال له: بئس الملك الذي يذهب بين شربة وبولة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قَالَ سُفْيانُ»، يعني: ابن عيينة)**، سفيان بن عيينة: من أكابر العلماء، وسفيان الثوري، السفيانان، إذا قيل: السفيانان، فالمراد بهما: سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالم الحجاز، وسفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عالم العراق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«مِثْلُ شَاهَنْشَاه»: عند العجم عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مثل به سفيان؛ لأنه عبارة عنه بلغة العجم)**، (شَاهَنْشَاه) يعني: ملك الأملاك. وهذا اسم لا يصلح للإنسان، فالإنسان مهما بلغ من الملك، فإنه محتاج إلى ربه، محتاج إلى خالقه، فهو ضعيف مهما كان في المنصب؛ فلا ينظر إلى التفخيمات والتعظيمات، ولا يرفعه فوق منزلته، بل يتواضع لله عَزَّوَجَلَّ.

....

ش: قوله: «أَغْيَظُ» من الغيظ، وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بغيضًا إلى الله مغضوبًا عليه -والله أعلم.

قوله: «وَأَخْبَثُهُ»، وهو يدل -أيضًا- على أن هذا خبيث عند الله، فاجتمعت في حقه هذه الأمور؛ لتعاظمه في نفسه، وتعظيم الناس له بهذه الكلمة، التي هي من أعظم التعظيم، فتعظمه في نفسه، وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل وضعه عند الله يوم القيامة، فصار أخبث الخلق، وأبغضهم إلى الله وأحقرهم؛ لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم، لتعاظمه في نفسه على خلق الله بنعم الله.

قوله: «أَخْنَعَ»، يعني: أوضع، هذا هو معنى «أَخْنَعَ»، فيفيد ما ذكرنا في معنى «أَغْيَظُ»؛ أنه يكون حقيرًا بغيضًا عند الله.

وفيه التحذير من كل ما فيه تعاظم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «أَغْيَظُ» من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض فيكون بغيضًا إلى الله مغضوبًا عليه -والله أعلم)؛ لأنه ينازع الله جَلَّ وَعَلَا في عظمته وفي ملكه، وهو مخلوق ضعيف، وإلى زوال وفناء، مهما بلغ في المنزلة عند الناس، فإنه زائل على كل حال، فيعرف قدر نفسه، ويتواضع لربه عَزَّ وَجَلَّ، ولا تغره الألقاب، ولا يغره المادحون، ولا يغتر بمدح المادحين، أو كثرة الألقاب. ولما مدح رجلٌ رجلًا عند النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال له النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ أَخِيكَ»[1]، تواضع لله عَزَّوَجَلَّ، تواضع للناس، ومعرفة الإنسان بقدره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فتعظمه في نفسه، وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل، وضعه عند الله يوم القيامة، فصار أخبث الخلق، وأبغضهم إلى الله وأحقرهم؛ لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم، لتعاظمه في نفسه على خلق الله بنعم الله)**، فهذا الحق الذي يجب الاعتراف به، وأن الإنسان مخلوق مهما كان، وأنه ضعيف وفقير إلى الله مهما كان، فلا يغتر بمنصبه، أو بمدح الناس له، بل يجب عليه أن يعرف قدر نفسه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: «أَخْنَعَ»، يعني: أوضع هذا هو معنى «أَخْنَعَ»، فيفيد ما ذكرنا في معنى «أَغْيَظُ»؛ أنه يكون حقيرًا بغيضًا عند الله)**، وإن رفعه الناس ومدحوه، فالعبرة بما عند الله، والله جَلَّ وَعَلَا لا تنفع عنده الألقاب والمدائح، إنما يجب أن يتواضع لربه، ويتواضع -أيضًا- للناس، ويعرف قدر نفسه مهما عظمه الناس، وربما أن كثيرًا من الناس يمدحونه في الظاهر، وهم في الباطن يبغضونه، فلا يغتر بذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦٢، ٦٠٦١، ٦١٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: كما أخرج أبو داود عن أبي مجْلز، قال: «خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ: اجْلِسْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»، وأخرجه الترمذي -أيضًا-، وقال: حسن[1].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا». رواه أبو داود[2].

قوله: «أَغْيَظُ رَجُلٍ»، هذا من الصفات التي تمر كما جاءت، وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته -تعالى-، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل -كما تقدم-، والباب كله واحد.

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة من الصحابة، والتابعين فمن بعدهم من الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة. وهذا التفرق والاختلاف إنما حدث في أواخر القرن الثالث، وما بعده؛ كما لا يخفى على من له معرفة بما

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٩، ٥٩، ١٢١)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٦/ ٥١٥، ٥٣٨)، وأبو داود (٥٢٣٠)، وابن ماجه (٣٨٣٦)، وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٣)، وأصله في البخاري (٦٨٨)، ومسلم (٤١٣).

وقع في الأمة من التفرق والاختلاف، والخروج عن الصراط المستقيم -والله المستعان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن أبي مِجْلز قال: «خَرَجَ مُعَاوِيَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَابْنِ عَامِرٍ فَقَامَ ابْنُ عَامِرٍ وَجَلَسَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِابْنِ عَامِرٍ: اجْلِسْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»)**، هذا وعيد شديد، وأن الإنسان يتواضع لله عَزَّ وَجَلَّ، وإذا جاء إلى مجلس، فإنه يجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يقيم أحدًا ليجلس مكانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصًا فَقُمْنَا إِلَيْهِ فَقَالَ: «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعَاجِمُ، يُعَظِّمُ بَعْضُهَا بَعْضًا»)**، هذا فيه أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما جاء إلى المجلس وقاموا، نهاهم عن ذلك، وقال: هذا فعل الأعاجم فلا تفعلوه.

والإنسان إذا جاء إلى مجلس، فإنه يجلس حيث انتهى به المجلس، ولا يقيم أحدًا ليجلس مكانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته -تعالى-، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل)**، هذه القاعدة: أن ننزه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تنزيهًا بلا تعطيل، ونثبته إثباتًا بلا تمثيل، فهذا هو الصراط المستقيم والطريق القويم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل كما تقدم، والباب كله واحد)**، هكذا إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، يعني: لا يبالغ في التنزيه حتى ينفى الشيء، ولا يبالغ في إثباته حتى يخرج عن المألوف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا التفرق والاختلاف، إنما حدث في أواخر القرن الثالث، وما بعده؛ كما لا يخفى على من له معرفة بما وقع في الأمة من التفرق والاختلاف، والخروج عن الصراط المستقيم)**، التفرق والاختلاف هذا يقع، ولكن يجب التمسك بالكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سَفْيَانُ مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ.

الثَّالِثَةُ: التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ.

الرَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِإِجْلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ التَّسَمِّي بِمَلِكِ الْأَمْلَاكِ**)؛ لأن هذا لا يصدق إلا على الله، هو ملك الأملاك، وهو ملك الملوك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو رب العالمين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ مَا فِي مَعْنَاهُ مِثْلُهُ، كَمَا قَالَ سَفْيَانُ مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ**)، أن ما كان في معناه من الألقاب عند الأعاجم وغيرهم أنه مثله، ويقاس عليه؛ فيتجنب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: التَّفَطُّنُ لِلتَّغْلِيظِ فِي هَذَا وَنَحْوِهِ، مَعَ الْقَطْعِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ**)، التفطن لهذا الذي فيه مخالفة في المدح أو مخالفة في الذم، وإن كان الإنسان لم يقصد معناه، بل جرى على لسانه، وإذا قصد معناه، فالأمر أخطر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: التَّفَطُّنُ أَنَّ هَذَا لِإِجْلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ**)، كل الإجلال والتعظيم هو لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو الذي يستحقه، وأما المخلوق، فإنه ضعيف ومحتاج وفقير مهما كان.

فائدة: بالنسبة للفرقة الناجية من الثلاث وسبعين فرقة، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً**»، كلها في النار، هل يدل هذا على التخليد في النار أم أنها تختلف؟

الجواب: هذا من باب الوعيد الذي يُمر كما جاء.

لكن كل هذه الفرق يقال: إن الفرقة الناجية واحدة منها فقط؟

الجواب: بلا شك، ليست كلها، كل الفرق هذه، من هي الفرق الناجية؟ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[(١)].

---

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن جاء من طرق متعددة عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة، فقد روي من حديث أبي هريرة، وأنس، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم أجمعين. أخرجه أحمد في المسند (١٤/ ١٢٤)، (١٩/ ٢٤١، ٤٦٢)، (٢٨/ ١٣٤)، وأبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٣١٧، ٣٨١، ٥٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧، ٢١٧)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٥٠، ٥١)، (١٨/ ٧٠)، وفي الأوسط (٥/ ١٣٧)، (٨/ ٢٢)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٣٥١).

وانظر تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤).

٤٦- بَابُ: احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ

ش: قوله: (بَابُ احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ: احْتِرَامِ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ)، احترام أسماء الله؛ بألا يسمى بها غيره، أو تطلق على غيره؛ لأن أسماء الله جَلَّ وَعَلَا من عظمته وجلاله، وكل اسم له معنى فضيل، فأسماء الله تحترم وتعظم، هذا من حق الله على عباده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَتَغْيِيرِ الاسْمِ لأَجْلِ ذَلِكَ)، وتغيير الاسم: لو سُمِّي أحدٌ باسم من أسماء الله فإنه لا يقر، بل يغير الاسم بما يليق بالإنسان.

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ؛ أَنَّهُ كَانَ يُكَنَّى أَبَا الحَكَمِ؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الحُكْمُ)، فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي؛ فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: (مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟)، قُلْتُ: شُرَيْحٌ وَمُسْلِمٌ وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: (فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟) قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: (فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[1].

ش: قوله: (عَنْ أَبِي شُرَيحٍ).

قال في خلاصة التهذيب: هو أبو شريح الخزاعي اسمه خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثًا، اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث.

وروى عنه أبو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة.

قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين[2].

وقال الشارح: اسمه هانئ بن يزيد الكندي. قاله الحافظ، وقيل: الحارث الضبابي. قاله المزي[3].

قوله: «يُكْنَى». الكنية ما صدر بأب، أو أم، ونحو ذلك، واللقب ما ليس كذلك، كزين العابدين ونحوه.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٦٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٨٢)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٥٧)، والطبراني في الكبير (٤٦٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٥)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٤٥).

(٢) انظر: الطبقات الكبرى (٤/ ٢٩٥)، وتهذيب التهذيب (١٢/ ١٣٨).

(٣) انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٤٠٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ: (فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟) قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: (فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ))**، هذا من تغيير الاسم إذا كان من أسماء الله، أو هذا الاسم فيه محظور، فإنه يُغيَّر، فإن هذا الرجل كان يسمى أبا الحكم، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سمع ذلك، قال: (**إِنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ**)، هذا من أسماء الله: الحكم.

(**وَإِلَيْهِ الحُكْمُ**)، يعني: الخصومات والاختلافات ترد على الله جَلَّ وَعَلَا فيحكم فيها.

فَقَالَ: (فَمَا لَكَ مِنَ الوَلَدِ؟)، قال: لِيِّ فلان وفلان، قال: (فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟)، قال: شُرَيْحٌ، قَالَ: (فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ)، هذا تغيير الاسم غيَّره من أبي الحكم إلى أبي شريح؛ ابتعادًا عن امتهان أسماء الله، وتسمية غيره بها.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «يُكْنَى». الكنية ما صدر بأب، أو أم، ونحو ذلك، واللقب ما ليس كذلك، كزين العابدين ونحوه)**، يعني: ان هناك فرقًا بين اللقب والاسم.

....

ش: **وقول النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فهو سبحانه الحَكَمُ في الدنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا ولله فيها حكم بما أنزل على نبيه من الكتاب والحكمة.**

وقد يسر الله معرفة أكثر ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة، فإنها لا تجتمع على ضلالة، فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام، فلابد أن يكون المصيب فيهم واحدًا.

فمن رزقه الله تعالى قوة الفهم، وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء، يسر الله له ذلك بفضله ومنّه عليه وإحسانه إليه، فما أجلها من عطية، فنسأل الله من فضله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقول النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ»، فهو سبحانه الحَكَمُ في الدنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا ولله فيها حكم بما أنزل على نبيه من الكتاب والحكمة)**، الله جَلَّ وَعَلَا ذكر أسمائه في كتابه، وفي سنة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، فلا يجوز أن تطلق على المخلوق، أسماء الله لا يجوز أن يسمى بها المخلوق كما في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يسر الله معرفة أكثر ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة، فإنها لا تجتمع على ضلالة، فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام، فلابد أن يكون المصيب فيهم واحدًا)**، هذه الأمة وإن اختلفت في بعض الأحكام فإنه ليسوا كلهم مخطئين، بل لابد أن يكون فيهم من هو مصيب؛ عصمة لأسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصفاته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن رزقه الله تعالى قوة الفهم، وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء، يسر الله له ذلك بفضله ومنّه عليه وإحسانه إليه، فما أجلها من عطية)**، فالعلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام لابد أن يكون فيهم مصيب؛ لئلا تضل الأمة، لابد أن يكون فيهم مصيب للحق؛ لئلا تضل الأمة.

ش: قوله: «وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ» في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:١٠]، وقال: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾، [النساء:٥٩]، فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه، والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمُعاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: «بِمَ تحكم؟» قال: بكتاب الله، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ اللهِ إلى ما يُرْضِي رَسُولَ اللهِ»(١).

فمعاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أجل علماء الصحابة بالأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام، ومعرفة أحكام الكتاب والسنة، ولهذا ساغ له الاجتهاد إذا لم يجد للقضية حكمًا في كتاب الله، ولا في سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بخلاف ما يقع اليوم وقبله من أهل التفريط في الأحكام، ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله، فيظن أن الاجتهاد يسوغ له مع الجهل بأحكام الكتاب والسنة وهيهات.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، والدارمي (١٧٠)، وأحمد (٦٣/ ٣٣٣، ٣٨٢، ٤١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٩٥)، والصغرى (٤/ ١٣٠)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٧٠)، وابن أبي شيبة (٤/ ٥٤٣، ٦/ ١٣).

وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلا الله عَزَّوَجَلَّ إذا نزل لفصل القضاء بين العباد، فيحكم بين خلقه بعلمه، وهو- سبحانه- الذي لا يخفى عليه خافية من أعمال خلقه.

قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٠].

والحكم يوم القيامة، إنما هو بالحسنات والسيئات، فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلوم، فطرح على سيئات الظالم(١)، لا يزيد على هذا مثقال ذرة، ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ» في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:١٠])، ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ ﴾، أي شيء، ﴿ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى:١٠].

الله جَلَّوَعَلَا يعلم الصواب مع من من المختلفين فيوفقه له؛ لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ ﴾)، ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ ﴾، أي: اختلفتم، ﴿ فِي شَيْءٍ ﴾، أي شيء من الأحكام الشرعية فإن المرد لمعرفة الصواب المختلف فيه إلى الله جَلَّوَعَلَا.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

إلى كتابه: وهو القرآن العظيم أو إلى سنة نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن السنة وحي من الله، فالسنة هي الوحي الثانين والقرآن هو الوحي الأول.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾)، هذا شأن المؤمنين: أنهم إذا اختلفوا في شيء فإنهم يردون الصواب، معرفة الصواب فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩])، ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾: لكم في الدنيا والآخرة، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، [النساء:٥٩]، أي: مآلًا وعاقبة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فالحكم إلي الله هو الحكم إلى كتابه)**، الحكم إلي الله، يعني: يعرف كمن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإن لم يوجد في كتاب الله فهو في سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها وحي من الله، والسنة تسمى بالوحي الثاني.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته)**، الحكم إلى الرسول هو الحكم إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والرجوع إليه في حياته، وبعد وفاته يرجع إلى سنته في الأحاديث الثابتة عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد قال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لِمُعَاذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: بمَ تحكم؟ قال: بكتاب الله، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟ قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي)**، هذا منهج عظيم كان عليه معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اليمن قاضيًا ومعلمًا ومزكيًا، ويقبض منهم صدقاتهم ويرسلها إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الرسول

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأله سؤال اختبار وتثبت، قال له: **بم تحكم؟** قال: أحكم بكتاب الله، يعني: القرآن، قال: **فإن لم تجد في كتاب الله؟** قال: بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: **فإن لم تجد في السنة؟** قال: أجتهد رأيي ولا آلو، يعني: لا أتساهل في هذا الأمر، بل أجتهد رأيي حتى أصيب، أو حتى اقتنع بالحكم الذي حكمت به؛ استنادًا إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَقَالَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ اللهِ إلى ما يُرْضِي رَسُولَ اللهِ**)، هذا ثناء على معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعلى سيرته بالإحكام بين الناس المتنازعين، وهو أنه يحكم بكتاب الله وهو القرآن، «فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد رأيي»، يعني: لا آلو في الاجتهاد، بل أجتهد في معرفة الحق وطلبه من الكتاب والسنة، والغالب أن مثل هذا يوفق للحكم الصحيح.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فمعاذ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **من أجل علماء الصحابة بالأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام، ومعرفة أحكام الكتاب والسنة**)، صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل منهم تخصص في نوع من العلم بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فمنهم من هو مخصص في معرفة الحلال والحلال كمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنهم من هو متخصص في علم المواريث، ومنهم من هو متخصص في غير ذلك من الأحكام الشرعية، والأمة لا تجتمع على ضلالة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**بخلاف ما يقع اليوم وقبله من أهل التفريط في الأحكام، ممن يجهل حكم الله في كتابه وفي سنة رسوله، فيظن أن الاجتهاد يسوغ له مع الجهل بأحكام الكتاب والسنة وهيهات**)، الاجتهاد لا يحصل لكل أحد، وإنما

هو للمتخصصين والفقهاء المتميزين، وأما من لم يعط شيئًا من ذلك فإنه يقلد أهل العلم، فالتقليد إنما يكون بعد تعذر معرفة الحق من الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلا الله** عَزَّوَجَلَّ **إذا نزل لفصل القضاء بين العباد**)، الله جَلَّ وَعَلَا ينزل يوم القيامة نزولًا يليق بجلاله سبحانه، ينزل إلى الأرض فيحكم بين عباده فيما ﴿ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢١٣]، فهذا نزول من الله جَلَّ وَعَلَا إلى الأرض؛ من أجل أن يحكم بين عباده فيما اختلفوا فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فيحكم بين خلقه بعلمه، وهو- سبحانه- الذي لا يخفى عليه خافية من أعمال خلقه**)، لا يخفى عليه خافية جَلَّ وَعَلَا من أعمال خلقه خيرها وشرها، ويعلم ما تعملون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: مثقل ذرة، وهي الهباءة التي تطير في الهواء.

فلا يظلم الله أحدًا فهو منزه عن الظلم؛ كما في الحديث: أن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ عَلَيْكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»(١).

قوله: (﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠])، فالله لا يظلم العباد، وإن كان لهم حسنة، ولو كانت يسيرة فإن الله بمنِّه وكرمه يضاعفها، بمعنى أنه يبارك فيها، وينزل فيها الحق والصواب.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والحكم يوم القيامة، إنما هو بالحسنات والسيئات)**، هذا واضح، وهذا في الحديث الصحيح، الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي قَدْ حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ فَلَا تَظَالَمُوا**»، فالله جَلَّ وَعَلَا لا يظلم مثقال ذرة، وهي الهباءة التي تطير في الهواء، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً﴾، يعني: توجد حسنة فإن الله ﴿يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء:٤٠] للعبد أضعافًا كثيرة، إلى أن تصل إلى سبعمائة ضعف.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات، وإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات المظلوم، فطرح على سيئات الظالم،)**، يؤخذ من الظالم يوم القيامة للمظلوم، يوم القيامة ليس هناك أموالًا يؤخذ منها، وإنما يؤخذ من أعمال العبد للمظلوم؛ إن كان له حسنات فيؤخذ من حسناته، وتعطى للمظلوم، وإن لم يكن له حسنات - والعياذ بالله- أُخِذ من سيئات المظلومين وطُرِحت عليه، وطُرِح في النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لا يزيد على هذا مثقال ذرة، ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة)**، لأن الله لا يظلم أحدًا، ولو مثقال ذرة، لا يظلم أحدًا ولو كان قليلًا.

....

ش: قوله: «فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا».

فالمعنى -والله أعلم- أن أبا شريح لما عرف منه قومه أنه صاحب إنصاف وتحر للعدل بينهم، ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين، صار عندهم مرضيًا.

وهذا هو الصلح؛ لأن مداره على الرضى لا على الإلزام، ولا على أحكام الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولا على الاستناد إلى أوضاع أهل الجاهلية من أحكام كبرائهم وأسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة، كما قد يقع اليوم كثيرًا، كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حكم الله، ولا إلى حكم رسوله، وإنما المعتمد عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم.

وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لم يسغ تقليده، فيعتمد على قول من قلده، ويترك ما هو الصواب الموافق لأصول الكتاب والسنة. والله المستعان.

وقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ».

فيه تقديم الأكبر في الكنية وغيرها غالبًا. وجاء هذا المعنى في غير ما حديث والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالمعنى - والله أعلم - أن أبا شريح لما عرف منه قومه أنه صاحب إنصاف وتحر للعدل بينهم، ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين، صار عندهم مرضيًا، وهذا هو الصلح)، هذا هو الصلح.

فالصلح مطلوب، ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات:٩].

المقسطين، وأما القاسطون فإن لهم النار - والعياذ بالله - إنما المقسطين، أي: العادلين في حكمهم واجتهادهم، وتخليص الخصومات بالاجتهاد العادل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذا هو الصلح؛ لأن مداره على الرضى لا على الإلزام، ولا على أحكام الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى)، الحكم بالاجتهاد إنما هو لأهل العلم لا للمتخرصين، ولا لأهل الجور والظلم، وإنما هو لأهل العلم الذين عندهم ملكة الاجتهاد بالكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حكم الله، ولا إلى حكم رسوله، وإنما المعتمد عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم)، الطواغيت: جامع طاغوت من الطغيان، وهو مجاوزة الحد[1]، فالذين يحكمون بغير ما انزل الله هؤلاء طواغيت، هؤلاء طواغيت، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، كلهم طواغيت.

الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس -لعنه الله- ومن عُبِد وهو راضي، ومن حكم بغير ما أنزل الله[2].

---

(١) انظر: العين (٤/ ٤٣٥)، والصحاح (٦/ ٢٤١٢)، ولسان العرب (١٥/ ٧).
(٢) انظر: إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لم يسغ تقليده، فيعتمد على قول من قلده، ويترك ما هو الصواب الموافق لأصول الكتاب والسنة)**، المقلدة على قسمين:

* قسمين لأهل العلم وأهل الحق: فهذا مأمور به.

* وأما التقليد الأعمى، وهو قبول ما عليه الناس أو بعضهم من غير مراجعة للكتاب والسنة فهذا هو الطاغوت- والعياذ بالله- ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقول رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟ قَالَ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللهِ، قَالَ: فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ». فيه تقديم الأكبر في الكنية وغيرها غالبًا)**، في أن الرجل يكنى بأكبر أولاده، فهذا أبو شريح سأله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لك من الولد؟ فأخبره ليِّ فلان وفلان وفلان.

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟ قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»**.

ففيه الكنية تكون بأكبر الأولاد.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ - وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ -.

الثَّانِيَةُ: تَغْيِيرُ الاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الأُولَى: احْتِرَامُ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ - وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ مَعْنَاهُ)**، احترام أسماء الله وصفاته، وإن لم يقصد معناه، يعني: إذا سمى احدًا باسم لله فلا يجوز هذا وغن لم يقصد معناه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّانِيَةُ: تَغْيِيرُ الِاسْمِ لِأَجْلِ ذَلِكَ)**، تغيير الاسم من أجل ذلك؛ لأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيَّر اسم هذا الرجل، فقالك أنت أبو شريح، بدل أبا الحكم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: اخْتِيَارُ أَكْبَرِ الأَبْنَاءِ لِلْكُنْيَةِ)**، كما ذكرنا.

٤٧- بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥].

ش: قوله: (**بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ**)، **أي: فقد كفر.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ**) يعني: ما حكمه؟

ومعنى (هزل)، أي: سخر بشيء من هذه الأشياء.

(**هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ**)، ذكر الله، أي: اسم الله جَلَّ وَعَلَا، أو القرآن الكريم، (**أَوِ الرَّسُولِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فما حكمه؟ سيأتي حكمه في الآيات والأحاديث التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى:** ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥])، هذه الواقعة حصلت في غزوة تبوك؛ لأن تبوك بعيدة عن المدينة، وكان الوقت حارًّا في شدة الصيف؛ ابتلاء وامتحان من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده، من يصبر على طاعة الله، ومن لا يصبر، فالمؤمن يصبر مهما أصابه؛ ابتغاء فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وطاعة لله عَزَّ وَجَلَّ، وإن كان في ذلك عليه مشقة.

كانوا في هذه الغزوة فيها المنافقون الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر -والعياذ بالله-، وإنما خرجوا في هذه الغزوة؛ طلبًا للغنيمة، لم يخرجوا احتسابًا لوجه الله عَزَّوَجَلَّ وطلبًا للأجر، بل خرجوا يطلبون الغنيمة. وكان من حديثهم فيما بينهم أنهم قالوا، أو قال قائل منهم والبقية يسمعون: (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ)، يعنون الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، (مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وأطمع في الدنيا)، يعنون رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه. وكان في مجلسهم غلام صغير، فأنكر عليهم، وقال لقائلهم: (كَذَبْتَ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، فذهب الغلام إلى الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليخبره بما سمع من هؤلاء المنافقين؛ لأنه تغيظ عند ذلك، فذهب ليخبر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بما قالوا، فوجد الوحي قد سبقه، ونزل على الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في شأنهم هذه الآية: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦][(١)].

وهذا الذي نفى الله عنه العذاب هو هذا الغلام الذي أنكر عليهم، وبلغ الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمقالتهم الشنيعة التي وصفوا بها أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بصفات هي فيهم هم، وأصحاب الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بُرَآءُ منها رضي الله عنهم وأرضاهم.

---

(١) يأتي تخريجه قريبًا -إن شاء الله.

الحاصل: أن هذا شأن من سخر من الصحابة، أو سخر بالقرآن، أو أعظم من ذلك سخر بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا شأن المنافقين -نسأل الله العافية والسلامة.

ولكن على المسلم أن يحفظ لسانه -حتى ولو كان مازحًا- من الكلام المحرم، يصون اللسان عن الكلام المحرم، ولو كان مزحًا؛ ﴿كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾: فهم إنما قالوها بزعمهم أنهم كما قالوا: كنا نتحدث حديث الركب نقطع به عنا المسافة. ولكن الله لم يعذرهم في ذلك، بل أنكر عليهم بقرآن يتلى إلى يوم القيامة؛ تحذيرًا للمؤمنين أن يحصل منهم شيء من ذلك.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّد بنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ -دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ-: «أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَـؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ- فَقَالَ لَهُ عَوفُ بنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَهَبَ عَوفٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ، فَوَجَدَ القُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ.

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيهِ مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ[(١)] نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]. **فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾** [التوبة:٦٥، ٦٦]، **مَا يَلْتَفِتُ إِلَيهِ، وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ»**[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّد بنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ**)، يعني: كلهم رووا هذه القصة، هؤلاء الصحابة رووا هذه القصة وما دار فيها.

(١) قال ابن الأثير في النهاية (٥/ ٤٧): (النِّسعة بالكسر: سَيرٌ مَضفور يُجعل زِمامًا للبعير وغيره، وقد تُنْسَجُ عَريضة تُجْعل على صَدر البعير، والجمع: نُسْع ونِسَع وأَنْساع). وانظر لسان العرب (٨/ ٣٥٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٨٢٩- ١٨٣٠).

ومعنى: (دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ)، أي: تشابهت أقوالهم بالصدق والأمانة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ؛ أَرْغَبَ بُطُوْنًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ -يَعْنِي رَسُوْلَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَأَصْحَابَهُ القُرَّاءَ)**، وهذه الصفات هي أليق بالمنافقين، خلعوها على صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم منها بُرَآءُ، برأهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من تهمة المنافقين، وأثنى على أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبرر قولهم. وهذا نتيجة الصدق مع الله والصدق مع الرسول، والصدق مع الناس.

الإنسان يحفظ لسانه أن يقول كلامًا يؤاخذ عليه، ويعذب به، يصون لسانه عن ذلك، والمؤمن يصون لسانه، ويأبى الله أن يقول المؤمن هذه المقالة، وإنما يقولها منافق يظهر الإيمان، ويبطن الكفر -والعياذ بالله-، ولكن الله جَلَّ وَعَلَا يفضح من هذه صفاتهم؛ كما فضحهم في هذه الآية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيهِ مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَإِنَّ الحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ)**، هذا الرجل المنافق الذي يحاول أن يبرئ نفسه وأصحابه من هذه المقالة التي قالوها، والله جَلَّ وَعَلَا لا يخفى عليه شيء، ولو برأها عند الناس، فلن يبرئ نفسه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهُوَ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾** [التوبة:٦٥]، **فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾** [التوبة:٦٥، ٦٦])،

هذا الرجل المنافق رأس المنافقين جاء يعتذر عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذه المقالة، وأنه ما قالها، وما قالها أصحابه المنافقون. الله جَلَّ وَعَلَا فضحهم، ونسب هذه المقالة إليهم: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥]، فأثبت لهم هذه السخرية بالله وبرسوله وبالمسلمين، ولكنها لم تذهب عنهم، فهي لصيقة بهم -والعياذ بالله-، وهي صفتهم، وهذه وصفهم في كل وقت وفي كل زمان، كل زمن فيه منافقون، ورثة لهؤلاء. فليحذر المسلمون من هؤلاء المنافقين كما حذر الله منهم في كتابه الكريم، القضية لم تنته، وإنما هي مستمرة ما بقي المنافقون على وجه الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦] **مَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيْدُهُ عَلَيْهِ**)، وهذا فيه أن المسلم لا يلتفت إلى المنافق، لا يلتفت بوجهه إلى المنافق، ولا يعذره، بل إنه يتلو القرآن الذي نزل فيهم؛ ليحذر الناس منهم ومن شرهم.

والنفاق لم ينته، بل هو باق ما بقي الإيمان، ولا يزال الإيمان موجودًا إلى أن تقوم الساعة.

....

ش: وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة:٦٥].

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: قَالَ أَبُو مَعْشَرٍ المدني، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرَظِي، وَغَيْرِهِ، قَالُوا: «قَالَ رَجُلٌ مِنَ المُنَافِقِينَ: مَا أُرَى قُرَّاءنا هَؤُلَاءِ إِلَّا أَرْغَبَنَا بُطُونًا، وَأَكْذَبَنَا أَلْسِنَةً، وَأَجْبَنَنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ. فرُفع ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. فَقَالَ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦].

وَإِنَّ رِجْلَيْهِ لَيَسْفَعَانِ الحِجَارَةَ، وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الشارح** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، الشارح: هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ شارح كتاب التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ أَوِ الرَّسُولِ»، أي: فقد كفر)، (بَابُ مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللهِ أَوِ القُرْآنِ

أَوِ الرَّسُولِ)، يعني: ما حكمه؟ أنه قد كفر؛ ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]، حكم الله على قائل هذه المقالة أنه كفر بعد إيمانه، فدل على أنه كان مؤمنًا، ثم كفر لما قال هذه المقالة. فلا يتساهل الإنسان في الكلام؛ ويظن أنه يذهب سدى، بل هو يسجل عليه، الحفظة كرام بررة يكتبون ما يقوله العباد من خير أو شر، يسجلونه عليه؛ ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، يعني: من الملائكة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال العماد ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسيره**)، العماد: الحافظ ابن كثير المفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واسمه: إسماعيل بن كثير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِي**)، القرظي: نسبة إلى بني قريظة، وبنو قريظة جماعة من اليهود، ولكن هذا برأه الله منهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: مَا أُرَى قُرَّاءنا هَـؤُلَاءِ إِلَّا أَرْغَبَنَا بُطُونًا، وَأَكْذَبَنَا أَلْسِنَةً، وَأَجْبَنَنَا عِنْدَ اللِّقَاءِ. فرُفع ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وفي هذا إنكار المنكر، كون هذا الصحابي رفعه إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إنكار المنكر، وليس من النميمة، وإنما هو من إنكار المنكر الذي سمعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَجَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ وَقَدِ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ**)؛ لأنه كان في سفر، في غزوة تبوك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ﴾)، وهو هذا الغلام الذي بلغ عنهم؛ لأنه أنكر المنكر. فدل هذا على أن الطائفة قد تُطلق على الواحد، الواحد يسمى طائفة؛ كما تطلق على الأكثر من واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَإِنَّ رِجْلَيْهِ لَيَسْفَعَانِ الحِجَارَةَ)**، الحجارة التي تثيرها أقدام الإبل كانت تضرب رجلي هذا المنافق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، وفي هذا عدم التبسط مع المنافقين، وعدم الإقبال عليهم إذا حدثوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِنِسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**، والنسعة: هي الخيط الذي يكون من الرحل، فهذا المنافق تعلق بهذا الخيط المتدلي من رحل ناقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حرصًا على أن يسمع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلامه، ولكن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يلتفت إليه، ولم يزده على أن تلا عليه القرآن الكريم الذي نزل فيه.

....

ش: وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ: أَخْبَرَنِي هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أسلم، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ فِي غزوةِ تبُوكَ فِي مجلس يَوْمًا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرائنا هَؤُلَاءِ، أرغبَ بُطُونًا، وَلَا أكذبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ فِي المَسْجِدِ: كذبتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ. لَأُخْبِرَنَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: وَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بحقَب نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنكُبُه الحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦].

وَقَدْ رَوَاهُ اللَّيْثُ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَعْدٍ، بِنَحْوٍ مِنْ هَذَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَالَ رَجُلٌ فِي المَسْجِدِ: كذبتَ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ. لَأُخْبِرَنَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، في هذا إنكار المنكر على من سمعه، وأنه لا يجوز السكوت عن مثل هذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ)؛ تصديقًا لهذا الغلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ)**، هو اعترف بأنه يخوض ويلعب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَرَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ:** ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥،٦٦])، بهذه المقالة، فدل على أن الكلام الكفري يكون كفرًا، وإن كان قائله يزعم أنه لم يقصد معناه.

....

ش: وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْهُمْ وَديعة بْنُ ثَابِتٍ، أَخُو بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ حَلِيفٌ لِبَنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ: مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر يُشِيرُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى تبوكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَتَحْسَبُونَ جِلادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؟ وَاللهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنين فِي الحِبَالِ. إِرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

فَقَالَ مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر: وَاللهِ لوددتُ أَنِّي أُقَاضَى عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وإنا نَنْفَلتُ أَنْ يُنَزَّلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فِيمَا بَلَغَنِي- لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: أَدْرِكِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا، فَقُلْ: بَلَى، قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا.

فَانْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عَمَّارٌ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ: وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاقِفٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بحقَبها: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ.

فَقَالَ مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر: يَا رَسُولَ اللهِ، قَعَدَ بِيَ اسْمِي وَاسْمُ أَبِي. فَكَانَ الَّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ [التوبة:٦٦] مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر، فسُمِّي عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ».

وَقَالَ عِكْرِمة فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ إِنْ شَاءَ اللهُ عَفَا عَنْهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْمَعُ آيَةً وَأَنَا أُعنى بِهَا، تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الْجُلُودُ، وتجيب مِنْهَا الْقُلُوبُ، اللَّهُمَّ، فَاجْعَلْ وَفَاتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ، لَا يَقُولُ أَحَدٌ: أَنَا غُسِّلْتُ، أَنَا كُفِّنْتُ، أَنَا دُفِنْتُ، قَالَ: فَأُصِيبَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَقَدْ وُجِدَ غَيْرُهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَرَجُلٌ مِنْ أَشْجَعَ حَلِيفٌ لِبَنِي سَلَمَةَ يُقَالُ لَهُ: مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر)، مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر هذا تاب، وقال: قعد بي اسمي واسم أبي، (مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر)، ولكنه ندم وتاب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فكان من المقبولين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَتَحْسَبُونَ جِلادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا وَاللهِ لَكَأَنَّا بِكُمْ غَدًا مُقَرَّنِين فِي الحِبَالِ، إِرْجَافًا وَتَرْهِيبًا لِلْمُؤْمِنِينَ)، المسلمون لا يبالون بالكفار وقوتهم ومكانتهم عند الناس؛ لأنهم واثقون بما هم عليه من الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ الذي لا يعدله شيء، وما دام الإنسان واثقًا بما هو عليه من الحق، فلا يهمه بعد ذلك حديث الناس وكلام الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَالَ مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر: وَاللهِ لوددتُ أَنِّي أُقَاضَى عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا مِائَةَ جَلْدَةٍ، وإنا نَنْفَلتُ أَنْ يُنَزَّلَ فِينَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ)، هذا الصحابي حديث السن تاب إلى الله من هذا، ولم يقره أصلًا فأنكره، فتاب إلى الله عَزَّوَجَلَّ توبة نصوحًا، وأثنى الله جَلَّوَعَلَا عليه بقوله: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٦]، فهذا الغلام أثنى الله عليه، وسماه طائفة، فدل على أن الطائفة يطلق على الشخص

الواحد؛ ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]: مُخَشِّي بْنُ حُمَيِّر، وكان يقول: قعد بي اسمي واسم أبي؛ لأن (مخشي): هذا كلام به غضاضة، (ابن حمير): تصغير حمار. يقول: قعد بي اسمي واسم أبي، يعني: أنزلني منزلة رديئة، وليس كذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل إن الله تاب عليه، وأثنى عليه.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾: هو هذا الرجل، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٦]، فهذا رجلٌ أُطلق عليه طائفة لقوة ما جاء به.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بحقبها: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ)، انظر! اعترف بأنهم يخوضون ويلعبون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَقَالَ مُخَشِّي بْنُ حُمَير: يَا رَسُولَ اللهِ، قَعَدَ بِيَ اسْمِي وَاسْمُ أَبِي)، مخشي بن حمير، يقول: هذا أخرني هذا الاسم، وفي الواقع أنه قدمه هذا الاسم عند الله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَكَانَ الَّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٦٦])، هو مخشي بن حمير.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فسُمِّي عَبْدَ الرَّحْمَنِ)، وفي هذا تغيير الاسم إذا كان فيه كراهة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَسَأَلَ اللهَ أَنْ يُقْتَلَ شَهِيدًا لَا يُعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ)، الله أكبر، والله أعلم حملته الملائكة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ: فَأُصِيبَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا وَقَدْ وُجِدَ غَيْرُه)، الله أعلم أنه حملته الملائكة.

....

ش: وقوله: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ أي: بهذه المقالة التي استهزأتم بها، ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ ﴾، أي: مخشي بن حمير ﴿ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾، أي: لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾، أي: بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهى[(١)].

قال شيخ الإسلام: وَقَدْ أَمَرَهُ الله تعالى: ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾، وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ أَوَّلًا بِقُلُوبِهِمْ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ مَعَ كُفْرِ الْقَلْبِ قَدْ قَارَنَهُ الْكُفْرُ، فَلَا يُقَالُ: قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا كَافِرِينَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّكُمْ أَظْهَرْتُمْ الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِكُمْ الْإِيمَانَ، فَهُمْ لَمْ يُظْهِرُوا لِلنَّاسِ إِلَّا لِخَوَاصِّهِمْ، وَهُمْ مَعَ خَوَاصِّهِمْ مَا زَالُوا هَكَذَا، وَلَا يَدُلُّ اللَّفْظُ عَلَى أَنَّهُمْ مَا زَالُوا مُنَافِقِينَ[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾، أي: بهذه المقالة التي استهزأتم بها، ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ ﴾، أي: مخشي ابن حمير، ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ﴾، أي: لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم، ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾، أي: مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة)، نقرأ هذا الشرح بهذه الكلمات، ونعلق عليها بما تيسر.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٧١-١٧٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال شيخ الإسلام**)، إذا أُطلق شيخ الإسلام، فإنه شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال بعض العلماء: من هو شيخ الإسلام إذا لم يكن هو ابن تيمية؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَدْ أَمَرَهُ الله تعالى: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾**)، أمره الله أن يقول: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، فدل على أنهم كانوا مؤمنين، لكن لما قالوا هذه المقالة، كفروا -والعياذ بالله-، وخرجوا من الدين، وهذا فيه خطر الكلام في كتاب الله، أو سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير علم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ أَوَّلًا بِقُلُوبِهِمْ لَا يَصِحُّ**)، الله أطلق الإيمان، ونسبه إليهم، فدل على أنهم كانوا مؤمنين حقيقة، ولكنهم كفروا بعد إيمانهم، وليس المعنى أنهم كانوا من الأصل ليسوا مؤمنين، وإنما ظهرت مقالتهم، هذا قول بلا مستند.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِلِسَانِهِمْ مَعَ كُفْرِهِمْ أَوَّلًا بِقُلُوبِهِمْ لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللِّسَانِ مَعَ كُفْرِ الْقَلْبِ قَدْ قَارَنَهُ الْكُفْرُ**)، القول بدون إيمان لا يسمى إيمانًا، وإن كان يوافق في لفظه الحق، لكن العبرة بالمعنى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّكُمْ أَظْهَرْتُمْ الْكُفْرَ بَعْدَ إِظْهَارِكُمْ الْإِيمَانَ، فَهُمْ لَمْ يُظْهِرُوا لِلنَّاسِ إِلَّا لِخَوَاصِّهِمْ**)، لم يظهروا الإيمان إلا لبعض الناس، ومع خواصهم فقط.

....

ش: وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر: فَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ مَعَ قَوْلِهِمْ: إِنَّا تَكَلَّمْنَا بِالْكُفْرِ مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادٍ لَهُ، بَلْ إنما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. وَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِآيَاتِ اللهِ كُفْرٌ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا مِمَّنْ شَرَحَ صَدْرًا بِهَذَا الْكَلَامِ، وَلَوْ كَانَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، لَمَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ. وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ أَنَّ إِيمَانَ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧]، إلى قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٤٨-٥١]، فَنَفَى الْإِيمَانَ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ الرَّسُولِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، انتهى[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَبَيَّنَ أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِآيَاتِ اللهِ كُفْرٌ)، ولو كان باللسان فقط يكون كفرًا بعد الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا مِمَّنْ شَرَحَ صَدْرًا بِهَذَا الْكَلَامِ)، الآن في بعض الإذاعات يقولون شيئًا من هذا، يسخرون من القرآن، يسخرون من

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢٠-٢٢١).

السنة، يسخرون من الإيمان، ويقولون: نحن لم نقصد هذا بقلوبنا، هذا من الكذب، لا أحد ينطق بشيء إلا وهو مقر له بقلبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَوْ كَانَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لَمَنَعَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ)، لايمكن أن يصدر هذا الكلام من مؤمن أصلًا، لو كان عنده إيمان، لاستعظم هذا الكلام، ولم ينطق به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ أَنَّ إِيمَانَ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ)، الإيمان بالقلب لا يكفي، بل لابد من الإتيان بلازمه، وهو الإيمان باللسان -أيضًا-، الإيمان باللسان والإيمان بالقلب والإيمان بالعمل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْقُرْآنُ يُبَيِّنُ أَنَّ إِيمَانَ الْقَلْبِ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ)، بحسبه قوة وضعفًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٤٧])، ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾، يعني: يعرض عن الكلام الذي قاله، ويتراجع عنه، فيمحو كلامه هذا إيمانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [النور:٤٨])، إذا دُعِي فريق من المنافقين ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾، ماذا يقابلونه؟ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾: يعرضون عن هذا الكلام، ولا يقبلونه؛ فلا إيمان لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾)، إذا كسبوا القضية، قبلوا هذا الكلام، وإذا لم يكسبوا هذه القضية، لم يقبلوا هذا الكلام؛ لأنه عليهم، والمؤمن يقبل الحق سواء له أو عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾)، سجل الله عليهم الظلم. والظلم أنواع، أعظم الظلم: الشرك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣]؛ لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه[١]، فهذا الكلام وُضِع في غير موضعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾)، ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾، سواء كان الحق لهم أو عليهم، يقولون: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ما يحكم به الحاكم الشرعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾)، الذين يقولون: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾، وإن كان الحق عليهم ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، فَبَيَّنَ أَنَّ هَذَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ)، سواء كان الحق لهم أو عليهم يقولون: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾.

---

(١) انظر: غريب الحديث لابن قُتَيْبَةَ (٢/ ٨٤)، ومختار الصحاح (ص١٧٠)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣)، والقاموس المحيط (ص١٤٦٤).

....

ش: وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به. وأشدها خطرًا إرادات القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له.

ويفيد الخوف من النفاق الأكبر، فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء إيمانًا قبل أن يقولوا ما قالوه؛ كما قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْت ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»[(١)].

نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها)**؛ كما كفر هؤلاء بهذه الكلمة التي قالوها: (ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء) إلى آخره -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأشدها خطرًا إرادات القلوب، فهي كالبحر الذي لا ساحل له)**، ما يجري على القلوب من تصديق أو تكذيب هذا أشدها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويفيد الخوف من النفاق الأكبر)**، لأن النفاق: نفاق أصغر، ونفاق أكبر، وهو الكفر، أما النفاق الأصغر هذا كفر أصغر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كما قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «أَدْرَكْت ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ»)**، كان عمر بن الخطاب

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا (١/ ١١٠- ١١١ مع الفتح) -كتاب الإيمان باب خوف المؤمن أن يحبط عمله- وقال الحافظ: وصله ابن أبي خيثمة في تاريخه لكن أبهم العدد، وكذا أخرجه محمد بن نصر المروزي مطولًا في كتاب الإيمان له. اهـ.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأل حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول: أنشدك الله، هل ذكر لك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمي في أسماء المنافقين؟ فقال: حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا، ولا أزكي بعدك أحدًا[1].

(١) أخرجه وكيع في الزهد (ص٧٩١) من طريق زيد بن وهب، وأخرجه البزار في المسند (٧/ ٢٩٢) بنحوه من طريق آخر عن وائل عن حذيفة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٤٢): «ورجاله ثقات».

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى -وَهِيَ الْعَظِيمَةُ-: أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا، فَهُوَ كَافِرٌ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِي مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ.

الثَّالِثَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ النَّمِيمَةِ وَالنَّصِيحَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ.

الرَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ مِنَ الْأَعْذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى -وَهِيَ الْعَظِيمَةُ-: أَنَّ مَنْ هَزَلَ بِهَذَا فَهُوَ كَافِرٌ**)، من هزل بهذا، يعني: مزح بهذا الكلام، فهو كافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْآيَةِ فِي مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَائِنًا مَنْ كَانَ**)، من فعل يحكم عليه بهذا الحكم، كائنًا من كان، ولو كان مؤمنًا في الأول، يُحكم عليه بالكفر بعد إيمانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: الْفَرْقُ بَيْنُ النَّمِيمَةِ وَبين النَّصِيحَةِ للهِ وَلِرَسُولِهِ**)؛ لأن هذا الرجل الشاب جاء وتحدث عن ناس غائبين، فظاهره أنه نميمة، لكنه لما كان معناه النصيحة، كان إيمانًا، وليس نميمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْعَفْوِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ وَبَيْنَ الْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَاءِ اللهِ**)، العفو هذا محمود، وأما الغلظة على أعداء الله، فهي ممدوحة ومحبوبة؛ ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:٧٣]. قال الله: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْخَامِسَةُ: أَنَّ مِنَ الْأَعْذَارِ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقْبَلَ**)، يعني: لا يجوز أن يُقبل إذا كان فيه معنى سيئ.

٤٨- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [فصلت:٥٠].

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ «هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ»[(١)].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي»[(٢)].

وَقَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ»[(٣)].

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ»[(٤)].

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ»[(٥)].

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٥٨)، وأخرجه البخاري معلقًا، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (٦/ ١٢٧).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٥/ ٣٧٣).

(٣) انظر: تفسير البحر المحيط (٩/ ٢١٠)، وتفسير الثعالبي (٥/ ٩٦)، وشفاء العليل (ص٣٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٣٠١٢) عن السدي. وانظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٢٢٠).

(٥) أخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٢٢١).

غَلِيظٍ ﴾ [فصلت:٥٠] الآية)، ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس، وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها ما يكفي في المعنى ويشفي.

قوله: «قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا بِعَمَلِي، وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي».

وَقَوْلِهِ: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص:٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَى عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ المَكَاسِبِ».

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَى عَلْمٍ مِنَ اللهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ».

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ».

وليس فيما ذكروه اختلاف، وإنما هي أفراد المعنى.

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٌ ﴾ [الزمر:٤٩]: يُخْبِرُ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي حَالِ الضر يَضْرَع إِلَى اللهِ تعالى، وَيُنِيبُ إِلَيْهِ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْه طَغَى وَبَغَى، وَقَالَ: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ ﴾ [القصص:٧٨]، أَيْ: لِمَا يَعْلَمُ اللهُ مِنِ اسْتِحْقَاقِي لَهُ، وَلَوْلَا أَنِّي عِنْدَ اللهِ تَعَالَى حَظِيظٌ، لَمَا خَوَّلني هَذَا.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٌ ﴾ [الزمر:٤٩]، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَما زَعَم، بَلْ إِنَّما أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ لِنَخْتَبِرَهُ فِيما أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ؛ أَيُطِيعُ أَمْ يَعْصِي؟ مَعَ عِلْمِنَا الْمُتَقَدِّمِ بِذَلِكَ.

﴿ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٌ ﴾، أَيِ: اخْتِبَارٌ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر:٤٩]، فَلِهَذَا يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ، وَيَدعُونَ مَا يَدعُونَ.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أَيْ: قَدْ قَالَ هَذِهِ المَقَالَةَ وَزَعَمَ هَذَا الزَّعْمَ، وَادَّعَى هَذِهِ الدَّعْوَى كَثِيرٌ مِمَّنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٥٠]، أَيْ: فَما صَحَّ قَوْلُهُمْ وَلَا نَفَعَهُمْ جَمْعُهُمْ وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، أي: من المخاطبين ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾، أي: كما أصاب أولئك، ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر:٥١].

كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ قَارُونَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٦-٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥]. اهـ[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾)،

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٥ - ١٠٦).

بمعنى أنه لا يعترف بمنَّة الله عليه، وأن الله أبرأه من المرض؛ فيقول: هذا أنا أستحقه على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويجحد نعمة الله عليه -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَوْلِهِ:** ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨])، ويجحد نعمة الله عليه، وهذا نقصان في التوحيد؛ فإن الاعتراف بنعمة الله، وأن النعم من عند الله هذا من التوحيد.

وإضافة النعمة إلى العبد، وأنها من سعيه وكسبه هذا من الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَى شَرَفٍ»**)، والمعنى الثاني: على علم من الله أني أستحقه، فيجحد فضل الله عليه، وينسب النعمة إلى أنه مستحق لها، وليس لله فضل عليه فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وليس فيما ذكروه اختلاف وإنما هي أفراد المعنى**)، هذا يدل على أن هذه الآية لها عدة تفاسير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْه طَغَى وَبَغَى، وَقَالَ:** ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [القصص:٧٨]، **أَيْ: لِمَا يَعْلَمُ اللهُ مِنِ اسْتِحْقَاقِي لَهُ، وَلَوْلَا أَنِّي عِنْدَ اللهِ تَعَالَى حَظِيظٌ لَمَا خَوَّلني هَذَا**)، فيجحد نعمة الله عليه، وينسب هذا إلى استحقاقه على الله هذه النعمة، هذا من كفران النعمة -والعياذ بالله!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾، **أَيِ: اخْتِبَارٌ**)، ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر:٤٩]، هذا الكلام فتنة، إنه أعجب بنفسه، وجحد نعمة الله عليه، وقال: هذا حقي على الله، أنا مستحقه. فهذا لا شك أنه مخلٌّ بالعقيدة، مخل بالتوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٤٩]، **فَلِهَذَا يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ، وَيَدعُونَ مَا يَدعُونَ**)، فهذا القول -(هذا لي)- ليس عن علم، وإنما هو عن جهل بحق الله سبحانه والاعتراف بنعمته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾)، قد قال هذه المقالة أن هذه النعم يستحقونها، فلم يعترفوا بفضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾، فالكسب نعمة من الله، وليس هو استحقاق العبد على الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر:٥٠]، **أَيْ: فَمَا صَحَّ قَوْلُهُمْ وَلَا نَفَعَهُمْ جَمْعُهُمْ وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**)، جحدوا نعمة الله، وأنكروا فضله، وهذا مخلٌّ بعقيدة التوحيد؛ لأن من معاني توحيد الله: الاعتراف بنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العبد، وأن الله منَّ بها عليه، وليست من كسبه، وليس هو مستحق لها على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله لا يجب عليه حقٌّ من خلقه، وإنما هو حقٌّ أوجبه على نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾، **أي: من المخاطبين** ﴿ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ﴾، **أي: كما أصاب أولئك،** ﴿ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الزمر:٥١])، فهم تكبروا أن يعترفوا بنعمة الله عليهم، فهذه سنة من سنن الجاهلية؛ ﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾، أي: من قبل أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمة الدعوة، ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر:٥٠]، لما جاء أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونزلت بهم المصائب، ولو كانت هذه النعم من عندهم، لتمسكوا بها، واحتفظوا بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى مخبرًا عن قارون أنه قال له قومه:** ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٦-٧٨])، قارون ملك من الملوك السابقين، وكانت عنده نعم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، منَّ الله بها عليه، فجحد فضل الله بهذه النعمة وقال: هذه النعم إنما هي على علم عندي -يعني: بوجوه المكاسب-، أخذتها لأني أعرف وجوه المكاسب، فأنا الذي أوجدتها. فيجحد نعمة الله عليه، وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ نسأل الله العافية!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾)؛ قارون، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦]، مفاتح هذه الكنوز، مفاتيحها يعجز الجماعة عن حملها لكثرتها وثقلها.

الله جَلَّ وَعَلَا لما أنزل بهم عقوبته ما أغنى عنهم هذا الكسب الذي يزعمونه، فأخذتهم العقوبة، وزالت هذه النعمة من بين أيديهم، ولم يستطيعوا إمساكها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦])، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ﴾، يعني: فرح بطر، أما الفرح بنعمة الله، فهو من أنوع التوحيد، ولكن لا تفرح بها فرح بطر، وتدعي أنها من كدك وكسبك، تجحد فضل الله عليك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧])، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: من هذا المال، ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾؛ تصرفه في

طاعة الله وعبادة الله، ﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: تطغى بهذا المال، وتفسد في الأرض، وتؤذي عباد الله بالترفع عليهم

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾)، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾: تمتع بما آتاك الله مع الشكر لله عَزَّوَجَلَّ، فالإنسان لا يحرم نفسه من نعم الله عليه بحجة أن هذا من العبادة، هذا ليس من العبادة، هذا من كفران النعمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾)، ﴿وَأَحۡسِن﴾ من هذا المال، وتصدق منه، وأعط المحتاجين؛ ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ﴾ إليك، فأعطاك هذا المال، وجاد به عليك، فمن شكره أنك تحسن إلى الناس المحتاجين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص:٧٧])، ﴿وَلَا تَبۡغِ﴾ بهذا المال ﴿ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي والسيئات؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، ومفهوم هذا أن الله يحب المحسنين؛ كما صرح بهذا في آيات أخرى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص:٧٨])، جحد نعمة الله، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾، على علم مني، على معنيين في تفسير الآية: ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾، أي: على خبرة مني بوجوه المكاسب، وليس لله فضل عليَّ في ذلك، أو ليس لأحد عليَّ فضلٌ في ذلك، فجحد نعمة الله، وأنكر فضل الله عليه، وهذا من نقصان التوحيد(١).

---

(١) انظر: (ص٢٠٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾)، ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾، أي: من الأمم السابقة، ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال، ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٥٠]، من هذه الأموال، وما دفعت عنهم عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لما نزل بهم، فدل على أن هذه النعمة من الله، هو الذي يعطيها، وهو الذي يسلبها من العبد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص:٧٨])، بل يؤخذون بها، ويعاقبون بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥])، وقال أهل الجاهلية: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾، تكبروا بأموالهم وأولادهم، وظنوا أن الله لا يعذبهم، وأن هذه الأموال وهؤلاء الأولاد يدفعون عنهم عذاب الله، قال الله جَلَّ وَعَلَا ردًّا عليهم: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٥٠]، لما جاء أمر الله، ما دفعت عنهم أموالهم عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فائدة: من يقول عندما يحصل على عمل: إنما تحصلت عليه بفضل شهادتي أو خبرتي، هل يدخل في هذا؟

الجواب: نعم، بلا شك، ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨]، الشهادة علم، فهو ينسب إلى شهادته ما أعطاه الله من النعم، ويجحد فضل الله عليه، وهذا مضاد للتوحيد.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الأَبْرَصَ؛ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ؛ وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِيْ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ. قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ أَوِ البَقَرُ -شَكَّ إِسْحَاقُ-، فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا.

قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِيْ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقَرُ أَوِ الإِبِلُ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا.

فَأَتَى الأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا. فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِيْنٌ وَابْنُ سَبِيْلٍ؛ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي هذا؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِيْ أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ؛ بَعِيْرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوْقُ كَثِيْرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ! أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيْرًا؛ فَأَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ المَالَ؟ فَقَالَ:

إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ له: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا؛ فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ؛ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي؛ فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى؛ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ». أَخْرَجَاهُ(١).

ش: قوله: (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً... الحديث).

قوله: (أَخْرَجَاهُ)، أي: البخاري ومسلم.

والناقة العشراء -بضم العين وفتح الشين وبالمد- هي الحامل.

وقوله: «فَأُنْتِجَ»، وفي رواية: (فنتَّج) معناه تولى نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

قوله: «وَوَلَّدَ هَذَا» هو بتشديد اللام، أي: تولى ولادتها، وهو بمعنى أنتج في الناقة، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ**)، يعني: جاءه أبرص، الملك صار أبرص، جاء إلى هذا الرجل في صورة هذا الرجل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ**)، يعني: وليس لله فضلٌ في ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ**)؛ لأن الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يتشكلون بأشكال أقدرهم الله عليها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ؛ فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ**)، وهذا الحديث فيه هؤلاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

الأول منهم: أبرص، رد الله عليه جلدًا حسنًا ولونًا حسنًا.

والثاني: أقرع ليس له شعر في رأسه، فرد الله عليه شعر رأسه، وتجمل بالشعر في رأسه.

والثالث: أعمى، رد الله عليه بصره، وأعطاه غنمًا وفقًا لطلبه، أعطاه الغنم.

فالله أراد أن يختبرهم، فأصاب هؤلاء، أصاب الأول بالقرع في رأسه بحيث لا ينبت له شعر، وصار رأسه لا شعر فيه يجمله، والثاني ابتلاه الله

بالبرص، أزال لون جلده نهائيًا، والثالث الأعمى فاقد البصر، فالله جَلَّ وَعَلَا ابتلى هؤلاء، لما جاءه الملك، قال له: أي شيء تحب؟ قال: أن ينبت شعر رأسي؛ أن يزول ما بي من القرع، فمسحه الملك، مسح برأسه، فعاد إليه الشعر وتجمل به.

والثاني: الأبرص، مسح الملك جلده، فرد الله عليه اللون الحسن.

والثالث: الأعمى، رد الله عليه بصره.

فجاءهم الملك في صورة محتاج يسألهم من الأموال التي معهم.

قال الملك للأول: أسألك بالذي رد عليك شعر رأسك، بعيرًا أتبلغ به، يعني: أسير عليه في سفري، فقال له صاحب الإبل: الحقوق كثيرة، يعني: لو أعطيتك لأعطيت الثاني والثالث والرابع، فينفذ المال -بزعمه.

وقال صاحب البقر: إنما أوتيت هذا المال على علم عندي بوجوه المكاسب، فهذا المال من كسبي، وليس لأحد فضلٌ فيه، «إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ»، وليس لأحد عليَّ فضلٌ فيه.

وقال الأعمى: قد كنت أعمى، فرد الله عليَّ بصري، فخذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك على شيء أخذته لله عَزَّوَجَلَّ، فكان أحسنهم مقالًا، شاكرًا لله على نعمه.

فقال لهم الملك: إنما ابتليتم بهذه الأسئلة، وقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك: الأقرع والأبرص؛ لأنهما جحدا نعمة الله عليهما، وهذا منافٍ لتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ.

والأعمى رضي الله عنه؛ لأنه اعترف بفضل الله عليه، وهذا من التوحيد ومن العقيدة، والاعتراف بنعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أَخْرَجَاهُ» أي: البخاري ومسلم)**، وهذا ما اتفق عليه الشيخان، هذا أصح الأحاديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره)**، الناتج والتوليد هذا للحيوان، والقابلة هذا لبني آدم.

....

ش: وقوله: «انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ»[١] هو بالحاء المهملة والباء الموحدة: أي انقطعت بي الأسباب.

وقوله: «لَا أَجْهَدُكَ». معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذ، أو تطلبه من مالي ذكره النووي[٢].

وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر؛ فإن الأولين جَحَدا نعمة الله، فما أقَرا لله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها بنعمه، فحلَّ عليهما السخط.

وأما الأعمى، فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة، لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: «انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ» هو بالحاء المهملة والباء الموحدة: أي انقطعت بي الأسباب)، الحبال في الشرع هي الأسباب التي يتوصل بها إلى المطلوب.

(١) قال ابن حجر في الفتح (٦/ ٥٠٢): (ولبعض رواة مسلم: (الحيال) بالمهملة والتحتانية، جمع: حيلة، أي: لم يبق لي حيلة).
(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩٨- ٩٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: «لَا أَجْهَدُكَ». معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذ، أو تطلبه من مالي)**، «لَا أَجْهَدُكَ»، يعني: لا أشق عليك بشيء أخذته لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر؛ فإن الأولين جَحَدا نعمة الله)**، وهذا محل الشاهد من الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه معتبر؛ فإن الأولين جَحَدا نعمة الله، فما أقَرا لله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها بنعمه، فحلَّ عليهما السخط)**، وهذا فيه معتبرٌ للذين يتكبرون بأموالهم، ويظنون أنها من كسبهم وكدهم، ويجحدون فضل الله عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها. وهي الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يحب)**؛ فيما يحبه المنعم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الإقرار بالنعمة)**، الإقرار بالنعمة أنها من الله، لا بكده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونسبتها إلى المنعم)**، كذلك بمعنى واحد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبذلها فيما يحب)**، وبذلها فيما يحب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو التصدق منها وإعطاء المحتاجين منها.

....

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلًا بها، لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضًا.

ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدها؛ كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها، وأقر بها، ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له، ولم يحبه ويرض به وعنه، لم يشكره أيضًا.

ومن عرفها، وعرف المنعم بها، وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها.

فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم، ومحبته، والخضوع له[1].

قوله: «قَذِرَنِي النَّاسُ»؛ بكراهة رؤيته، وقربه منهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل والمحبة)، هذه أركان الشكر، وهي: الأول: معرفة النعمة، وأنها نعمة من الله لا بكده ولا بكسبه.

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (ص٩٥)، ومدارج السالكين (٢/ ٢٣٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضًا)**، فمن عرفها، ولم يعرف المنعم بها -وهو الله-، بل نسب ذلك إلى غيره، وأن فلانًا هو المتفضل عليه بهذا المال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدها، كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها)**، من لم يعرف النعمة وأنها من الله وينسبها إلى الله، فقد كفر بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن عرف النعمة والمنعم بها، وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له، ولم يحبه ويرض به وعنه، لم يشكره أيضًا)**، هذا كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لابد من الأمور الثلاثة حتى يتحقق الشكر: معرفة النعمة، ومعرفة المنعم بها، ووضعها في مواضعها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن عرفها، وعرف المنعم بها، وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها)**، من اجتمعت فيه هذه الأمور الثلاثة: معرفة النعمة، ومعرفة المنعم بها، وصرفها في طاعة الله، هذه أركان الشكر.

والله قد أثنى على نبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قَذِرَنِي النَّاسُ» بكراهة رؤيته، وقربه منهم)**؛ لأنهم يكرهون الأقرع والاختلاط به؛ خوفًا من أن يعديهم.

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الآيَةِ.

الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾؟

الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾؟

الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ القِصَّةِ العَجِيْبَةِ مِنَ العِبَرِ العَظِيْمَةِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، هذا فقه الباب، من عادة المصنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يذكر فقه الباب، وذلك بذكر ما يستفاد منه من المسائل العلمية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ الآيَةِ:** ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ [فُصِّلت:٥٠])، أعطيناه يعني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: مَا مَعْنَى** ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾؟)، يعني: يجحد نعمة الله عليه بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ** ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾؟)، يجحد أن الله هو الذي أعطاه إياه، وإنما هي بكده وكسبه وعلمه وخبرته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: مَا فِي هَذِهِ القِصَّةِ العَجِيْبَةِ مِنَ العِبَرِ العَظِيْمَةِ**)، من العبر العظيمة الثلاثة، العبر الثلاث التي فيها.

فائدة: بعض أصحاب المزارع يعطي هذه النخل السماد، ويكرمه بالماء، فيأتي الثمر جيدًا، والآخر لا يعطي، فيقول: لأني أعطيت هذا السماد والماء، فأصبح الثمر جيدًا، وهذا ليس كذلك، فهل هذا يدخل في الباب أو لا؟

الجواب: لا، لا يدخل في الباب، يعني: رد إلى الأسباب، هذا سبب يعني، فلا يعتبر داخلًا، ليس هناك شك في أن النخلة التي تُعطى سمادًا، وتروى بالماء، ويخفف عنها الحمل أنها تنتج.

٤٩- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠].

ش: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠]).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في معنى هذه الآية: حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةَ، عَنْ الحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَّاءُ، طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الحَارِثِ، فإنه يعيش، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ».

وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار وبندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد ابن المثنى عن عبد الصمد به، وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه.

ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعًا(١).

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: ثنا سَهْلُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنِ الحَسَنِ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠] قَالَ: «كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ المِلَلِ، وَلَمْ يَكُنْ بِآدَمَ»(٢).

وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُعَاذٍ، قَالَ: ثنا يَزِيدُ، قَالَ: ثنا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ الحَسَنُ يَقُولُ: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، رَزَقَهُمُ اللهُ أَوْلَادًا فَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا»، وهذا إسناد صحيح عن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣).

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: وَأَمَّا الْآثَارُ: فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الحُصَين، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَتْ حَوَّاءُ تَلِدُ لِآدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أَوْلَادًا فَيُعَبِّدُهُمْ للهِ، ويُسَمّيهم: عَبْدَ اللهِ وَعُبَيْدَ اللهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَيُصِيبُهُمُ الموت، فأتاهما إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنَّكُمَا لَوْ تُسَمِّيَانِهِ بِغَيْرِ الَّذِي تُسميانه بِهِ لَعَاشَ.

قال: فَوَلَدَتْ لَهُ رَجُلًا، فَسَمَّاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللهُ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ﴾ [الأعراف:١٨٩] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٣/ ٣٠٥)، والترمذي (٣٠٧٧)، والطبري (١٠/ ٦٢٦)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣١)، والطبراني في الكبير (٦٨٩٥)، والحاكم (٢/ ٥٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٢٩).

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٢٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٧).

وَقَالَ العَوْفِي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَأَتَاهُمَا الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرِيَانِ مَا يُولَدُ لَكُمَا؟ أَمْ هَلْ تَدْرِيَانِ مَا يَكُونُ؟ أَبَهِيمَةٌ أَمْ لَا؟ وزيَّن لَهُمَا الْبَاطِلَ؛ إِنَّهُ غَوِيٌّ مُبِينٌ، وَقَدْ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ وَلَدَتْ وَلَدَيْنِ فَمَاتَا، فَقَالَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ: إِنَّكُمَا إِنْ لَمْ تُسَمِّيَاهُ بِي، لَمْ يَخْرُجْ سَوِيًّا، وَمَاتَ كَمَا مَاتَ الْأَوَّل، فَسَمَّيَا وَلَدَهُمَا عَبْدَ الحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠](١).

وذكر مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، ورواه ابن أبي حاتم.

وَقَدْ تَلَقَّى هَذَا الْأَثَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، كَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

وَمِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ: قَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الخَلَفِ، وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ جَمَاعَاتٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً.

قَالَ العِمَادُ ابْن كَثِيرٍ: وَكَأَنَّهُ أَصْلُهُ -وَاللهُ أَعْلَمُ- مَأْخُوذٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ(٢).

قلت: وهذا بعيد جدًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:١٩٠])، لما حملت زوجة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أتاها الشيطان، قال لها: سمياه عبد الحارث، وإلا جعلت له قرونًا، فيشق بطنك، فأشفق الأبوان -آدم وحواء-، وسمياه بهذا الاسم؛ طاعة

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٦٢٤)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٧).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٨).

للشيطان، والله جَلَّوَعَلَا ذكر ذلك في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾، يعني: كامل الخلقة، ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠]، فأطاعا الشيطان، وسمياه عبد الحارث، وهذا من شرك الطاعة، لا من شرك العمل، والله جَلَّوَعَلَا ذكر هذا من باب اللوم لآدم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وزوجه حواء.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **قَالَ: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَّاءُ، طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمِّيهِ عَبْدَ الحَارِثِ، فإنه يعيش، فَسَمَّتْهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ)**، هذا تفسير لهذه الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، يعني: شرك الطاعة لا شرك العبادة، فأطاعاه إشفاقًا على الولد ليسلم؛ لأنه قال: سأجعل له قرن إِيَّلٍ، فيشق بطنك إن لم تسمه بهذا الاسم، فسمته بهذا الاسم؛ طاعة للشيطان، ومن باب الإشفاق على الولد. الله جَلَّوَعَلَا أنكر عليهما ذلك؛ كما في هذه الآية الكريمة: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾، يعني: في الخلقة، ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، يعني: في التسمية، فسمياه عبد الحارث، والتعبيد إنما يكون لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(عَنِ الحَسَنِ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ قَالَ: «كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ المِلَلِ، وَلَمْ يَكُنْ بِآدَمَ)**، يعني: ليس الذي جاءت القصة في شأنه أنه آدم أبو البشر، ولكنه رجل آخر، فأطاع الشيطان في هذه التسمية.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(كَانَ الحَسَنُ يَقُولُ: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، رَزَقَهُمُ اللهُ أَوْلَادًا فَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا»، وهذا إسناد صحيح عن الحسن)**، يعني الحسن

البصري أن هذا في اليهود، هم الذين سموا بهذه التسمية، اليهود والنصارى سموا بهذه التسمية؛ طاعة للشيطان، وإشفاقًا على هذا الولد؛ ليسلم ويبقى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الأعراف:١٩٠])، وهذا ليس من الشرك في العبادة، وإنما هو من الشرك في التسمية؛ حيث أطاعا الشيطان وسمياه عبد الحارث؛ إشفاقًا عليه لأجل أن يسلم.

والله عاب ذلك عليهما، وقال: **﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾**، هذا من شرك الطاعة وليس من شرك العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ العِمَادُ ابْن كَثِيرٍ: وَكَأَنَّهُ أَصْلُهُ -وَاللهُ أَعْلَمُ- مَأْخُوذٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. قلت: وهذا بعيد جدًّا**)، يعني: هذا القول بعيد جدًّا بهذا السياق، وإنما السياق الأول هو الراجح أو الصحيح.

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ[1].

ش: (ابْنُ حَزْمٍ) هو عالم الأندلس، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم القرطبي الظاهري، صاحب التصانيف، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة. وله اثنتان وسبعون سنة[2].

و(عَبْدَ الْمُطَّلِبِ) هذا هو جد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه، ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

حكى رَحِمَهُ اللهُ اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبِد لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية والإلهية؛ لأن الخلق كلهم ملكٌ لله وعبيدٌ له، استعبدهم لعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته، فمنهم من عبد الله ووحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، فهذه هي العبودية العامة.

---

(١) انظر: مراتب الإجماع (ص١٥٤).

(٢) انظر في ترجمته: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص ٤١٥)، ومعجم الأدباء (٤/ ١٦٥٠)، وتاريخ الإسلام (١٠/ ٧٤)، والأعلام للزركلي (٤/ ٢٥٤).

وأما العبودية الخاصة، فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة؛ كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦] ونحوها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الكَعْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ)**، هذا الأثر كما ذكر ابن حزم الظاهري -إمام الظاهرية- هو الذي هو الذي ذكر هذا الشيء ورواه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: اتَّفَقُوا)**، **(اتَّفَقُوا)**، أي: العلماء على تحريم كل اسم معبد بغير الله عَزَّوَجَلَّ، وإنما يُعبد لله؛ لأنه عبد الله على الحقيقة؛ هو الذي خلقه، وهو الذي أوجده، وهو الذي رباه، فيُعبد لله عَزَّوَجَلَّ لا يُعبد لغيره، عبد الحارث هذا لا يجوز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ)**: جد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك لأن معنى عبد المطلب أنه سافر مع عمه، فأصابه السواد من السفر، فلما قدم به سموه عبد المطلب؛ نسبة إلى عمه؛ لأنه جاء به أسود من السفر، فسموه عبد المطلب، لا أنه من التعبيد لغير الله، وإنما من إسناد الشيء إلى صاحبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ)**، (حَاشَا)، يعني: لا يدخل عبد المطلب في هذا الممنوع؛ لأن (عبد المطلب) بمعنى أنه خادمه، لما قدم به وهو أسود من السفر، سموه عبد المطلب؛ لا من باب التعبيد لغير الله، وإنما من أجل الصحبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل** عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ**)**، فهم من العرب المستعربة، لا من العرب العاربة القحطانية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حكى** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبِد لغير الله؛ لأنه شرك في الربوبية والإلهية؛ لأن الخلق كلهم ملكٌ لله وعبيدٌ له، استعبدهم لعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته)**، الخلق كلهم عباد الله؛ لأنه ربهم وخالقهم ومربيهم بنعمه، فهم عباد الله جَلَّ وَعَلَا، ولا يُعبدون لغيره.

ولكن (عبد المطلب) هذا لأنه جاء مع عمه من السفر، وكان أسود بسبب إصابة الشمس، فسموه عبد المطلب بمعنى أنه صاحبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته)**، الشرك إنما وقع في توحيد العبادة، ولم يقع في توحيد الربوبية؛ لأن كلهم مقرون بتوحيد الربوبية، إنما الخلاف جاء في توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته)**، توحيد الربوبية هذا لم يجحده أحد، وإنما الجحود وقع في توحيد الألوهية، وهو توحيد العبادة، فكثير منهم أشركوا بالله في عبادته، ولم يشركوا في ربوبيته

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد، كما قال تعالى:** ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم:٩٣]**)**، هذا في توحيد الربوبية، وأما توحيد الألوهية، فكثير منهم أشرك بالله في إلهيته وعبادته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى:** ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [مريم:٩٣]، **فهذه هي العبودية العامة)**، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [مريم:٩٣]، ﴿ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾، يعني: بالربوبية، فالله رب الجميع وخالق الجميع، وهم عباده، فهم لا يشركون في توحيد الربوبية، وإنما وقع منهم الشرك في توحيد الألوهية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما العبودية الخاصة، فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالى:** ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦] **ونحوها)**، العبودية الخاصة -توحيد الألوهية- هذه خاصة بالمؤمنين، وأما الكفار، فهم اعترفوا بتوحيد الربوبية، ولكنهم أشركوا بتوحيد الألوهية، ولذلك بعث الله الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يأمرون الناس بعبادة الله وحده لا شريك له في العبادة، جاءوا بتوحيد العبادة، ولم يأتوا من أجل توحيد الربوبية؛ لأن هذا شيء أقر به الكفار.

....

ش: قوله: (حَاشَا عَبْدَ الْمُطَّلِبِ) هذا استثناء من العموم المستفاد من كل، وذلك أن تسميته بهذا الاسم لا محظور فيها؛ لأن أصله من عبودية الرق.

وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبة هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج؛ لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة، فجاءت منه بهذا الابن.

فلما شب في أخواله، وبلغ سن التمييز، سافر به عمه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته، فقدم به مكة وهو رديفه، فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبدًا للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب، فعلق به هذا الاسم وركبه، فصار لا يذكر ولا يدعى إلا به، فلم يبق للأصل معنى مقصود، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»[1].

وقد صار معظمًا في قريش والعرب، فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم[2]، وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده.

وعبد الله: والد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد بني عبد المطلب، وتوفي في حياة أبيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦) من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: سيرة ابن إسحاق (ص٢٣)، وسيرة ابن هشام (١/ ١٤٢)، والكامل في التاريخ (١/ ٦١٤- ٦١٦)، والبداية والنهاية (٢/ ٣٠٣ - ٣٠٥).

قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب «الدرة السنية في مولد خير البرية»: كَانَ سِنُّ عبد الله حِينَ حَمَلَتْ مِنْهُ آمنة بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيَمْتَارَ مِنْهَا تَمْرًا لِأَهْلِهِ، فَمَاتَ بِهَا عِنْدَ أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْلٌ عَلَى الصَّحِيحِ. انتهى[(١)].

قلت: وصار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أوضعته أمه في كفالة جده عبد المطلب.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ: وتوفي أبوه عبد الله وللنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل: أقل من ذلك، وقيل: وهو حملٌ، توفي بالمدينة، وكان قد قدمها ليمتار تمرًا، وقيل: بل مر بها راجعًا من الشام، وعاش خمسة وعشرين سنة.

قال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سنه ووفاته.

وتوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار، وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم، وقيل: ابن أربع سنين.

فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلى جده، فكان في كفالته إلى أن توفي جده، وللنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثمان سنين، فأوصى به إلى عمه أبي طالب. اهـ[(٢)].

---

(١) نقله السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٥٠).
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٥٣- ٥٤)، وتاريخ الإسلام (١/ ٤٩٩- ٥٠٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبة)**؛ شيبة الحمد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»)**، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتسب إلى عبد المطلب، وعبد المطلب عرفنا معناه وسببه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: وصار النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما أوضعته أمه في كفالة جده عبد المطلب)**، لأن أباه قد مات، فكفله جده عبد المطلب ورباه.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي الآيةِ قَالَ: «لَمَّا تَغَشَّاهَا آدمُ حَمَلَتْ، آتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الذي أَخْرَجْتُكُمَا مِنْ الجنَّةِ، لَتُطِيعُنَّنِي أَوْ لأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ إِيِّلِ فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقَّهُ، وَلأَفْعَلَنَّ وَلأَفْعَلَنَّ -يُخَوِّفُهُمَا-، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مثل قوله، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَت، فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ سبحانه: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠]» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[(١)].

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»[(٢)].

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ قَالَ: «أَشْفَقَا أَنْ لا يَكُونَ إِنْسَانًا»[(٣)]، وَذُكِرَ مَعْنَاهُ عَنِ الحَسَنِ وَسَعِيدٍ، وَغَيْرِهِما[(٤)].

ش: قوله: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي الآيةِ قَالَ...)، قدمنا نظيره عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في المعنى.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٤).
(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٤) بلفظ: «شِرْكًا فِي طَاعَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ شِرْكًا فِي عِبَادَتِهِ».
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣٣).
(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٦٢٠- ٦٢١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٢- ١٦٣٤).

قوله: (وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ»).

قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم يقصد حقيقته التي يريدها إبليس، وهو محمل حسن يبين أن ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله، وهذا معنى قول قتادة: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءُ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ)، وهو من شرك الطاعة؛ حيث أطاعا الشيطان في التسمية، فسمياه عبد الحارث، وليس من شرك العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم يقصد حقيقته التي يريدها إبليس)، شرك في التسمية لا في العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهو محمل حسن يبين أن ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله، وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته)، وهو من شرك الطاعة؛ حيث أطاعا الشيطان في هذه التسمية؛ إشفاقًا على الولد.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ تَسْمِيَةٍ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ.

الخَامِسَةُ: ذِكْرُ السَّلَفِ الفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ وَالشِّرْكِ فِي العِبَادَةِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُولَى: تَحْرِيمُ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ اللهِ**)، تحريم كل اسم معبد لغير الله، وإنما تُعبد الأسماء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ الآيَةِ**)، ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠]، أنه من شرك الطاعة، لا من شرك العبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: أَنَّ هَذَا الشِّرْكَ فِي مُجَرَّدِ التَسْمِيَةِ لَمْ تُقْصَدْ حَقِيقَتُهَا**)، مجرد التسمية ولم يقصد حقيقتها، يعني: أنه يعبد من أُضيف إليه، وإنما هو يعبد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّ هِبَةَ اللهِ لِلرَّجُلِ الْبِنْتَ السَّوِيَّةَ مِنَ النِّعَمِ**)، هبة الله البنت السوية من النعم، نعم الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث لم تخرج أو تولد على صفة ناقصة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: ذَكَرَ السَّلَفُ الفَرْقَ بَيْنَ الشِّرْكِ فِي الطَّاعَةِ وَالشِّرْكِ فِي العِبَادَةِ**)، أن الشرك في الطاعة أخف من الشرك في العبادة؛ لأن

الشرك في العبادة -والعياذ بالله- شرك أكبر، وأما مجرد الشرك في الطاعة فهو شرك أصغر، والشرك الأصغر يقع كثيرًا.

فائدة: ينتشر عند بعض الناس التسمية بعبد النبي أو عبد الرسول أو عبد الحسين، فهل هذا يدل في هذا الباب وحكمه؟

الجواب: بلا شك أنه يدخل في هذا الباب، التعبيد لغير الله هو من الشرك في التسمية.

فائدة: ومن كان اسمه كذلك، هل يلزمه تغييره؟

الجواب: نعم، يغير، من كان اسمه عُبِّد لغير الله، فإنه يجب تغيير اسمه، فيعبَّد له عَزَّوَجَلَّ، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم:٩٣].

٥٠- بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: «يُشْرِكُونَ»(١).

وَعَنْهُ: «سَمَّوا اللَّاتَ مِنَ الإله، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيزِ»(٢).

وَعَنِ الأَعْمَشِ: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»(٣).

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»(٤). أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة.

ورواه البخاري عن أبي اليمان عن أبي الزناد عن الأعرج عنه(٥).

وأخرجه الترمذي عن الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله، وزاد بعد قوله: «يُحِبُّ الْوِتْرَ»، هُوَ اللهُ الَّذِي

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في المطبوع من تفسير ابن أبي حاتم، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧- ٥٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣) عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٠)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٥) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٦٤١٠، ٧٣٩٢).

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ الغَفَّارُ القَهَّارُ الوَهَّابُ الرَّزَّاقُ الفَتَّاحُ العَلِيمُ القَابِضُ البَاسِطُ الخَافِضُ الرَّافِعُ المُعِزُّ المُذِلُّ السَّمِيعُ البَصِيرُ الحَكَمُ العَدْلُ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ الحَلِيمُ العَظِيمُ الغَفُورُ الشَّكُورُ العَلِيُّ الكَبِيرُ الحَفِيظُ المُقِيتُ الحَسِيبُ الجَلِيلُ الكَرِيمُ الرَّقِيبُ المُجِيبُ الوَاسِعُ الحَكِيمُ الوَدُودُ المَجِيدُ البَاعِثُ الشَّهِيدُ الحَقُّ الوَكِيلُ القَوِيُّ المَتِينُ الوَلِيُّ الحَمِيدُ المُحْصِي المُبْدِئُ المُعِيدُ المُحْيِي المُمِيتُ الحَيُّ القَيُّومُ الوَاجِدُ المَاجِدُ الوَاحِدُ الأحد الفرد الصَّمَدُ القَادِرُ المُقْتَدِرُ المُقَدِّمُ المُؤَخِّرُ الأَوَّلُ الآخِرُ الظَّاهِرُ البَاطِنُ الوَالِيَ المُتَعَالِي البَرُّ التَّوَّابُ المُنْتَقِمُ العَفُوُّ الرَّءُوفُ مَالِكُ المُلْكِ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، المُقْسِطُ الجَامِعُ الغَنِيُّ المُغْنِي المعطي المَانِعُ الضَّارُّ النَّافِعُ النُّورُ الهَادِي البَدِيعُ البَاقِي الوَارِثُ الرَّشِيدُ الصَّبُورُ»[(١)].

قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَلَا نَعْلَمُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ ذكر الْأَسْمَاءِ، إِلَّا فِي هَذَا الحَدِيثِ.

والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي: أنهم جمعوها من القرآن؛ كما رُوِي عن جعفر بن محمد وسفيان وأبي زيد اللغوي، والله أعلم. هذا ما ذكره العماد ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره[(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٨٨، ٨٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٢، ٦٣)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٤٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٥)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٩)، (٢٢/ ٤٨٢).

ثم قال: (ليُعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين، بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»، وقد أخرجه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه(١).

وقال العوفي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قَالَ: «إِلْحَادُ الْمُلْحِدِينَ أَنْ دَعَوُا اللَّاتَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ»(٢).

وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، قال: «اشْتَقُّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَه، واشتقوا العُزَّى مِنَ العَزِيزِ»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٤٦، ٧/ ٣٤١)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٢٥٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٤٠)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ١٩٨)، والطبراني في الكبير (١٠/ ١٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣).

وقال قتادة: «يُلْحِدُونَ: يُشرِكُونَ»[(١)].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «الإلحاد: التكذيب»[(٢)].

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر[(٣)])[(٤)].

قال الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ: قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠])، الله جَلَّ وَعَلَا أخبر أن له الأسماء الحسنى، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨]، فكل أسماء الله حسنى؛ لأن كل اسم منها له معنى، وليست من قبيل المترادف، وإنما كل اسم منها له معنى، فأسماء الله جَلَّ وَعَلَا ذكر في القرآن منها ما ذكر، وفي الأحاديث الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها -أيضًا.

الإيمان بالله يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته.

ومعنى كونها حسنى: أن كل اسم منها يدل على صفة من صفات الله، وليست من قبيل المترادف، وإنما كل اسم منها له معنى خاص به يليق بجلال

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧- ٥٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٣) من الطريق المذكور، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧) من طريق معاوية عن علي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٤٤)، والنهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٣٦)، ومختار الصحاح (ص٢٨٠)، ولسان العرب (٣/ ٣٨٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٥- ٥١٦).

الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي القرآن منها الشيء الكثير، يجب الإيمان بها، ويجب الدعاء بها، كل اسم منها يشتق منه صفة، فالرحمن الرحيم يتضمنان معنى الرحمة، الرحمن عام، والرحيم خاص، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، فالرحمن رحمة عامة لجميع المخلوقات، والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾)، أي: توسلوا إلى الله بها، تقول: يا رحمن، ارحمني، يا رزاق، ارزقني، وهكذا، كل اسم تدعو الله به لك ولمن تريد من أهلك وإخوانك وعموم المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾)، ﴿وَذَرُواْ﴾، يعني: اتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾، والإلحاد هو الميل، فهم مالوا بها عن معانيها الصحيحة، أو جعلوها أسماء لآلهتهم كاللات والعزى ومناة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠])، هذا وعيد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن من ألحد في أسماء الله، مال بها عن معناها الصحيح، وفسرها بتفسير لا يليق بها، فهذا إلحاد بها وميل بها عن معناها الصحيح.

يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَذَرُواْ﴾، أي: اتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾، فلا تلفتوا إليهم ولا إلى ما يقولون.

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ﴾: هذا وعيد من الله سبحانه لمن ألحد في أسمائه، ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فالواجب إثبات أسماء الله بما دلت عليه من المعاني العظيمة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿**يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾: **يُشْرِكُوْنَ**)، ﴿يُلْحِدُونَ﴾ لها معان، الإلحاد له معان، والمراد بذلك: عموم الميل بها عما دلت عليه إلى معنى لا تدل عليه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَنْهُ؛ سَمُّوا اللَّاتَ مِنَ الإِلَهِ، وَالعُزَّى مِنَ العَزِيْزِ**)، ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يفسرونها بغير معناها الصحيح، أو يطلقونها على غيره من الخلق؛ مثلما سموا اللات والعزى.

اللات: بالتخفيف، ويقرأ بالتثقيل اللاتّ، قيل: إن هذا في الأصل اسم لرجل صالح كان يلت السويق للحجاج من باب التصدق عليهم، هذا أصل اللات(١).

والعزى: شجرات كانت على طريق ما بين مكة والطائف، شجرات كانوا يعبدونها(٢).

فلما جاء الإسلام، أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى اللات، وهو صنم على صورة الرجل الصالح الذي كان يلت السويق للحجاج ويطعمهم إياه، فأرسل إليها من هدمها، وأرسل خالد بن الوليد إلى العزى، فوجد فيها عجوزًا شوهاء، فقتلها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٩) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم:١٩] «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ».

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٤٩).

فبذلك قضى الله على هذه المعبودات التي تعبد من دونه، وتقرر التوحيد ببعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهاده حتى أقام الله به الدين وقمع به الشرك والكفر والإلحاد.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(وَعَنِ الأَعْمَشِ: يُدْخِلُوْنَ فِيْهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا)**، وعن الأعمش العالم المشهور سليمان بن مهران: أنهم يدخلون فيها ما ليس منها، ﴿يُلْحِدُونَ﴾، يعني: يدخلون فيها ما ليس منها، وهذا من معاني الإلحاد.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(عن أبي هريرة** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أن رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ)**، فهذا مما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠]، توسل إلى الله بأسمائه وصفاته في دعائك، تقول: يا رحمن، ارحمني، يا عزيز، أعزني بطاعتك، وهكذا.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(مَنْ أَحْصَاهَا)**، هذه الأسماء، ولله من الأسماء غيرها، ولكن هذه الأسماء خاصة أن من أحصاها بمعنى: تعلمها وحفظها، ودعا الله بها، **(دَخَلَ الجَنَّةَ)**، هذا وعدٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمن أحصى أسماءه وصفاته ودعاه بها أن يدخله الجنة، فهي وسيلة إلى الله يتوسل بها العبد إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ)**، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتر، أي: فرد، **«يُحِبُّ الْوِتْرَ»**، أي: يحب هذا الاسم؛ لأنه يدل على عظمة الله ووحدانيته.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: **(وزاد بعد قوله: «يُحِبُّ الْوِتْرَ»، هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ المَلِكُ القُدُّوسُ...)**، هذه جملة من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

وله أسماء استأثر الله جَلَّوَعَلَا بعلمها غير هذه الأسماء، فأسماؤه كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى، وكل اسم منها يتوسل به إلى الله.

تقول: يا غفور، اغفر لي، يا رحمن يا رحيم، ارحمني، وهكذا، كل اسم منها له معنى خاص به، وكلها تدل على عظمة الله وجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ)**، الحديث الغريب: ما تفرد بروايته شخص واحد[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه)**، **(مدرج فيه)**، يعني: من كلام الراوي، يريد به تفسير أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وليست من أصل الحديث، وإنما هي من كلام الراوي، فأُدرجت مع الحديث.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك. أي: أنهم جمعوها من القرآن)**، أخذوها من القرآن، من كلام الله جَلَّوَعَلَا، فسندها القرآن الكريم؛ لأنها مذكورة فيه، وإنما هم أحصوها وعدوها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ليُعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين)**، أسماء الله كثيرة، ولكن هذه التسعة والتسعين لها خاصية -والله أعلم-، فلذلك أُفردت.

---

(١) انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص٣٧٤)، ورسوم التحديث في علم الحديث (ص٨٠)، والباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص ١٦٦)، والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (٢/ ٤٦٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**)، فأسماء الله كثيرة، ومنها ما سجله العلماء وحفظوه وتناقلوه، ومنها ما هو في الكتاب والسنة، وهذا يدل على عظمة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن كثرة الأسماء والصفات تدل على عظمة المسمى والموصوف بها، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾. قال: «اشْتَقُّوا اللَّاتَ مِنَ الإِله، واشتقوا العُزَّى مِنَ العَزِيزِ»**)، هذا من الإلحاد في أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو أن يُدخل فيها ما ليس منها، وتوضع على المخلوقات؛ اللات من الله، والعزى من العزيز، وهكذا يطلقونها، هذا من الإلحاد بها؛ إطلاقها على غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من مخلوقاته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال قتادة: «يُلْحِدُونَ: يُشرِكُونَ»**)، هذا من معاني الإلحاد، وهو الشرك فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «الإلحاد: التكذيب»**)، هذا من معاني الإلحاد، الإلحاد معناه: الميل بها عما دلت عليه. وأنواعه كثيرة مما عمله الملاحدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف، ومنه اللحد في القبر، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر**)، الإلحاد هو الميل عمومًا، فكل من مال إلى الباطل، فقد ألحد، من مال بأسماء الله عن معناها ومدلولها الصحيح إلى معنى لا يليق بالله، فقد ألحد

فيها، ودخل في قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠]: هذا وعيد من الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

فائدة: مامعنى قوله في الحديث: «أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ»؟

الجواب: يعني: لم يعلِّمه أحدًا من خلقه.

فائدة: هل يجوز الاجتهاد في ذكر اسم لله لم يرد؟

الجواب: لا، لا يجوز هذا.

فائدة: هل يشتق من الصفات أسماء؟

الجواب: نعم، كل اسم يشتق منه صفة، الرحمن الرحيم يدلان على الرحمة؛ الرحمن رحمة عامة، والرحيم رحمة خاصة، كل اسم من أسماء الله يشتق منه صفة من أسماء الله، ولذلك كانت أسمائه جَلَّوَعَلَا حسنى.

فائدة: في الحديث ورد من الأسماء الحسنى: الخافض الرافع، هل لابد أن تكون مقترنة عند ذكرها، وهل يصح أن يقول: عبد الخافض؟

الجواب: هذه متقابلة، لا يصلح واحدًا منها بدون الآخر، الخافض الرافع، المحيي المميت.

....

ش: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١):

وَحَقِيقَةُ الإِلْحَادِ فِيهَا المَيْلُ بِالإِشْـ ــرَاكِ وَالتَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأسماء الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عباده، ودلت على كماله جَلَّ وَعَلَا.

فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات؛ كإلحاد أهل الاتحاد، فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها، حتى قال زعيمهم: هو المسمى بمعنى كل اسم ممدوح عقلًا وشرعًا وعرفًا، وبكل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا -تعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا- انتهى(٢).

قلت: والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة -متقدمهم ومتأخرهم- إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ومثاله، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتًا حقيقية لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله سبحانه صفات حقيقية لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين.

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٥١).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٤).

فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه، فهو جهمي، قد اتبع غير سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحقيقة الإلحاد فيها الميـ... ـل بالإشراك والتعطيل والنكران)**، هذا بيت من النونية لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَحَقِيقَةُ الإِلْحَادِ فِيهَا المَيْلُ بِالإِشْـ ـــرَاكِ وَالتَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ

هذا هو الإلحاد في أسماء الله وصفاته، يجمع هذه المعاني، وعموم ذلك: الميل بها عما دلت عليه إلى معنى آخر لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأسماء الرب** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كلها أسماء وأوصاف تعرف بها تعالى إلى عباده، ودلت على كماله** جَلَّ وَعَلَا**)**، فهي تشتمل على معنيين:

المعنى الأول: أنها تُعرف بالله عَزَّوَجَلَّ وبعظمته وجلاله؛ إذ كثرة الأسماء العظيمة تدل على عظمة المسمى.

وكذلك هي مما يتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بها، تقول: «يا رحمن ارحمني»، توسل بها إلى الله، «يا عزيز أسألك العز بطاعتك»، وهكذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب)**، الإلحاد هو الميل عمومًا، المراد به: الميل بها عما دلت عليه إلى معنى لا تدل عليه، بل تدل على ضده، فهذا من الإلحاد في أسماء الله وصفاته.

توعد الله من فعل ذلك بقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، فالذي يلحد في أسماء الله يفسرها بغير تفسيرها، أو يطلقها على غير الله جَلَّوَعَلَا هذا من أعظم الإلحاد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالإلحاد إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات، وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات)**، فالإلحاد له معان كثيرة، ويجمعها الميل بها عما دلت عليه إلى معان لا تدل عليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإما بجعلها أسماء لهذه المخلوقات، كإلحاد أهل الاتحاد، فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها)**، أهل الاتحاد أهل وحدة الوجود[1]، وهم أكفر الخلق -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(حتى قال زعيمهم: هو المسمى بمعنى كل اسم ممدوح عقلًا وشرعًا وعرفًا، وبكل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا)**، هذا من معاني الإلحاد في أسماء الله وصفاته: أن تُفسر بغير معناها، أو تُجعل أسماء للمخلوقات، أو أسماء لهذا الكون كله.

---

(١) هم الذين يقولون بوحدة الوجود، مَذْهَبُهُمْ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ: أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ؛ وَيُسَمَّوْنَ أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَيَدَّعُونَ التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ وَهُمْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ الْخَالِقِ عَيْنَ وُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكُلُّ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ مِنْ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ وَمَدْحٍ وَذَمٍّ إنَّمَا الْمُتَّصِفُ بِهِ عِنْدَهُمْ: عَيْنُ الْخَالِقِ وَلَيْسَ لِلْخَالِقِ عِنْدَهُمْ وُجُودٌ مُبَايِنٌ لِوُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ مُنْفَصِلٌ عَنْهَا أَصْلًا؛ بَلْ عِنْدَهُمْ مَا ثَمَّ غَيْرُ أَصْلًا لِلْخَالِقِ وَلَا سِوَاهُ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمْ: لَيْسَ إلَّا اللهُ. فَعُبَّادُ الْأَصْنَامِ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُ مَا عِنْدَهُمْ لَهُ غَيْرٌ. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١٢١- ١٢٦).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والـذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة، متقدمهم ومتأخرهم إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه، ووصفه بها رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل)**، هذا هو المنهج السليم: إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل؛ فالغلو في الإثبات يكون تمثيلًا، والغلو في التنزيه يكون تعطيلًا، فأهل الحق يتجنبون المعنيين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾** [الشورى:١١])، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: لا أحد يشبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فبعد أن نزه نفسه عن مشابهة المخلوقات أثبت لنفسه السمع والبصر، فهذا يجمع بين الإثبات لله عَزَّوَجَلَّ صفات الكمال مع تنزيه الله عن الصفات التي لا تليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتًا حقيقية لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله سبحانه صفات حقيقية لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين)**، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله)**، يعني: نفاه عن الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أو تأوله على غير ما ظهر من معناه)**، أو جحد معناه، هو أثبت الأصل ونفى ما دل عليه هذا الأصل، هذا داخل في الوعيد: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه، فهو جهمي، قد اتبع غير سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾** [النساء:١١٥])، ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ** ﴾، يعني: يكون في شق، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شق آخر؛ فهو يخالف ما كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿ **وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾؛ لأن المؤمنين لا يتصفون بهذه الصفات، وهي مشاقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما يتبعون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿ **ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ** ﴾ [الأعراف:١٥٧]، الذي يؤمن بالله وكلماته، فهم يتبعون الرسول على ما جاء به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قوله تعالى: ﴿ **لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ** ﴾ [الشورى:١١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾** [النساء:١١٥])، هذا وعيد شديد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمن خالف منهج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء بالحق من عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فهو لم يقل شيئًا من عنده، وإنما يقول ما قيل له من قِبل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا يقول بعض السلف: «أو كلما جاءنا رجل أشد جدلًا من رجل نترك ما جاء به جبريل إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجدل هؤلاء!»(١).

---

(١) هذا قول الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٠٧)، =

....

ش: وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -أيضًا-:

فائدة جليلة: ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود.

الثاني: ما يرجع إلى صفاته ونعوته، كالعليم والقدير، والسميع والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله، كالخالق والرازق.

الرابع: التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتًا؛ إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام.

الخامس -ولم يذكره أكثر الناس-: وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دال على معان، نحو المجيد العظيم الصمد؛ فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا، فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه استمجد المرخ والعفار وأمجد الناقة، علفها. ومنه: رب العرش المجيد صفة العرش لسعته وعظمته وشرفه.

وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه في مقام طلب المزيد، والتعرض لسعة العطاء، وكثرته ودوامه، فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك

= وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٦٣)، والحلية لأبي نعيم (٦/ ٣٢٤)، قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَدَلِهِ».

أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته، وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه.

ومنه الحديث الذي في المسند والترمذي: «أَلِظُّوا[١] بِيَاذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ»[٢].

ومنه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»[٣]، فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده، وأنه لا إله إلا هو المنان، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته، وما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعًا عند المسؤول! وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد. وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغني صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغني مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك الغفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله؛ فإنه من أشرف المعارف[٤].

---

(١) (لَظَّ) اللَّامُ وَالظَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُلَازَمَةٍ. يُقَالُ: أَلَظَّ الرَّجُلُ بِالشَّيْءِ، إِذَا لَازَمَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَلِظُّوا بِيَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، أَيِ: الْزَمُوا هَذَا وَأَكْثِرُوا مِنْهُ فِي دُعَائِكُمْ. انظر: العين (٨/ ١٥١)، وتهذيب اللغة (١٤/ ٢٥٩)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ١٣٨) من حديث ربيعة بن عامر، وأخرجه الترمذي (٣٥٢٤، ٣٥٢٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ٦١، ٢١/ ١٩٢، ٣١٠)، وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي في المجتبى (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) انظر: فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى (ص١٧-٢٢)، وبدائع الفوائد (١/ ١٥٩-١٦١).

فيه مسائل:

الأُوْلَى: إِثْبَاتُ الأَسْمَاءِ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُهَا حُسْنَى.

الثَّالِثَةُ: الأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا.

الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الجَاهِلِيْنَ المُلْحِدِيْنَ.

الخَامِسَةُ: تَفْسِيْرُ الإِلْحَادِ فِيْهَا.

السَّادِسَةُ: وَعِيْدُ مَنْ أَلْحَدَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فِيْهِ مَسَائِلُ)**، يعني: في هذا الباب مسائل؛ (باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف:١٨٠]).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الأُوْلَى: إِثْبَاتُ الأَسْمَاءِ)**؛ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، أثبت لنفسه الأسماء، وليست مجرد أسماء، بل وصفها بأنها حسنى، الأسماء الحسنى، وكل أسماء الله حسنى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثَّالِثَةُ: الأَمْرُ بِدُعَائِهِ بِهَا)**، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الرَّابِعَةُ: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِنَ الجَاهِلِيْنَ المُلْحِدِيْنَ)**، ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾، ثم توعدهم بقوله: ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، وهذا وعيد شديد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: تَفْسِيْرُ الإِلْحَادِ فِيْهَا)**، وهو الميل بها عما دلت عليه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: وَعِيدُ مَنْ أَلْحَدَ)**، ﴿**وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ**﴾، يعني: هذا وعيد شديد، ﴿**سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ**﴾.

فائدة: في كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما ذكر أقسام أسماء الله، قال: الرابع: التنزيه المحض، ولا بد من تضمنه ثبوتًا؛ إذ لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام، فما معنى هذا؟

الجواب: كل نفي يتضمن إثباتًا، أما النفي المحض الذي لا يتضمن إثباتًا هذا لا يليق بجلال الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكل نفي فهو يتضمن إثباتًا.

٥١- بَابٌ لا يُقَالُ: السَّلامُ عَلَى اللهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»(١).

ش: قوله: (بَابٌ لا يُقَالُ: السَّلامُ عَلَى اللهِ).

قوله: (فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ...إلخ.

وهذا الحديث رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من حديث شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا إِذَا جَلَسْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ...». الحديث، وفي آخره ذكر التشهد الأخير.

ورواه الترمذي من حديث الأسود بن يزيد عن ابن مسعود، وذكر في الحديث سبب النهي عن ذلك بقوله: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَمِنْهُ السَّلَامُ»(٢).

وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر ثلاثًا، ويقول: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)، وأبو داود (٩٦٨)، وابن ماجه (٨٩٩)، والنسائي في المجتبى (١١٦٩، ١٢٧٧، ١٢٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٩).

(٣) أخرجه مسلم (٥٩١) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الحديث: إن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ(١).

وفي التنزيل ما يدل على أن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يسلم عليهم في الجنة، كما قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس:٥٨].

ومعنى قوله: «إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ»: إنه -تعالى- سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابٌ: لا يُقَالُ: السَّلامُ عَلَى اللهِ)**، كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يقولون: السلام على الله من عباده، السلام على جبرئيل وميكائيل، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ**»، فنهاهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولوا: «**السلام على الله من عباده**»، وبين أن ذلك لأن الله هو السلام، ومنه السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالسلام من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو السالم من النقائص والعيوب الموصوف بكل كمال وجلال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلهِ**»، التحيات هي التعظيمات، «**التَّحِيَّاتُ لِلهِ**»، أي: التعظيمات كلها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ملكًا واستحقاقًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٢/ ١٤٩)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٥٦، ٥٨، ٥٩)، والأوسط (٧/ ٢٥٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٩٢، ١١/ ٢٢٧)، والآجري في الشريعة (٢/ ١٠٤٠)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣/ ٢٤٢) من طريق وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين مرفوعًا، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٧٨) موقوفًا على وهب بن منبه، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٥٥، ١٩/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠٢) عن قتادة.

قولـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَـنِ ابْـنِ مَسْـعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَـالَ: «كُنَّـا إِذَا كُنَّا مَـعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّـلَاةِ، قُلْنَـا: السَّـلَامُ عَلَى اللهِ مِـنْ عِبَادِهِ، السَّـلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُـلَانٍ، فَقَـالَ النَّبِـيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُـوا السَّـلَامُ عَلَـى اللهِ، فَـإِنَّ اللهَ هُـوَ السَّلَامُ)، نهاهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولوا: «السلام على الله من عباده»، وبيَّن أن ذلك لأن الله هو السلام سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يقال: السلام على الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ورواه الترمذي من حديث الأسود بن يزيد عن ابن مسعود، وذكر في الحديث سبب النهي عن ذلك بقوله: «فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَمِنْهُ السَّلَامُ)، هذا ما ورد في هذا الشأن أنهم كانوا في أول الأمر يقولون: «السلام على الله من عباده»، فنهاهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، وقال: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ»، والصلوات هي التعظيمات، فالله جَلَّ وَعَلَا هو المستحق للتعظيم المطلق، فيقال: التحيات، أي: التعظيمات كلها لله ملكًا واستحقاقًا.

قولـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقـد كان النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انـصرف مـن الصـلاة المكتوبة يسـتغفر ثلاثًا، ويقول: «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)، هذا المشروع أن المسـلم إذا سـلم من الصلاة المفروضة، فإنـه أول مـا يقول: «أسـتغفر الله، أسـتغفر الله، أسـتغفر الله»؛ لأن الإنسـان عرضة للنقص والخلل، فالمسلم شُرِع له أن يقول ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وفي التنزيل ما يدل على أن الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يسلم عليهم في الجنة، كما قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس:٥٨])، فالرب

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يسلم على أهل الجنة، فيقول لأهل الجنة: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومعنى قوله: إن الله هو السلام، إنه -تعالى- سالم من كل نقص، ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص)**، ولذلك لا يقال: «السلام على الله من عباده»، وإنما يقال: «**التَّحِيَّاتُ للهِ**»، أي: جميع التعظيمات لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو البديل المشروع الذي استمر عليه عمل المسلمين من وقت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولون هذا: «**التَّحِيَّاتُ لِلهِ**».

هذا في آخر الصلاة يقولون: «**التَّحِيَّاتُ لِلهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ**»، فيسلمون على كل عبدٍ صالح في السماء أو في الأرض بهذه التحية الطيبة المباركة.

....

ش: قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: السلام اسم مصدر -وهو من ألفاظ الدعاء- يتضمن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبرية فيه لا تناقض الجهة الإنشائية، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية، وفيه قولان مشهوران:

الأول: أن الله عَزَّوَجَلَّ هو السلام، ومعنى الكلام: نزلت بركته عليكم ونحو هذا، فاختير في هذا المعنى من أسمائه عَزَّوَجَلَّ اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدر بمعنى السلامة، وهو المطلوب المدعو به عند التحية.

ومن حجة أصحاب هذا القول: أنه يأتي منكرًا، فيقول المسلم: سلام عليكم، ولو كان اسمًا من أسماء الله، لم يستعمل كذلك.

ومن حجتهم: أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى، وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبرًا ودعاء[١].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفصل الخطاب أن يقال: الحق في مجموع القولين، فلكل منهما بعض الحق، والصواب في مجموعهما، وإنما يتبين ذلك بقاعدة، وهي: أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب

(١) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ١٣٧-١٤٢).

ويتوسل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب، المناسب لحصوله، حتى كأن الداعي متشفع إلى الله تعالى متوسل إليه به، فإذا قال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»(١)، فقد سأله أمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مقتضيين لحصول مطلوبه.

وقال ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه -وقد سأله ما يدعو به-: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»(٢).

فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتى بلفظها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى، وهو السلام الذي تطلب منه السلامة، فتضمن لفظ السلام معنيين:

أحدهما: ذكر الله.

والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم، فقد تضمن سلامٌ عليكم اسمًا من اسماء الله تعالى، وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة.

وحقيقته البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب.

وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذاك قولك: «سلمك الله»، ومنه: دعاء المؤمنين على الصراط: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»(٣)، ومنه: «سلم الشيء لفلان»،

---

(١) أخرجه أحمد (٨/ ٣٥٠)، وأبو داود (١٥١٦)، الترمذي (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٣٨١٤)، والنسائي في الكبرى (٩/ ١٧٢، ١٧٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٧)، ومسلم (٢٧٠٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

أي: خلص له وحده[(١)]، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر:٢٩] أي: خالصًا له وحده، لا يملكه معه غيره.

ومنه: السلم ضد الحرب؛ لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر، ولهذا بني فيه على المفاعلة، فقيل: المسالمة مثل المشاركة.

ومنه: القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب، وحقيقته: الذي قد سلم لله وحده، فخلص من دغل الشرك وغله، ودغل الذنوب والمخالفات، فهو المستقيم على صدق حبه، وحسن معاملته، وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذاب الله، والفوز بكرامته.

ومنه أُخذ الإسلام؛ فإنه من هذه المادة؛ لأنه الاستسلام والانقياد لله، والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربه وخلص له، كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون، ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه وللمشرك به[(٢)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا قال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغفور»، فقد سأله أمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مقتضيين لحصول مطلوبه)، هذا هو البيان الكافي في هذا الأمر، وهو أن هذا اللفظ جامع لكل

(١) انظر: مادة (سلم) في: العين (٧/ ٢٦٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ٣١٢)، ومقاييس اللغة (٣/ ٩٠).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (٢/ ١٣٣ - ١٤٣).

أنواع الخير، وكل أنواع البركة، فإذا جاء به المسلم -لا سيما عقيب الصلاة-، كان مرجوًا أن يحصل على هذا الخير العظيم الذي يتضمنه هذا اللفظ المبارك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأبي بكر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **وقد سأله ما يدعو به: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»**)، يعترف العبد على نفسه أنه ظلمها، بمعنى أنه عرض نفسه لغضب الله، فهو يريد أن ينقذ نفسه من ذلك، فيأتي بهذا اللفظ المبارك الطيب الذي علمه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**)، فاغفر لي وارحمني، يطلب من ربه المغفرة والرحمة، ثم يتوسل إليه باسمه: «**إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»، هذا حريٌّ أن يستجاب منه الدعاء إذا أتى به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فتضمن لفظ السلام معنيين: أحدهما: ذكر الله، والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم**)، «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**»، فأنت الذي تعطي السلام -وهو السلامة- لعبادك، فهذا هو أجل ما يقال في هذا الموقف، وهو ما بعد السلام من الفريضة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والثاني: طلب السلامة، وهو مقصود المسلم، فقد تضمن سلامٌ عليكم اسمًا من اسماء الله تعالى، وطلب السلامة منه فتأمل هذه الفائدة**)،

فائدة عظيمة أن تتوسل إلى الله باسم من أسمائه، فتقول: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه: دعاء المؤمنين على الصراط: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»)**، يدعونه في أشد الأحوال وأشد الكربات حينما يمشون على الصراط، وهو الجسر المنصوب بين الجنة والنار.

فالمسلمون المؤمنون ينجون من هذ الصراط إلى الجنة، وأما الكفار والمنافقون، فإنهم يسقطون من على هذا الجسر إلى النار -والعياذ بالله-، فهذا الموقف -وهو المرور على الصراط- موقف عظيم، ولهذا يقول الأنبياء في هذا الموقف: «**رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»، أي: سلم عبادك المؤمنين في حال المرور على هذا الصراط الذي هو بين الجنة والنار، ومن سقط منهم سقط في النار -والعياذ بالله-، ومن تجاوزه فإلى الجنة، فهذا دعاء عظيم، والأنبياء يدعون الله، فيقولون: «**رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»، حين المرور على الصراط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه: سلم الشيء لفلان، أي خلص له وحده. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾** [الزمر:٢٩])، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾، هذا مثل للشرك والتوحيد، فالعبد إذا كان يدعو شركاء كثيرين وبينهم شقاق، فهذا لا يسلم -والعياذ بالله-، وأما إذا دعا إلهًا واحدًا، وتوسل باسم من أسمائه -اللهم أنت السلام ومنك السلام-، فهذا ينجو بإذن الله، ينجو بالمرور على الصراط.

المرور على الصراط، الصراط دحض ومزلة[1]، وهو بين الجنة والنار،

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣٥/ ٣٢٨)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٥٢)، =

ولكن ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، فيمرون على الصراط بسلامة إلى الجنة، يعبرون إلى الجنة، وأما الكفار والمنافقون، فإنهم -والعياذ بالله- يسقطون من هذا الصراط الذي هو أحر من الجمر، وأدق من السيف، يسقطون إلى النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى:** ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ [الزمر:٢٩] **أي: خالصًا له وحده لا يملكه معه غيره)**، فالعبد إذا كان يملكه عدة أسياد، فإنه يتحير، ولا يدري من يرضي منهم، وإذا كان له سيد واحد، فإنه يعرف مقاصده، ويعرف ما يرضيه، فيسهل عليه الأمر، وينجو من العذاب، ويمر على الصراط بسلامة، يعبر إلى الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنه: القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب)**، ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء:٨٩]، والقلب السليم هو السالم من الدغل والعيب.

= وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦١) عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحْبِيِّ: «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- وَهُوَ بِالرَّبَذَةِ، وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ لَهُ سَوْدَاءُ شَعْثَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا أَثَرُ الْمَجَاسِدِ وَالْخَلُوقِ، قَالَ: فَقَالَ: «أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَا تَأْمُرُنِي بِهِ هَذِهِ السَّوْدَاءُ؟ تَأْمُرُنِي أَنْ آتِيَ الْعِرَاقَ، فَإِذَا أَتَيْتُ الْعِرَاقَ مَالُوا عَلَيَّ بِدُنْيَاهُمْ، وَإِنَّ خَلِيلِي عَهِدَ إِلَيَّ أَنَّ دُونَ جِسْرِ جَهَنَّمَ طَرِيقًا ذَا دَحْضٍ وَمَزِلَّةٍ، وَأَنَّا إِنْ نَأْتِيَ عَلَيْهِ وَفِي أَحْمَالِنَا اقْتِدَارٌ أَحْرَى أَنْ نَنْجُوَ مِنْ أَنْ نَأْتِيَ عَلَيْهِ وَنَحْنُ مَوَاقِيرُ».

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ السَّلَامِ.

الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِلَّهِ.

الرَّابِعَةُ: العِلَّةُ فِي ذَلِكَ.

الخَامِسَةُ: تَعْلِيْمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِيْ تَصْلُحُ لِلَّهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيْهِ مَسَائِلُ**)، أي: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ السَّلَامِ**)، تفسير السلام، وأنه السلامة من العيوب والنقائص.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّهُ تَحِيَّةٌ**)، تحية أهل الجنة؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس:١٠].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: العِلَّةُ فِي ذَلِكَ**)، «**لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ**»، هذه هي العلة في النهي عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: تَعْلِيْمُهُمُ التَّحِيَّةَ الَّتِيْ تَصْلُحُ لله**)، «**قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ**»، هذا البديل الصالح الذي يقوله المسلم.

٥٢- بَابُ قَوْلِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»(١).

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»(٢).

ش: قوله: (بَابُ قَوْلِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ).

يعني: أن ذلك لا يجوز لورود النهي عنه في حديث الباب.

قوله: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»، وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»)، بخلاف العبد؛ فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه، أو لخوفه، أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره.

فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين، فإنه- تعالى- لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه محتاج، لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٩) (٢٦٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (٨) (٢٦٧٩).

وفي الحديث: «يَمِينُ اللهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ الليلِ وَالنَّهارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَفي يَدِهِ الأُخْرَى القِسْطُ، يَخْفِضُه ويَرْفَعُه»(١).

يعطي تعالى لحكمة، ويمنع لحكمة، وهو الحكيم الخبير، فاللائق بمن سأل الله أن يعزم المسألة، فإنه لا يعطي عبده شيئًا عن كراهة، ولا عن عظم مسألة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ قَوْلِ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ)، فهذه الكلمة: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ» غير لائقة في حق الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ونهى عنها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فلا يقل العبد لله: «اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»، بل يقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي»؛ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، ولا يجعل فيها استثناء؛ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فإنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ»)، فهذه الكلمة: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ» فيها محظوران:

---

(١) حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ورد بألفاظ متقاربة، رواه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١١) بلفظ: «يَدُ الله مَلأَى»، وفيه: «وَبِيَدِهِ الميزانُ، يَخفِضُ ويَرفَعُ»، وورواه مسلم (٩٩٣) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ بلفظ: «وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى القَبْضُ»، وكلاهما ليس فيه «الْقِسْطَ».

وروى نحوه ابن ماجه (١٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وفيه: «وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُ».

أحدهما: أنه يفهم منها أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له من يكرهه على الفعل، والله جَلَّ وَعَلَا لا مكره له، يفعل ما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والأمر الثاني: أن هذا الطلب فيه فتور؛ كأنه يقول: إن حصل هذا، وإلا فليس بلازم، «اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ»، يعني: إن حصل وإلا فليس بلازم، وهذا لفظ منهي عنه في حق الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يعطيه وهو كاره)**، فالمحظور من هذا -والله أعلم- لا يقول لربه: «اغفر لي إن شئت»؛ كأنه يقول: إن حصل المطلوب، وإلا فليس بلازم، مع أنه مضطر إليه، مضطر إلى ما يطلبه من ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا من قبل العبد، يعني: يدعو الله، وهو ليس بحريص، يقول: إن حصل وإلا ليس بلازم، مع أنه في أشد الحاجة إلى ذلك.

والأمر الثاني -وهو أعظم-: أن هذا يفهم منه أن الله يعطي وهو مكره، ولكن يضطره الموقف من أن يترك العبد، وهذا منفي عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا المعنى منفي عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

على كل حال المطلوب أن يعزم في دعائه لربه، ولا يتردد في حصول الطلب؛ فإن الله:

أول شيء: لا مكره له، حتى تقول: إن شئت.

والأمر الثاني: أن الله يحب أن يرحم عباده، وهو لا يكرهه أحد على ما يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يفعل ما يشاء ويختار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف رب العالمين، فإنه- تعالى- لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام)**، وعطاؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلام؛ بأن يقول للشيء: «كن»، فيكون، ولا يتردد في إكرامه لعبده إذا دعاه وتوسل إليه وتضرع إليه؛ إنه جواد كريم، يبادر سبحانه بقضاء حاجة عبده، وهو القريب المجيب، السميع البصير، الغني الكريم.

غنيٌّ كريم: جمع بين الصفتين: أنه غني، وأنه كريم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الحديث: «يَمِينُ اللهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ»)**، **(يَمِينُ اللهِ)**، أي: الله جَلَّ وَعَلَا كلتا يديه يمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فيمين الله **(مَلأَى)** بالخير، **(لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ)**، فهو ينفق.

قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَفَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ رَبُّكُمْ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يُغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ»**، فالله جَلَّ وَعَلَا ينفق، لا ينقص ما عنده من الخير والفضل والإحسان، بخلاف المخلوق؛ فإنه إذا أنفق نقص ما عنده، وقد ينتهي ما عنده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الحديث: «يَمِينُ اللهِ مَلأَى لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ الليلِ وَالنَّهَارِ)**، **(سَحَّاءُ الليلِ وَالنَّهَارِ)**، لأنه جَلَّ وَعَلَا ينفق بالليل والنهار على عباده، ومع هذا لا ينقص ما في يمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل يزيد، وفضله سبحانه يتجدد وخيره يتكاثر، فإذا أنفق، فإنه لا ينقص ما عنده، بخلاف المخلوق، فإنه إذا أنفق نقص ما عنده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَرَأَيْتُم مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض فَإِنَّهُ لمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ)**، الله جَلَّ وَعَلَا ينفق بغير حساب، ولا يغيض ما في يمينه من الخير وما في يمينه من العطاء والكرم والجود، بخلاف المخلوق؛ فإنه إذا أنفق، ينقص ما معه، حتى إنه ربما يتناهى، ولا يبقى معه شيء، أما الله جَلَّ وَعَلَا فإنه ينفق، ولا يغيض ذلك ما في يمينه، ويده سحاء بالعطاء الليل والنهار، ماذا أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ لا يحصيه إلا الله، ومع هذا لم ينقص ما في يمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفِي يَدِهِ الأُخْرَى القِسْطُ، يَخْفِضُه ويَرْفَعُه)**، القسط وهو العدل بين الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(يعطي تعالى لحكمة، ويمنع لحكمة، وهو الحكيم الخبير)**، يعطي تعالى لحكمة، ويمنع لحكمة، فهو سبحانه الحكيم الخبير، وكل تصرفاته وعطائه وفضله وإحسانه مبني على الحكمة.

والحكمة: وضع الشيء في موضعه[(١)].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فاللائق بمن سأل الله أن يعزم المسألة، فإنه لا يعطي عبده شيئًا عن كراهة، ولا عن عظم مسألة)**، فالله جَلَّ وَعَلَا لا يقال له: «اغفر لي إن شئت»، «ارحمني إن شئت»، ليعزم المسألة ويقول: «اللهم اغفر لي»، «اللهم ارحمني»، ويترك لفظة: «إن شئت»؛ لأنها تشعر بأن الله يعطي وهو يكره، أو أن أحدًا يكرهه على أفعاله جَلَّ وَعَلَا، وهو العزيز الحكيم، الرؤوف الرحيم، القدير على كل شيء، الغني الذي لا يغيض الإنفاق ما معه أو ما عنده من الخير والبركات.

---

(١) انظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص٧٣).

....

ش: وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه[(١)]:

وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

وهذا بالنسبة إلى ما في نفوس أرباب الدنيا، وإلا فإن العبد يعطي تارة ويمنع أكثر، ويعطي كرهًا، والبخل عليه أغلب، وبالنسبة إلى حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم.

وأما ما يعطيه الله تعالى عباده، فهو دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال من حين وضعت النطفة في الرحم، فنعمه على الجنين في بطن أمه دارة، يربيه أحسن تربية، فإذا وضعته أمه، عطف عليه والديه ورباه بنعمه حتى يبلغ أشده، يتقلب في نعم الله مدة حياته.

فإن كانت حياته على الإيمان والتقوى، ازدادت نعم الله تعالى عليه إذا توفاه أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدر قدرها إلا الله، مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين.

وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم -وإن كان بعضها على يد مخلوق-، فهو بإذن الله وإرادته، وإحسانه إلى عبده، فالله تعالى هو المحمود على النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدرها وأجراها عن كرمه وجوده وفضله، فله

---

(١) هذا البيت لأبي الطيب المتنبي، ضمن أبيات يمدح فيها سيف الدولة. انظر: اللامع العزيزي (ص١١٧٣)، والحماسة المغربية (١/ ٥٣٠)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (١/ ٢٤٣).

النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣]، وقد يمنع سبحانه عبده إذا سأله لحكمة وعلم بما يصلح عبده من العطاء والمنع، وقد يؤخر ما سأله عبده لوقته المقدر، أو ليعطيه أكثر. فتبارك الله رب العالمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ)، هذا المتنبي. (وَيَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا)، أي: المسائل.

(وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ)، وهو الله جَلَّ وَعَلَا (العَظَائِمُ)، فهي صغيرة بالنسبة لله جَلَّ وَعَلَا لكمال غناه وكمال رحمته، وكمال جوده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما ما يعطيه الله تعالى عباده فهو دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال من حين وضعت النطفة في الرحم، فنعمه على الجنين في بطن أمه دارة، يربيه أحسن تربية، فإذا وضعته أمه عطف عليه والديه ورباه بنعمه حتى يبلغ أشده)**، هذا ما ينزل من الله من الرحمة والإحسان إلى العبد أولًا: وهو في بطن أمه؛ فإن الله جَلَّ وَعَلَا يراعيه في بطن أمه، ويحفظه حتى يخرج سليمًا بالولادة السليمة، ثم يربيه بنعمه حتى يكبر ويكسب، يقدر على الكسب، فهو جَلَّ وَعَلَا مع عبده منذ كونه نطفة إلى ما لا نهاية له.

فلا تزال نعم الله على العبد تتوالى منذ كونه في بطن أمه ثم إخراجه إلى الدنيا، والله يرزقه، ثم بعد ذلك إذا كبر، فإن فضل الله عليه دارٌّ إلى أن ينتهي أجله، والله ينفق عليه، ويقدر له الغنى، ويرفع عنه الفقر، ويكسبه الأموال، كل ذلك من فضله وإحسانه على هذا الإنسان، ولكن الإنسان قل أن يشكر

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويعرف هذه النعم من الله، ويحمده عليها بسبب جهله بالله، وبسبب غفلته عن الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم، وإن كان بعضها على يد مخلوق، فهو بإذن الله، وإرادته، وإحسانه إلى عبده**)، والمخلوق إنما هو سبب فقط، وأما المسبب والمتفضل فهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن المخلوق يُحمد على حسب ما يقوم به من الخير وما يقوم به من العمل نحو من يحسن إليه، يُحمد على ذلك بقدر ما يحصل منه من الفضل والإحسان، وأما الحمد المطلق والفضل المطلق فهو من الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فالله تعالى هو المحمود على النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدرها وأجراها عن كرمه وجوده وفضله، فله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن**)، ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣]**)، يعني: تدعون الله جَلَّ وَعَلَا، ترفعون أصواتكم بالدعاء ليزيل الله عنكم هذه الكربة، فأنتم تدعونه لإنزال الخير، وتدعونه لرفع الشر عنكم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد يمنع سبحانه عبده إذا سأله لحكمة وعلم بما يصلح عبده من العطاء والمنع**)، قد يسأل العبد ربه، فيؤخر الإجابة عنه لحكمة عظيمة لعلمه أن هذا غير مناسب في هذا الوقت، فيجريه له في وقت آخر أحوج ما يكون إليه. فهو يعلم أحوال العبد وما يحتاج إليه في كل حاله، فينزل

عليه الفضل والإحسان في كل أوقاته وساعاته وفي كل أحواله، وهو يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما يصلح هذا الإنسان وما يصلح له، فيعطيه عن علم وحكمة وإرادة غالبة جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد يؤخر ما سأله عبده لوقته المقدر، أو ليعطيه أكثر. فتبارك الله رب العالمين)**، ولذلك جاء النهي أن الإنسان يقول: قد سألت وسألت فلم أر يستجاب لي، ثم يترك الدعاء[(١)].

فالله جَلَّ وَعَلَا يحثه على مداومة الدعاء من الله جَلَّ وَعَلَا، ولا ييأس ولا يقنط؛ قد يكون تأخير الإجابة من صالحه، الله أعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يصلحه، فيؤخر الإجابة؛ لأن ذلك من مصالحه؛ إذ لو أجابه في الحال لتضرر، فالله أعلم بمصالح عباده، فعلى العبد أن يدعو ويكثر من الدعاء، ويداوم على الدعاء، ولا ييأس ويقول: أنا دعوت ودعوت فلم أره يستجاب لي، فيترك الدعاء.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**».

....

ش: **وقوله: (وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ»، أي: في سؤاله ربه حاجته، فإنه – سبحانه- يعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا.**

«فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»، أي: ليس شيء عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق؛ لأن سائل المخلوق لا يسأله إلا ما يهون عليه بذله، بخلاف رب العالمين، فإن عطاءه كلام: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فسبحان من لا يقدر الخلق قدره، لا إله غيره ولا رب سواه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله: (وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ» أي: في سؤاله ربه حاجته، فإنه- سبحانه- يعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا)**، ولا يقول: هذا ما يليق أن أسأل الله هذا الشيء، بل الله جَلَّ وَعَلَا لا يتعاظمه شيء أعطاه، فيعظم الرغبة عند الله، ويعظم المسألة من الله، والله يحب ذلك من عبده، ويقدر على إعطاء عبده ما يليق به وبأحواله، يكل الأمر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يقول: أنا قد دعوت ودعوت، فلم أره يستجاب لي، ثم يترك الدعاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»، أي: ليس شيء عنده بعظيم، وإن عظم في نفس المخلوق؛ لأن سائل المخلوق لا يسأله إلا ما يهون عليه بذله)**، الله جَلَّ وَعَلَا يعطي وينفق في الليل والنهار، ولا يعلم مقدار عطائه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه منذ خلق السماوات والأرض ينفق على عباده،

ولا ينقص ذلك مما في يمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بخلاف المخلوق فإنه إذا أنفق، نقص ما عنده، وقد ينتهي ما عنده، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لا تنقص فضله وإحسانه النفقة على عباده.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بخلاف رب العالمين، فإن عطاءه كلام:** ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]**)**، عطاؤه لا يكلفه شيئًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنما يقول للشيء: كن فيكون، ولا ينال الله جَلَّ وَعَلَا في ذلك مشقة كما ينال العبد، وإنما هذا يزيد من كمال الله وجلاله وعظمته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فسبحان من لا يقدر الخلق قدره، لا إله غيره ولا رب سواه)**، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى!

فيه مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ.

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ».

الرَّابِعَةُ: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ.

الخَامِسَةُ: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الأَمْرِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: النَّهْيُ عَنِ الِاسْتِثْنَاءِ فِي الدُّعَاءِ**)، أن يقول: (**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ**)، وتعليل ذلك: «**فَإِنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: بَيَانُ الْعِلَّةِ فِي ذَلِكَ**)، لأن «**اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ**»، هذه العلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ»**)، ليعزم المسألة ولا يتردد، أو يستحيي من ربه أن يسأله، بل يسأله كل شيء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: إِعْظَامُ الرَّغْبَةِ**)، ولا يقول: «إن شئت، أعطني»، «ارحمني إن شئت»، بل يعظم الرغبة من الله، ويعزم المسألة، والله جَلَّ وَعَلَا لا مكره له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: التَّعْلِيلُ لِهَذَا الْأَمْرِ**)، أن «**اللهَ لَا مُكْرِهَ لَهُ**»، بل هو يفعل ما يشاء سبحانه.

٥٣- بَابٌ: لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلايَ، وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلامِي»(١).

ش: قوله: (بَابٌ: لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي).

ذكر الحديث الذي فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

هذه الألفاظ المنهى عنها -وإن كانت تطلق لغة-، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عنها؛ تحقيقًا للتوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأنَّ الله تعالى هو رب العباد جميعهم.

فإذا أطلق على غيره، شاركه في الاسم، فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله -تعالى-، وإنما المعنى أن هذا مالك له، فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الاعتبار، فالنهي عنه حسمًا لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقًا للتوحيد، وبعدًا عن الشرك حتى في اللفظ، وهذا أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب -تعالى-، وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٢٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

وهو قوله: «سَيِّدِي ومَوْلَايَ»، وكذا قوله: «وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي»؛ لأنَّ العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله.

قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣]، ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك؛ تعظيمًا لله -تعالى- وأدبًا، وبعدًا عن الشرك، وتحقيقًا للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا: «فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»، وهذا من باب حماية المصطفى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جناب التوحيد، فقد بلغ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أمته كل ما فيه لهم نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقصٌ في الدين، فلا خير إلا دلهم عليه، خصوصًا في تحقيق التوحيد، ولا شر إلا حذرهم عنه -صلوات الله وسلامه عليه-، خصوصًا ما يقرب من الشرك لفظًا، وإن لم يقصد به. وبالله التوفيق.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (بَابٌ: لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي)، قال الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ: (بَابٌ)، أي: هذا بابٌ.

(لَا يَقُولُ: عَبْدِي وَأَمَتِي): لا يقول الإنسان لمماليكه: هذا عبدي وأمتي؛ لأن العبودية حقٌّ لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فهم عباده، كلنا عباد الله جَلَّوَعَلَا، ولكن يقول: (فَتَايَ وَفَتَاتِي)، فهذا هو البديل الصالح أن يقول بدل: (عَبْدِي وَأَمَتِي)، أن يقول: (فَتَايَ وَفَتَاتِي) لمماليكه.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي

وَمَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي)، هذا فيه نهي وفيه إباحة:

النهي: ألا يقول لمماليكه: عبدي وأمتي؛ لأن العبودية حق لله، والناس كلهم عباد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ثم ذكر البديل الصحيح، فقال: **(وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي)**، يقول لمماليكه **(فَتَايَ)** إن كان ذكرًا، **(وَفَتَاتِي)** إن كانت أنثى، هذا هو البديل الصحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّك، وَضِّئْ رَبَّك، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ)**، ليقل المملوك لمالكه لسيده: سيدي ومولاي، بمعنى: أنه مالك له، فيقول: سيدي، أو يقول: مولاي، أي: المتولي لشؤوني، لا يقول: أطعم ربك، وضئ ربك، لا يقول للملوك: أطعم ربك؛ لأن الربوبية حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الرب المالك المتصرف في عباده كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليقل: سيدي ومولاي، لمالكه يقول: سيدي أو يقول: مولاي، أي المتولي لشؤوني.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي)**، ولا يقول لمماليكه: عبدي وأمتي؛ لأن العبودية حق لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليقل بديل ذلك مما لا حرج فيه أن يقول: «فتاي» لمملوكه، و«فتاتي» لمملوكته، هذا هو البديل الصحيح من الألفاظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هذه الألفاظ المنهى عنها -وإن كانت تطلق لغة-، فالنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نهى عنها تحقيقًا للتوحيد)**، هذا هو الغرض: أن ذلك تحقيق

لتوحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الرب، فلا يقل: «وضئ ربك»، يعني: سيدك، لا يقل: «أطعم ربك» كذلك، وإنما يقول لمالكه: سيدي ومولاي، كذلك الأمة تقول لمالكها: سيدي ومولاي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نهى عنها تحقيقًا للتوحيد، وسدًّا لذرائع الشرك، لما فيها من التشريك في اللفظ؛ لأنَّ الله -تعالى- هو رب العباد جميعهم)**، الرب إذا أُطلق، فإنه هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، رب العالمين للجميع، رب لفلان وفلان من الأفراد، فالربوبية خاصة بالله سبحانه، فتتجنب هذه الألفاظ؛ لأن فيها محذورًا شرعيًّا؛ حيث أُطلقت على من لاتصلح له من الخلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأنَّ الله -تعالى- هو رب العباد جميعهم. فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم فينهى عنه لذلك)**، شاركه في الاسم، وهذا مكروه من هذه الناحية، وهي المشاركة في الاسم، وإن كان قائل هذا لا يقصد حقيقتها، فتجنبًا للمحذور حتى في الألفاظ يؤتى بالبديل الصالح الذي لا محذور فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله -تعالى)**، هذا وإن كان ليس على حقيقته، ولكن تجنبًا للألفاظ التي لا تليق بالمخلوق، وإنما هي تطلق على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا من تحقيق التوحيد، وتجنب الشرك حتى في الألفاظ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالنهي عنه حسمًا لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقًا للتوحيد، وبعدًا عن الشرك حتى في اللفظ)**، هذا هو المقصود من

تجنب هذه الألفاظ وإطلاقها على المخلوق، وهي في الواقع لا تليق إلا بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا من تحقيق التوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهذا أحسن مقاصد الشريعة؛ لما فيه من تعظيم الرب -تعالى-، وبعده عن مشابهة المخلوقين**)، حتى في الألفاظ تتجنب ما فيه اشتباه، فيكون ما يليق بالله خاصًا بالله، وما يليق بالمخلوق يكون خاصًا بالمخلوق، فتحصل الفائدة، ويتجنب المحذور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فأرشدهم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ، وهو قوله: «سَيِّدِي ومَوْلَايَ»**)، وهكذا إذا نهى عن شيء، فإنه يأتي بالبديل الصحيح، ولا ينهى عنه، ولا يأتي ببديل له، فلما لم يجز أن يقول للسيد: وضئ ربك، أطعم ربك، فإنه يأتي بالبديل، فيقول: سيدك، أو مالكك، أو ما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكذا قوله: «وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمَتِي»؛ لأنَّ العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله**)، ولا يقل السيد والمالك لمملوكه: عبدي، ويقول: لمملوكته: أمتي؛ لأن هذه الألفاظ لا تليق إلا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيأتي بالبديل الصالح، وهو أن يقول: فتاي وفتاتي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الله تعالى:** ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣])، العبيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والخلق كلهم عباد الله جَلَّ وَعَلَا، فلا يقول للمخلوق هذا اللفظ الذي لا يصلح إلا للخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك، تعظيمًا لله تعالى وأدبًا، وبعدًا عن الشرك وتحقيقًا للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا: «فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي»)**، وهكذا إذا كان العالم أو الداعية إلى الله يريد تجنيب الناس الألفاظ التي لا تليق بهم والتي هي من اللائقة بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فإنه لا ينهاهم ويتركهم، بل يأتي بالبديل الذي لا محذور فيه، البديل الصحيح الذي لا محذور فيه، فلا يقول: عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي وفتاتي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهـذا من باب حماية المصطفى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **جناب التوحيد)**، هذا حماية للتوحيد، وإن كان القائل لا يقصد حقيقة معنى هذا اللفظ، ولكن حتى في الألفاظ التي فيها اشتباه، فإن المسلم يتجنبها، وإذا تجنبها، يأتي بالبديل الصالح، فيقول: فتاي وفتاتي بدل أن يقول: عبدي وأمتي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقد بلغ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **أمته كل ما فيه لهم نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقصٌ في الدين)**، هذا كان من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه جنب أمته كل ما فيه معنى لا يليق بهم، وأرشدهم إلى اللفظ البديل الصالح، فلا يقول: عبدي وأمتي، ولكن ليقل: فتاي وفتاتي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلا خير إلا دلهم عليه، خصوصًا في تحقيق التوحيد)**، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ جاء بالتوحيد الخالص لله عَزَّ وَجَلَّ ودعوته إلى ذلك، ونهى أمته عن استعمال الألفاظ التي فيها اشتباه في المعنى، وإن كانوا لا يقصدون

الحقيقة، ولكن حتى الألفاظ التي فيها اشتباه، فإن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جنبهم إياها؛ تحقيقًا للتوحيد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا شر إلا حذرهم عنه -صلوات الله وسلامه عليه- خصوصًا ما يقرب من الشرك لفظًا، وإن لم يقصد به)**، فنهاهم عن الشرك، ونهاهم عن الألفاظ التي فها اشتباه؛ حماية للتوحيد وتحقيقًا له، حتى الألفاظ التي يفهم منها أو تدل على ما لا يليق بالمخلوق نهاهم عنها؛ تحقيقًا للتوحيد، وتجنيبًا لما يخالفه أو ينقصه، أو يوهم خلاف الحق.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ: عَبْدِي وَأَمَتِي.

الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ الْعَبْدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطْعِمْ رَبَّكَ.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيمُ الْأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي.

الرَّابِعَةُ: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ.

الْخَامِسَةُ: التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي الْأَلْفَاظِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في هذا الباب، من عادة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه إذا فرغ من الباب يأتي بما فيه من فوائد في التوحيد والعقيدة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ قَوْلِ: عَبْدِي وَأَمَتِي**)؛ لأن العبودية حقٌّ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى وإن كان لا يقصد بذلك حقيقة اللفظ، وذلك لأجل تجنيب الناس الشرك وألفاظه وإن كانوا لا يقصدونها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: لَا يَقُولُ الْعَبْدُ: رَبِّي، وَلَا يُقَالُ لَهُ: أَطْعِمْ رَبَّكَ**)، لايقول العبد لسيده ومالكه: «ربي»؛ لأن هذا فيه تلبيس، وفيه إطلاق لفظ في غير محله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: تَعْلِيمُ الْأَوَّلِ قَوْلَ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي**)، يقول المالك: «فتاي وفتاتي»، بدل أن يقول: «عبدي وأمتي»؛ لأن «فتاي وفتاتي» ليس فيهما محذور شرعي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: تَعْلِيمُ الثَّانِي قَوْلَ: سَيِّدِي وَمَوْلَايَ**)، تعليم الثاني -وهو العبد المملوك- يقول لمالكه: «سيدي ومولاي»، بدل أن يقول: «ربي».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الخَامِسَةُ: التَّنْبِيهُ لِلْمُرَادِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ التَّوْحِيدِ حَتَّى فِي الْأَلْفَاظِ)**، تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ، وإن كان لا يقصد معناها، فيتجنب الألفاظ؛ حماية للتوحيد، وتجنيبًا للناس أن يتلفظوا بألفاظ فيها اشتباه.

٥٤- بَابٌ: لَا يُـرَدُّ مَنْ سَـأَلَ بِاللهِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ، وَالنَّسَائِي بِسَنَدٍ صَحِيحٍ**(١).

ش: قوله: (بَابٌ لَا يُـرَدُّ مَنْ سَـأَلَ بِاللهِ).

ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله، لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل، بحسب ما ورد في الكتاب والسنة، فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق -كبيت المال- أن يجاب، فيعطى منه على قدر حاجته، وما يستحقه وجوبًا.

وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل، فيجب أن يعطيه ما يدفع حاجته على حسب حاله ومسألته.

وأما إذا سأل من لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه على قدر حال المسؤول ما لا يضر به ولا يضر عائلته، وإن كان مضطرًّا، وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٢)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٦٥)، وفي المجتبى (٢٥٦٧)، وأحمد في المسند (٩/ ٢٦٦، ٥١٦، ١٠/ ٣٣، ٢٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٨٥)، وابن حبان في صحيحه (٨/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٧٣) وصححه، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٣٣٤) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح، فالأول محمود في الكتاب والسنة، والثاني مذموم فيهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابٌ: لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ**)، فمن سأل بالله، وجب تحقيق طلبه؛ لأنه سأل بالله عَزَّوَجَلَّ، وفي الحديث: «**مَنْ سَأَلَكم بِاللهِ؛ فَأَجِيبُوْهُ**»، أو ما هذا معناه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ**»)، استعاذ بالله من شر الأشرار أو الأذى، فإنه تجب إعاذته، أي: بأن لا يصل إليه شيء من الأذى أو المحظور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ، فَأَعِيْذُوْهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ، فَأَعْطُوْهُ**)، ثلاثة هذه الألفاظ: (**مَنْ سَأَلَ بِاللهِ، فَأَعْطُوْهُ، وَمَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ، فَأَعِيْذُوْهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ، فَأَجِيبُوْهُ**)، يعني: دعاكم إلى كرامة عنده أو إلى طعام عنده، فإن له الحق في أن تجيبوه؛ تحقيقًا لطلبه، وجبرًا لخاطره، وهذا من مقتضى الإخوة في الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوْفًا فَكَافِئُوْهُ**)، أي: أعطوه مكافئة تليق بهذا الطلب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق -كبيت المال- أن يجاب، فيعطى منه على قدر حاجته، وما يستحقه وجوبًا**)، النوع الأول:

إجابة السائل بالله، إذا سأل من بيت المال، فإنه تجب إجابته؛ لأن له حقًّا في بيت المال، كل مسلم من الرعية، فإن له حقًّا في بيت مال المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل، فيجب أن يعطيه ما يدفع حاجته على حسب حاله ومسألته**)، كذلك إذا سأل المحتاج شيئًا له فيه منفعة ومصلحة، فإنه تجب إجابته إذا سأل بالله؛ «**مَنْ سَأَلَ بِاللهِ، فَأَعْطُوْهُ**»؛ تعظيمًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى: أن له حقًّا في هذا المال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وأما إذا سأل من لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه على قدر حال المسؤول ما لا يضر به ولا يضر عائلته**)، المقصود أن من سأل بالله وجبت إجابته؛ تعظيمًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأيضًا إذا كان هذا السائل له حقٌّ في هذا المال؛ كأن يكون من بيت مال المسلمين، فإن له حقًّا فيه تجب إجابته، وإعطاؤه ما سأل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وإن كان مضطرًا، وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته**)، إذا كان مضطرًا إلى هذا الشيء الذي طلبه، وسأله، فإنه يجب أن يعطى ما يدفع ضرورته؛ تحقيقًا للإخوة الإسلامية، ودفعًا لحاجة هذا السائل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين**)، مقام الإنفاق على المحتاجين من أشرف مقامات الدين؛ لأنه من التعاون على البر والتقوى، ومن دفع حاجة المحتاج.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح)**، مقام الإنفاق على المحتاجين والسائلين من أعظم مقامات الدين؛ لأنه من التعاون على البر والتقوى، ومن دفع حاجة المحتاج، وهذا من موجب الإخوة الإسلامية، ومن موجب التعاون على البر والتقوى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم والجود، وضدهما من البخل والشح، فالأول: محمود في الكتاب والسنة، والثاني مذموم فيهما)**، يعني: البخل والشح مذموم في الكتاب والسنة، وكذلك الجود والعطاء والإنفاق هذا محمود في الكتاب والسنة.

....

ش: **وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق؛ لعظم نفعه وتعديه، وكثرة ثوابه، قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧، ٢٦٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق؛ لعظم نفعه وتعديه، وكثرة ثوابه، قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾)، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾، يعني: الرديء، ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، يعني: تقبلونه على كره، ولا ترغبون فيه. فهكذا المسلم الذي أنعم الله عليه وأعطاه من المال فللسائلين حق في هذا المال يدفعه إليهم، وذلك مما ينمي ماله، وينزل فيه البركة، بخلاف البخل؛ فإنه يبغض الشخص حتى إلى أولاده، أولاده يبغضون أباهم البخيل، فالكرم يحبب الشخص إلى أضداده، والبخل يبغض الشخص إلى أولاده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة:٢٦٧])، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾: هذا نداء من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لعباده المؤمنين.

﴿أَنفِقُواْ ﴾، أي: تصدقوا وأخرجوا.

﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾: من الحلال الطيب النافع.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ ﴾: الخبيث هنا الرديء من المال.

﴿مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ ﴾: لو أعطاكم أحدٌ من هذا المال الرديء، لم ترضوه، ولم تقبلوه إلا على كره.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ ﴾: لو دفعه إليكم دافع، فإنكم لا تقبلونه، ﴿إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ ﴾: إلا على مضض وكره، فلا تقصدوا الرديء من المال منه تنفقون، ولكن اقصدوا الطيب من المال والجيد من المال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة:٢٦٧])، والله جَلَّ وَعَلَا غني حميد، محمود سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فالله غنيٌّ عن هذا المال الردي، فلا تنفقوا منه على المحتاجين، ولكن أنفقوا من الجيد الطيب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾ [البقرة:٢٦٨])، الشيطان: إبليس -لعنه الله- وكل من اتصف بصفات الشيطان.

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾: يخوفكم بالفقر، لو انفقتم من المال الشيطان يخوفكم الفقر، وأما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه يحثكم على الصدقة وعلى بذل المال، وإعطاء المحتاجين؛ ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨] سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨])، ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾، يعني: منع الزكاة، ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾، أي: يأمركم بمنع الزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨])، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ﴾ لذنوبكم، ﴿وَفَضۡلًا﴾ في أموالكم بأن ينميها لكم ويزيدها بالإنفاق، فالمال الطيب يزيد بالإنفاق ولا ينقص، في الحديث: «**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**»[1]، بل تزيده، بل تزيده، بل تزيده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨])، واسع الفضل، واسع الإحسان، واسع الخير، عليم بما يصلح العباد والبلاد.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٤١) من حديث أبي كبشة الأنماري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

••

ش: وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧]، وذلك الإنفاق من خصال البر المذكورة في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية، فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة، وذلك -والله أعلم- لتعدي نفعه.

وذكره -تعالى- في الأعمال التي أمر الله بها عباده، وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد:٧])، يأمر الله جَلَّ وَعَلَا عباده المؤمنين بأن ينفقوا من المال الذي أعطاهم إياه، فهم مستخلفون فيه، وهذا المال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يؤتيه من يشاء، ويمنعه

ممن يشاء، فهو مال الله جَلَّوَعَلَا، وقد استخلفكم عليه، فأحسنوا الخلافة، وأعطوا من هذا المال، وأحسنوا كما أحسن إليكم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذلك الإنفاق من خصال البر المذكورة في قوله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧])، هذه خصال البر، ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده؛ ليتسابقوا إليها، ويعملوا بها، والله جَلَّوَعَلَا يخلف عليهم بخير مما انفقوا؛ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

فالمال الطيب ينمو ويزيد بالإنفاق، لا كما يتصور الناس أن النفقة الطيبة تنقص المال، وإنما تزيده، وتنميه، وتبارك فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥])،

فذكر المتصدقين والمتصدقات مع هؤلاء الطيبين الذين وصفهم بهذه الصفات العظيمة، وأنه وعدهم -سبحانه- مغفرة منه لذنوبهم وأجرًا عظيمًا لا يقدر قدره إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: **وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء[(١)]؛ نصحًا للأمة وحثًّا لهم على ما ينفعهم عاجلًا وآجلًا.**

وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار رضي الله عنهم بالإيثار، فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، والإيثار من أفضل خصائص المؤمن كما تفيده هذه الآية الكريمة.

وقد قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٨، ٩]، والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدًا، ومن كان سعيه للآخرة، رغب في هذا ورغب، وبالله تعالى التوفيق.

قوله رحمه الله: (وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء)، كان النبي ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء، قال: **«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ»**[(٢)]، فتصدقن - رضي الله عليهن - بما عليهن من الحلي لما سمعن كلام الرسول ﷺ، وبادرن إلى امتثال أمره وترغيبه.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٩٧٨)، ومسلم (٨٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠) من زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء نصحًا للأمة وحثًّا لهم على ما ينفعهم عاجلًا وآجلًا)**، لأن الصدقة ودفع الزكاة، الصدقة الواجبة والصدقة المستحبة فيها خير عظيم يعود على المتصدقين والمنفقين؛ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد أثنى الله -سبحانه- على الأنصار** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **بالإيثار، فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر:٩])، أثنى الله جَلَّ وَعَلَا على الأنصار من أهل المدينة؛ لأنهم يؤثرون على أنفسهم، يؤثرون المحتاجين على أنفسهم، ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، يعني: بهم حاجة إلى المال، فيؤثرون إخوانهم به على أنفسهم، هذا دليل على قوة الإيمان، وعلى صدق الإخوة فيما بين المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩])، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ بأن يقيه الله جَلَّ وَعَلَا ويعيذه من شح نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف:٥٣]، فالنفوس شحيحة، ولا يقاوم هذا الشح إلا صدق الإيمان والتصديق بما وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المتصدقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾** [الإنسان:٨، ٩])، هكذا المؤمن ينفق من ماله يريد ثواب الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يريد مدحًا من المعطى،

ولا يريد منه جزاء؛ بأن يرد عليه مثلما أنفق عليه أو أحسن، بل يريد ثواب الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدًّا، ومن كان سعيه للآخرة رغب في هذا ورغب)**، من كان سعيه للآخرة يريد ثواب الله، فإنه يرغب في الصدقة والإنفاق، ويعد بالخير، بخلاف المنافق والكافر؛ فإنهما يأمران بالفحشاء، الشيطان يأمر بالفحشاء، وهو منع الزكاة، والتي هي ركن من أركان الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ»)، هذه جمل عظيمة قالها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطب أمته:

الأولى: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ»، الاستعاذة معناها: اللجوء إلى المستعاذ من أمر مكروه، وهنا يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ» مما استعاذ منه، يعني: امنعوا عنه الشيء الذي استعاذ بالله منه، لا تؤذوه به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («وَمَنْ سَأَلَ بِاللهِ، فَأَعْطُوْهُ»)، هذا من باب القسم، إذا قال: أسألك بالله، يعني: يقسم عليك بالله أن تعطيه ما سأل، قال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأَعْطُوْهُ»، يعني: أعطوه ما سألكم؛ تعظيمًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإبرارًا لقسم السائل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»)، «وَمَنْ دَعَاكُمْ» إلى وليمة أو إلى أي شيء يقدمه لمن دعاهم، «فَأَجِيبُوهُ»؛ لأن هذا من حق المسلم على المسلم، وهو دعاكم لإكرامكم، فأجيبوه؛ جبرًا لخاطره، وتحقيقًا لطلبه، وهذا من حق المسلم على المسلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: («وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوْفًا، فَكَافِئُوْهُ»)، «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوْفًا»، أي معروف. «فَكَافِئُوْهُ»، يعني: ردوا عليه بمثل كافأكم.

«فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا»، أي: تظنوا «أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوْهُ» على معروفه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ**)، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، يعني: في سننه. وَالنَّسَائِيُّ: أيضًا في سننه.

....

ش: ش: قوله: «وَمَنْ دَعَاكُمْ، فَأَجِيبُوهُ»، هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعـــض إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين.

قوله: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا، فَكَافِئُوهُ»؛ ندبهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المكافأة على المعروف، فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله؛ كما دل عليه هذا الحديث، ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس، وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة؛ كما يقع كثيرًا من بعضهم -نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة!

بخلاف حال أهل التقوى والإيمان؛ فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه؛ كما قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٦-٩٨]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥]، وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ»**)، هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين

المسلمين)، من دعاكم إلى وليمة أو إلى أي شيء يقدمه لكم فأجيبوه؛ لأن هذا من حق المسلم على المسلم، وهذا لإزالة ما قد يكون في الصدور من البغضاء، فهذا فيه غسلٌ لهذه الخصلة الذميمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ»، ندبهم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى المكافأة على المعروف)**، **«وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكمْ مَعْرُوْفًا»**، أيّ معروف، **«فَكَافِئُوْهُ»**، يعني: أعطوه ما يعادل معروفه الذي صنعه إليكم؛ لأن هذا من إبقاء المحبة بين المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله)**، هذا من المروءة التي يحبها الله ورسوله، **«وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوْفًا»** أيّ معروف، فإنك يجب عليك أن تكافئه، فإذا لم تجد ما تكافئه به، فإنك تدعو له بالخير، **«حَتَّى تَرَوْا»**، أي: تظنوا **«أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوْهُ»**.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس)**، لايهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام، أما الكرام فإنهم يكافئون على المعروف ولو بالدعاء، إذا لم يجدوا شيئًا، فبالدعاء له بالخير؛ لقاء معروفه، قد يكون الدعاء بالخير خيرٌ من المكافأة المادية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة، كما يقع كثيرًا من بعضهم)**، بعض اللئام: جمع لئيم من اللؤم، وهو خصلة ذميمة، بعض اللئام لا يكافئ على المعروف، هذا عمل مذموم

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة، كما يقع كثيرًا من بعضهم)**، بل بالعكس بعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة بالضد، وهذا من خصال اللئام والمنافقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بخلاف حال أهل التقوى والإيمان، فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه)**، يدفعون الخصال الذميمة بالخصال الطيبة، فيدفعون الإساءة بالإحسان، وهذا دليل على قوة إيمانهم ومحبتهم للخير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾** [المؤمنون:٩٦-٩٨])، يقول الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾**، فلا ترد على اللئيم باللؤم، وإنما ترد عليه بالإحسان، وهذه خصلة طيبة من خصال المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾**)، **﴿وَقُل﴾** أيها المسلم، هذا خطاب للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خطاب لكل مسلم، **﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾** [المؤمنون:٩٦، ٩٧]؛ لأن الشيطان يحث على اللؤم وعلى الأذى وعلى الخصال الذميمة؛ لقصد أن يضر بني آدم؛ لأنه عدو؛ **﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾** [فاطر:٦].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾**)، **﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ﴾**: جمع همزة، والهمزة: الدفع اليسير، الدفع برفق ويسر.

والشيطان يهمز المؤمن ليوقعه في الشر، فهو يهمزه؛ لأجل أن يسيء إلى خصمه أو حتى إلى صديقه، هذا ما يأمر به الشيطان، والله يأمر بالإحسان؛ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ﴾ [المؤمنون:٩٦، ٩٧]: جمع همزة.

﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: الهمز واللمز هذا من عمل الشيطان. قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١]، الذي يهمز ويلمز.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٨])، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾، يعني: عند الوفاة؛ لأن الشيطان يحضر المسلم عند وفاته؛ ليصرفه عن الحق، ويختم بعمل سيء أو قول سيء؛ لأنه عدو.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤])، هذا ما يسببه الدفع بالأحسن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:٣٤])، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، يعني: ادفع الإساءة بالإحسان، هذا من خصال المؤمنين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال تعالى**: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ﴾ [فصلت:٣٤])، هذه الثمرة، هذه ثمرة دفع السيئة بالحسنة: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، ينقلب عدوك إلى صديق بسبب الإحسان، والدفع بالتي هي أحسن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ [فصلت:٣٥])، وما يُلقى هذه الخصلة، وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾: عندهم صبر وحبس للنفس، الصبر هو الحبس، حبس النفس عن المكروه.

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ ﴾: هذه النتيجة الطيبة، ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ ﴾، يعني: صديق ﴿ حَمِيمٌ ﴾: صديق متأكد الصداقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٥])، وما يُلقى هذه الخصلة الطيبة -وهي دفع الإساءة بالإحسان-، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾: صبروا على ما أصابهم من السيئة، يصبرون على ذلك من الأذى.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾، أي: يُعطاها ﴿إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة**)، أصحاب الحظ العظيم من هم؟ هم الذين سبقت لهم من الله سبحانه السعادة.

....

ش: قوله: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ»، أرشدهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف، فيدعو له على حسب معروفه.

قوله: «حَتَّى تُرَوْا» -بضم التاء-: تظنوا «أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»، ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى: تعلموا، ويؤيده ما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «حَتَّى تَعْلَمُوا»(١)، فتعين الثاني للتصريح به.

وفيه: «مَنْ سَأَلَكُمْ بالله فَأَجِيبُوهُ»، أي: إلى ما سأل، فيكون بمعنى: أعطوه، وعند أبي داود في رواية أبي نهيك(٢) عن ابن عباس: «وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللهِ، فَأَعْطُوهُ»(٣).

وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث: «وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ»، كما في حديث ابن عمر(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٥١٠٩).

(٢) هو أبو نهيك الأزدي الفراهيدي البصري، صاحب القراءات، اسمه: عثمان بن نهيك، روى عن عبد الله بن عباس، وأبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري، وروى عنه حسين بن واقد المروزي، وزياد بن سعد، وغيرهما. انظر: تهذيب الكمال (٣٤/ ٣٥٥)، وتاريخ الإسلام (٣/ ١٩٨)، وتهذيب التهذيب (٧/ ١٥٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٥١٠٨).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٠٩).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ»، أرشدهم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إلى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف فيدعو له على حسب معروفه)**، فإذا لم يجد شيئًا من المال يدفعه لخصمه أو صديقه، فإنه يدعو له، قد يكون الدعاء أعظم من المال؛ **«فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تُرَوْا»**، أي: تظنوا **«أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوْهُ»**.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعند أبي داود في رواية أبي نهيك عن ابن عباس: «وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللهِ، فَأَعْطُوهُ»)**، إذا سأل بوجه الله، فإنه لا يجوز رده، بل يجاب؛ لأن هذا قسم، سألكم بالله، يعني أقسم عليكم بالله جَلَّ وَعَلَا.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ.

الثَّانِيَةُ: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ.

الثَّالِثَةُ: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ.

الرَّابِعَةُ: الْمُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ.

السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: «حَتَّى تَرَوْنَ أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: إِعَاذَةُ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ**)، المسألة الأولى: وجوب إعاذة من استعاذ بالله، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يتزوج امرأة، فقالت لها زوجات الرسول: إذا دخل عليكِ، فقولي: أعوذ بالله منك؛ فإنه يزيدك محبة عنده. فلما دخل عليها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: أعوذ بالله منك، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ**»[1]، فهن خدعنها بهذا الكلام، وواجهت به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجدت من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أعاذها بالله، ولم يبن بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: إِعْطَاءُ مَنْ سَأَلَ بِاللهِ**)؛ لأنه قسم، إذا قال: أسألك بالله، يعني: أقسم بالله عليك أن تعطيني كذا، فهو أقسم عليك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٥٤) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ**)؛ إجابة الدعوة إذا دعاك إلى بيته، أو إلى وليمة، فإنك تجيبه؛ جبرًا لخاطره، حتى ولو كنت صائمًا، فإنك تحضر، فإن كان الصيام تطوعًا، فإنك تفطر؛ تحقيقًا لطلبه وجبرًا لخاطره، وإن كنت غير صائم، فإنك تتناول مما يقدمه لك ولغيرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: الْمُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ**)، المكافأة على الصنيعة الطيبة؛ فإن الحق في ذلك أن تكافئه عليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْخَامِسَةُ: أَنَّ الدُّعَاءَ مُكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ**)، فإن لم تجد ما تكافئه به، فادع له، فالدعاء يقوم مقام المكافأة، بل هو أعظم من المكافأة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: قَوْلُهُ: حَتَّى تَرَوْنَ أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**)، «**فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تُرَوْا**»، أي: تظنوا «**أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوْهُ**»، يعني: أكثروا له من الدعاء حتى تظنوا أو يغلب على ظنكم أنكم قد كافأتموه على صنيعه.

٥٥- بَابُ لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ

عَنْ جابِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ، إِلَّا الجَنَّةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ[(١)].

ش: قوله: (بَابٌ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ).

ذكر فيه حديث جابر، رواه أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ، إِلَّا الْجَنَّةُ».

وهنا سؤال، وهو أنه قد ورد في دعاء النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْت رب الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنت رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَو إِلَى عَدو ملكته أَمْرِي، إِن لم يكن بك غضب عليّ فَلَا أُبَالِي غير أَن عافيتك هي أوسع لي»، وفي آخره: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَن يحل عليّ غضبك أَو ينزل بِي سخطك، لَك الْعُتْبى حَتَّى ترْضى، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء (ص٣١٥)، وفي الكبير (١٣/ ٧٣)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ٢٧٥)، والضياء المقدسي في المختارة (٩/ ١٧٩- ١٨١) من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ)**، لأن وجه الله عظيم، فلا تسأل به شيئًا لا يصل إلى عظمة وجه الله جَلَّ وَعَلَا، فأنت سألت بشيء عظيم، وهو وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن سئل بذلك، فإنه يحقق إجابة من سأله، ولكن ليس كل شيء يسأل بوجه الله من أطماع الدنيا، وإنما يسأل بوجه الله أعظم شيء، وهو الجنة؛ لأن وجه الله عظيم، فلا يسأل به إلا شيء عظيم، وهو الجنة؛ أعظم شيء هو الجنة، وهذا تعظيم لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ جَابِرٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ **قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا الجَنَّةُ»)**؛ لأن وجه الله عظيم، لا أعظم منه، فلايسأل به شيئًا حقيرًا أو شيئًا قليلًا، وإنما يسأل به أعظم شيء وهو الجنة، فهذا تعظيم لوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهنا سؤال، وهو أنه قد ورد في دعاء النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهل الطائف)**، ذهب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهل الطائف، لما أساء إليه أهل مكة، ذهب إلى الطائف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ ليدعوهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فقابلوه بأسوأ، ورموه بالحجارة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، حتى أدموا عقبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَن يحل عليّ غضبك أَو ينزل بِي سخطك، لَك الْعُتْبى حَتَّى ترْضى، وَلَا حول وَلَا قُوَّة إِلَّا بك»)**، هذا هو الدعاء المشهور بدعاء الطائف، الذي دعا به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما قابله أهل الطائف بالغلظة والشدة، وأساءوا إليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

....

ش: والحديث المروي في الأذكار: «اللَّهُمَّ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ ذُكِرَ، وَأَحَقُّ مَنْ عُبِدَ»، وفي آخره: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ»[(١)]، وفي حديث آخر: «أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ، وبِاسْمِ اللهِ العَظِيمِ وَبِكَلِمَاتِهِ التَّامَّةِ، مِنْ شَرِّ السَّامَّةِ وَاللَّامَّةِ، وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقْتَ -أي: ربِّ- وَمِنْ شَرِّ هَذَا اليَوْمِ وَمِنْ شَرِّ ما بَعْدَهُ، وَمِنْ شَرِّ الدُنْيَا وَالآخِرَةِ»[(٢)].

وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

فالجواب: أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة، أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله، وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة؛ كما في الحديث الصحيح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا يقَرِّبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ، أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا يقَرِّب إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ»[(٣)]، بخلاف ما يختص بالدنيا؛ كسؤال المال، والرزق، والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٦٤)، وفي الدعاء (ص١٢٠) من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٢٥، ٦/ ٣٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١١٢)، وابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف (١/ ٣٠٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤١/ ٤٧٤، ٤٢/ ٦٧)، وابن ماجه (٣٨٤٦)، والطبراني في الدعاء (ص٤٠١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٠٢) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله، وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث -كما لا يخفى-، والله أعلم.

وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى؛ فإنه صفة كمال، وسلبه غاية للنقص، والتشبه بالناقصات؛ كسلبهم جميع الصفات أو بعضها، فوقعوا في أعظم مما فروا منه -تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا!

وطريقة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، على ما يليق بجلال الله وعظمته، فيثبتون له ما أثبته لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينفون عنه مشابهة المخلوق، فكما أن ذات الرب -تعالى- لا تشبه الذوات، فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها، فقد سلبه الكمال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فالجواب: أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة، أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله، وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة)، فتوافقت الأحاديث والآثار كلها على تعظيم وجه الله سبحانه، وأنه لا يُسأل به إلا الجنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله)، لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة؛ لأن وجه الله عظيم، فلا يُسأل به إلا شيء عظيم، وأعظم شيء هو الجنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى، فإنه صفة كمال، وسلبه غاية للنقص)**، في الحديث إثبات الوجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، على ما يليق بعظمته -سبحانه- وجلاله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كسلبهم جميع الصفات أو بعضها، فوقعوا في أعظم مما فروا منه -تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا)**، يعني: الذين ينفون صفات الله عَزَّوَجَلَّ بزعمهم فرارًا من التشبيه، فهذا باطل، والله جَلَّوَعَلَا أثبت لنفسه الوجه، وهو -سبحانه- أعلم بما يليق به، الوجه من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كاليدين من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وطريقة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا: الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته)**، بهذا القيد: على ما يليق بجلال الله وعظمته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكما أن ذات الرب -تعالى- لا تشبه الذوات، فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها، فقد سلبه الكمال)**، من نفى صفات الله، فقد نفى صفات الكمال عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ووصفه بالنقص -تعالى الله عن ذلك-، فنحن نثبت ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وننفي عنه ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو طريق السلامة طريق الحق.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ أَنْ يَسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا غَايَةَ الْمَطَالِبِ.

الثَّانِيَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْوَجْهِ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: النَهْيُ عَنْ أَنْ يُسْأَلَ بِوَجْهِ اللهِ إِلَّا غَايَةَ الْمَطَالِبِ**)، النهي عن أن يُسأل بوجه الله الشيء الحقير أو الشيء الدنيء، وإنما يُسأل به الشيء العظيم، وهو الجنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْوَجْهِ**)، إثبات صفة الوجه لله، صفة ذات من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٥٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ (لَو)

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ (لَو)).

أي: من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر؛ لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات مما لا يمكن استدراكه، فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة، وهو الصبر على ما أصاب العبد مما يكره.

والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة.

وأدخل المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أداة التعريف على (لو)، وهذه في هذا المقام لاتفيد تعريفًا كنظائرها؛ لأن المراد هذا اللفظ؛ كما قال الشاعر(١):

رَأَيْت الْوَلِيد بْنَ الْيَزِيدَ مُبَارَكًا ... شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الْخِلَافَة كَاهِلُه

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ: مَا جَاءَ فِي الـ (لَو))، في قوله: لو فعلت كذا، لكان كذا، لو...، لو...، فهذا جاء فيه أحاديث: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**»(٢).

(١) من كلام ابن مياد، الرمَّاح بن أبرد بن ثوبان، في مدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك. انظر: شرح المفصل لابن يعيش (١/ ١٣٥)، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٢/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾** [آل عمران:١٥٤])، في وقعة أحد لما حصل على المسلمين ما حصل من القتل، قال المنافقون: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]، فلا ينفع الإنسان التحايل على القضاء والقدر، ولكن عليه أن يصبر ويحتسب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: [بَابُ مَا جَاءَ فِي الـ «لَو»]، أي: من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والأسى على ما فات مما لا يمكن استدراكه)**، فكلمة «لو» لا تجدي شيئًا بعد حصول القضاء والقدر، وأرشد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدل ذلك أن يقول: **«مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»**.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة)**، أركان الإيمان ستة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رَأَيْت الْوَلِيد بن اليزيد مُبَارَكًا شَدِيدًا بِأَعْبَاءِ الخلَافَة كَاهِلُه)**، رَأَيْت الْوَلِيد بن اليزيد، أدخل (ال) على (يزيد) مع أنه اسم علم لا تدخل عليه (ال)، ولكن الضرورة الشعرية.

....

ش: وقوله: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤])، قاله: بعض المنافقين يوم أحد، لخوفهم وجزعهم وخورهم.

قال ابن إسحاق: فَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ اشْتَدَّ الْخَوْفُ عَلَيْنَا، أَرْسَلَ اللهُ عَلَيْنَا النَّوْمَ، فَمَا مِنَّا مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ. قَالَ: فَوَاللهِ إِنِّي لَأَسْمَعُ قَوْلَ مُعَتِّبِ بْنِ قُشَيْرٍ، مَا أَسْمَعُهُ إِلَّا كَالْحُلْمِ: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، فَحَفِظْتُهَا مِنْهُ. وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] لِقَوْلِ مُعَتِّبٍ. رواه ابن أبي حاتم(١).

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]، أي: هذا قدر مقدر من الله -تعالى-، وحكم حتم لازم لا محيد عنه، ولا مناص منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤])، قاله: بعض المنافقين يوم أحد، لخوفهم

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٧٩٥)، والطبري (٦/ ١٦٨)، والقرطبي (٤/ ٢٤٢)، وابن كثير (٢/ ١٤٥- ١٤٦).

وجزعهم وخورهم)، لما حصل على المسلمين ما حصل في وقعة أحد من القتل، ما كان من المؤمنين إلا التسليم للقضاء والقدر، وأما المنافقون، فإنهم يتلاومون، ويلقون باللوم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أخرجهم إلى هذا المكان، ولأنهم لايؤمنون بالقضاء والقدر، ويلتمسون العيوب والتنقص على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فـ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤]، يعني: في أحد. فرد الله عليهم: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] لِقَوْلِ مُعَتِّبٍ)، فالمنافقون ألقوا باللائمة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه هو السبب في قتلهم، ولو كان الأمر لهم، ما خرجوا وعرضوا أنفسهم للقتل؛ ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ رد عليهم: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾، ﴿كُتِبَ﴾: القضاء والقدر. ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]، فلا حيلة في القضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] أي: هذا قدرٌ مقدر من الله عَزَّوَجَلَّ وحكم حتم لازم لا محيد عنه، ولا مناص منه)، فالله إذا قدر شيئًا، فلابد أن ينفذ القضاء والقدر، ولا ينفع اتخاذ الأسباب في هذا المكان، فالقضاء نافذ بلا شك، ولا يمنع منه شيء.

فالمؤمن يطمئن أن الأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما المنافق، فيتلوم ويتحسر؛ ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤]، فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨].

ش: قال العماد ابن كثير: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٨] الآية، أَيْ: لَوْ سَمِعُوا مِنْ مَشُورَتِنَا عَلَيْهِمْ فِي الْقُعُودِ وَعَدَمِ الخُرُوجِ مَا قُتِلُوا مَعَ مَنْ قُتِلَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨]، أَيْ: إِذا كَانَ القُعود يَسْلَم بِهِ الشَّخْصُ مِنَ الْقَتْلِ وَالموْتِ، فَيَنْبَغِي لكم أن لَا تَمُوتُوا، وَالمَوْتُ لَا بُدَّ آتٍ إليكم ولو كنتم في بُرُوجٍ مُشَيَّدة، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

قَالَ مُجَاهِدٌ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وأصحابه، يعني: أنه هو الذي قال ذلك(١).

وأخرج البيهقي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «غَشِيَنَا النُّعَاسُ وَنَحْنُ فِي مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَعَلَ يَسْقُطُ سَيْفِي وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ وَآخُذُهُ. قَالَ: وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى المُنَافِقُونَ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، أَجْبَنُ قَوْمٍ وَأَرْعَبُهُ وَأَخْذَلُهُ لِلْحَقِّ، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، أنما هم أَهْلُ شَكٍّ وَرِيبَةٍ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٦٠-١٦١).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ٢٧٣)، وأصله في البخاري (٤٠٦٨، ٤٥٦٢)، والترمذي (٣٠٠٧، ٣٠٠٨)، والنسائي في الكبرى (١٠/ ٥٣، ١٠٥)، وأحمد (٢٦/ ٢٧٧)، وأبو يعلى (٣/ ١٤)، والطبراني في الكبير (٥/ ٩٥، ٩٦، ٩٧)، وفي الأوسط (٣/ ٧١)، وابن حبان (١٦/ ١٤٥)، والحاكم (٢/ ٣٢٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨])، ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾: إذا نزل الموت، فلا أحد يدفعه، لابد أن يأخذ مجراه الذي قدره الله له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨] أَيْ: إِذا كَانَ القُعود يَسْلَم بِهِ الشَّخْصُ مِنَ الْقَتْلِ وَالمَوْتِ، فَيَنْبَغِي لكم أن لَا تَمُوتُوا، وَالمَوْتُ لَا بُدَّ آتٍ إليكم ولو كنتم في بُرُوجٍ مُشَيّدة، فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)، رد الله عليهم بأن قضاء الله نافذ، ولا يمنع منه فعل الأسباب، فهذا شيء بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قضاء وقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ مُجَاهِدٌ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وأصحابه، يعني: أنه هو الذي قال ذلك)، نزلت الآية في عبد الله بن أُبَيٍّ رأس المنافقين؛ أنهم هم الذين قالوا هذه المقالة؛ لأنهم لا يؤمنون بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالطَّائِفَةُ الْأُخْرَى الْمُنَافِقُونَ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، أَجْبَنُ قَوْمٍ وَأَرْعَبُهُ وَأَخْذَلُهُ لِلْحَقِّ، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، أنما هم أَهْلُ شَكٍّ وَرِيبَةٍ فِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ)، هذه المقالة صدرت عن المنافقين، هم الذين قالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾: يُعرضون بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿مَّا قُتِلْنَا هَـٰهُنَا﴾، يعني: فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو السبب الذي أخرجهم للقتل؛ لأنهم -والعياذ بالله- لا يؤمنون بالقضاء والقدر.

....

ش: قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف، ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ -لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أُبي في غزوة أحد- قال: فَلَمَّا انْخَذَلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَالَ: يَدَعُ رَأْيِي وَرَأْيَهُ وَيَأْخُذُ بِرَأْيِ الصِّبْيَانِ -أَوْ كَمَا قَالَ-، انْخَذَلَ مَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُنَافِقْ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَأُولَئِكَ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَكَانَ مَعَهُمْ إِيمَانٌ هُوَ الضَّوْءُ الَّذِي ضَرَبَ اللهُ بِهِ الْمَثَلَ.

فَلَوْ مَاتُوا قَبْلَ الْمِحْنَةِ وَالنِّفَاقِ مَاتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَكُونُوا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا الَّذِينَ امْتُحِنُوا فَثَبَتُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَلَا مِنْ الْمُنَافِقِينَ حَقًّا الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَنْ الْإِيمَانِ بِالْمِحْنَةِ.

وَهَذَا حَالُ كَثِيرٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَانِنَا أَوْ أَكْثَرِهِمْ إِذَا ابْتُلُوا بِالْمِحَنِ الَّتِي يَتَضَعْضَعُ فِيهَا أَهْلُ الْإِيمَانِ يَنْقُصُ إِيمَانُهُمْ كَثِيرًا، وَيُنَافِقُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ الرِّدَّةَ إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ غَالِبًا؛ وَقَدْ رَأَيْنَا وَرَأَى غَيْرُنَا مِنْ هَذَا مَا فِيهِ عِبْرَةٌ.

وَإِذَا كَانَتْ الْعَافِيَةُ أَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِالرَّسُولِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا لَكِنْ إِيمَانًا لَا يَثْبُتُ عَلَى الْمِحْنَةِ،

وَلِهَذَا يَكْثُرُ فِي هَؤُلَاءِ تَرْكُ الْفَرَائِضِ وَانْتِهَاكُ الْمَحَارِمِ، وَهَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]، أَيْ: الْإِيمَانُ الْمُطْلَقُ الَّذِي أَهْلُهُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ إِذَا أُطْلِقَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ رَيْبٌ عِنْدَ الْمِحَنِ الَّتِي تُقَلْقِلُ الْإِيمَانَ فِي الْقُلُوبِ. انتهى(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤])، فالمسلمون غشيهم النعاس أَمَنَةً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهم في نفس الموقع المخيف، ومع هذا غشيهم النعاس، فجعل قوس أحدهم يأخذه، ثم يسقط من يده من النعاس، هذه أَمَنَة من الله جَلَّ وَعَلَا، وأما المنافقون، فإنهم لم يأت عليهم النعاس؛ لأن الخوف أخذ قلوبهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِنْهُمْ مَنْ يُظْهِرُ الرِّدَّةَ إِذَا كَانَ الْعَدُوُّ غَالِبًا؛ وَقَدْ رَأَيْنَا وَرَأَى غَيْرُنَا مِنْ هَذَا مَا فِيهِ عِبْرَةٌ)، يقول الشيخ: رأينا ما فيه عبرة من مواقف المنافقين عند حلول المصائب؛ أنهم يلقون باللوم على المخلوقين، ولا يؤمنون بالقضاء والقدر، فتطمئن نفوسهم، ويعلمون أنَّ ما قُدر لابد أن يكون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤])، ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨٠-٢٨١).

﴿قُلُوبِكُمْ﴾، ﴿وَلَمَّا﴾: هذه فيها رجاء أنه يدخل فيها بعد، فدخل الإيمان في قلوبهم، وثبتوا على الإيمان، وأما المنافقون، فلا يزالون يترددون في ريبهم -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَهَؤُلَاءِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا﴾، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾** [الحجرات:١٤]**، أَيْ: الْإِيمَانُ الْمُطْلَقُ الَّذِي أَهْلُهُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْإِيمَانُ إِذَا أُطْلِقَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى)**، الإيمان المطلق هو الإيمان الكامل، وأما الإيمان -إيمان المنافقين والإيمان الناقص-، فإنه يتذبذب عند المصائب، وقد يزول -والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ رَيْبٌ عِنْدَ الْمِحَنِ الَّتِي تُقَلْقِلُ الْإِيمَانَ فِي الْقُلُوبِ)**، فالمؤمنون حقًا ما تزيدهم المحن إلا إيمانًا بالله عَزَّوَجَلَّ، خلاف المنافق؛ فإنه كما قال الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، يعني: طرف. ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

....

ش: قول شيخ الإسلام: (وَقَدْ رَأَيْنَا وَرَأَى غَيْرُنَا مِنْ هَذَا مَا فِيهِ عِبْرَةٌ).

قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو؛ من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره. والله المستعان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو، من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام)**، يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نحن رأينا من ذلك ومن هؤلاء القوم الذين إذا نزلت المصائب، تزعزع إيمانهم، وضعف يقينهم، أو زال يقينهم، فبادروا باللوم والأقوال الفاسدة، تظهر ما في صدورهم عند المصائب وعند النكبات.

أما أهل الإيمان الثابت الراسخ، فإنه لا يتزعزع إيمانهم عند المصائب، ولا يزول يقينهم، بل هم ثابتون صامدون، ثم في النهاية تكون العاقبة لهم، ويخسر المنافقون.

الكلام على الإيمان الذي في القلب، إذا كان الإيمان الذي في القلب ثابتًا، فإنه لا يزعزعه شيء، أما الإيمان الضعيف وإيمان المنافق، فإنه يزول عند أول مصيبة، وتكشف سرائرهم وما كانوا يخفون في نفوسهم، فالمصائب هي التي تبين الرجال.

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[(١)].

ش: قوله: (فِي الصَّحِيحِ)، أي: صحيح مسلم.

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ...» الحديث.

اختصر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث، وتمامه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»، أي: في معاشك ومعادك، والمراد: الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه، مما شرعه الله -تعالى- لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة.

ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه؛ ليتم له سببه وينفعه، ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى، ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد، فإذا جمع بينهما، تم له مراده بإذن الله.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **قَالَ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ)**، هذا الحديث فيه بيان موقف المؤمن إذا أصابته المصائب، وأنه يظهر الإيمان بالله، ويقول: (قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ)، ولا يقول: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ)؛ كما يقول المنافق.

المنافق عند المصائب يقول: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا)، أما المؤمن، فإنه يقول: (قَدَرُ اللهِ -أو قدّرَ الله- وَمَا شَاءَ فَعَلَ)، فيُظهر الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، ويحاسب نفسه حين الوقوع في الأخطاء؛ ليتلافى المكاره مرة ثانية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **أنه قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»)**، المؤمن صادق الإيمان كلما كمل إيمانه، فهو أحب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهو خيرٌ من المؤمن الضعيف، يعني: ضعيف الإيمان؛ فإن ضعيف الإيمان عرضة لظهور التأسف وظهور عدم الصبر؛ سببه ضعف الإيمان، بخلاف المؤمن؛ فإنه ثابت الإيمان، وإذا أصابه ما أصابه، فإنه يراجع نفسه، ويتلافى النقص في إيمانه.

وأما المنافق، فإنه -والعياذ بالله- الذي يُظهر الإيمان، ويبطن خلافه، فإنه ينكشف عند الشدائد كما انكشفت أحوال المنافقين في عهد الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في وقعة أحد وفي غيرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عن النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **أنه قال: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ)**، المؤمن القوي -القوي

في بدنه، والقوي في إيمانه- خير وأحب إلى الله من المؤمن ضعيف الإيمان، «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»: في ضعيف الإيمان وفي قوي الإيمان في كُلٍّ خير، بخلاف المنافقين؛ فإنهم -والعياذ بالله- ينكشفون عند أدنى مصيبة؛ لأن ليس فيهم خير، وإنما يُظهرون الخير، ويبطنون الشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«احْـرِصْ عَلَـى مَـا يَنْفَعُكَ»**)، هذا حث من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»، يعني: الشيء الذي فيه نفع فاحرص عليه، وتمسك به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ»، أي: في معاشك ومعادك، والمراد: الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه، مما شرعه الله -تعالى- لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة**)، وليس معنى الإيمان بالقضاء والقدر أنه يهمل الأسباب، بل يتخذ الأسباب الواقية والنافعة، بخلاف المنافق؛ فإنه ليس عنده إيمان أصلًا، وإنما يُظهر الإيمان، ويعيش مع المؤمنين، لكن إذا جاءت مصيبة، تبيَّن -والعياذ بالله- موقفه من المصائب؛ فالمؤمن يثبت عند المصائب، ويثبت على إيمانه، ويعلم أن ما أصابه إنما هو بقضاء الله وقدره، فيحاسب نفسه، بخلاف المنافق؛ فإنه يلقي باللوم على الآخرين، ويهمل الأسباب النافعة، ويتخذ الأسباب التي تضره أو لا تفيده شيئًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه**)، ولا يعتمد على السبب، وإنما يعتمد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع اتخاذ الأسباب، فلابد من الأمرين: اتخاذ الأسباب النافعة، مع التوكل

على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فلا يأخذ بسبب -مثلًا: التوكل-، ويترك السبب الآخر، وهو الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعتمد على التوكل، ويترك الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وإنما يأخذ بالأمرين: اتخاذ الأسباب النافعة، مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ففعل السبب سنة، والتوكل على الله توحيد، فإذا جمع بينهما، تم له مراده بإذن الله**)، هذا هو المؤمن حقًا، لا يعتمد على التوكل على الله، ويترك الأسباب، ولا يعتمد على الأسباب، ويترك التوكل على الله، بل يجمع بينهما: اتخاذ الأسباب النافعة مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: قوله: «وَلَا تَعْجَزَنْ» النون نون التأكيد الخفيفة.

نهاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن العجز وذمه، والعجز مذموم شرعًا وعقلًا.

وفي الحديث: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأمانِي»(١).

فأرشده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره ألا يقول: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كذا لكَانَ كَذَا وَكَذَا»، ولكن يقول: «قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ»، أي: هذا قدر الله، والواجب التسليم للقدر، والرضا به، واحتساب الثواب عليه.

قوله: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»، أي: لما فيها من التأسف على ما فات، والتحسر، ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضا، والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد:٢٢، ٢٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٨/ ٣٥٠)، والترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، والطبراني في الكبير (٧/ ٢٨١، ٢٨٤)، والصغير (٢/ ١٠٧)، والحاكم (١/ ١٢٥، ٤/ ٢٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥١٦)، وفي شعب الإيمان (١٣/ ١٢٩)، كلهم بدون لفظ: «الأماني».

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ»(١).

وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَلَا تَعْجَزَنْ»)، لا تعجزن عن اتخاذ الأسباب النافعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «وَلَا تَعْجَزَنْ»، النون نون التأكيد الخفيفة)، نون التأكيد الخفيفة؛ لأنها ساكنة، وأما إذا شددت فهي نون التوكيد الثقيلة (وَلَا تَعْجَزَنَّ)

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وفي الحديث: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأماني»)، «الكَيِّسُ»، يعني: الحازم، «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ»، أي: حاسبها «وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ»، هذا هو الكيس.

«وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأماني»، هذا هو المنافق، العاجز عن مرتبة الإيمان الصادقة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فأرشده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره ألا يقول: «لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كذا لكَانَ كَذَا وَكَذَا»، ولكن يقول: «قَدَّرُ اللهِ وَمَا شَاءَ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٧٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٩٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢/ ١٩٥).
(٢) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ١٣٠)، وفي عدة الصابرين (١/ ١٢٩).

فَعَلَ»، أي: هذا قدر الله، والواجب التسليم للقدر، والرضى به، واحتساب الثواب عليه)، لا شك أن ما يقع فإنه بقضاء الله وقدره، سواء كان مما تحبه النفوس أو مما تكرهه النفوس، كله بقضاء الله وقدره، فعلى المؤمن أن يحاسب نفسه، وأما المؤمن، فإنه يلقي باللوم على القضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». أي: لما فيها من التأسف على ما فات، والتحسر، ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضى، والصبر واجب)**، هذا موقف المسلم أنه يرضى بقضاء الله وقدره، ويسلم مع اتخاذ الأسباب النافعة، فيجمع بين الإيمان بالقضاء والقدر واتخاذ الأسباب النافعة، وأما المنافق، فإنه يعتمد على الأسباب، وينسى التوكل على الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾)**، ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: الكتاب الذي كتب الله به مقادير الأشياء، فلا يحصل شيء إلا وهو مكتوب من خير أو شر، فعلى المسلم أن يفعل الأسباب النافعة، ويتجنب الأسباب الضارة، مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾)**، ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: من قبل أن نخلقها، ومن قبل وقوعها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾)**، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾، يعني: كون الأشياء مقدرة كلها خيرها وشرها، مقدرة في كتاب، هذا ﴿عَلَى ٱللَّهِ

يَسِيرٌ﴾؛ لأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وهو الغني الحميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾)، المؤمن لا يأسى على شيء فات؛ لأنه بقضاء الله وقدره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾)، ولا يفرح فرح الأشر والبطر، وإنما يفرح بفضل الله، ولكن لا ينسى القضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾)، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾، الله جَلَّ وَعَلَا يحب ويكره ويبغض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: مختال من الاختيال، والفخور من الفخر، فلا يفخر فخرًا ينسيه الإيمان بالقضاء والقدر، ولا يتأثر بالمصائب، وينسى الفرج من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ إن فرج الله قريب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ**)، الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فالجسم الذي ليس فيه رأس فلا فائدة فيه، كذلك الذي ليس معه إيمان بالقضاء والقدر لا ينفعه -مثلًا- ما يفعله من الأمور النافعة، لا تنفعه إذا لم يكن معه إيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن)**؛ لأهمية الصبر، تسعين موضع من القرآن، من الذي يعدها تسعين موضعًا؟ الإمام أحمد عدها وعرفها.

....

ش: قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وذكر حديث الباب بتمامه-، ثم قال في معناه: لَا تَعْجِزْ عَنْ مَأْمُورٍ، وَلَا تَجْزَعْ مِنْ مَقْدُورٍ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَجْمَعُ كِلَا الشَّرَّيْنِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحِرْصِ عَلَى النَّافِعِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَالْأَمْرُ يَقْتَضِي الْوُجُوبَ، وَإِلَّا فَالِاسْتِحْبَابُ. وَنَهَى عَنْ الْعَجْزِ، وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ»[1]، وَالْعَاجِزُ ضِدُّ الَّذِينَ هُمْ يَنْتَصِرُونَ.

فَالْأَمْرُ بِالصَّبْرِ وَالنَّهْيُ عَنْ الجَزَعِ مَأمورٌ به فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَمْرٍ أُمِرَ بِفِعْلِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَيَحْرِصَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَعِينَ اللهَ وَلَا يَعْجِزُ، وَأَمْرٍ أُصِيبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ فِعْلِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجْزَعَ مِنْهُ. وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ -ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَوْ غَيْرُهُ-: الْأَمورُ أَمْرَانِ: أَمْرٌ فِيهِ حِيلَةٌ، فَلَا تَعجِزْ عَنْهُ، وَأَمْرٌ لَا حِيلَةَ فِيهِ، فَلَا تَجْزَعْ مِنْهُ، وَهَذَا فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ؛ لَكِنْ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي فِيهِ حِيلَةٌ هُوَ مَا أَمَرَه اللهُ بِهِ، وَأَحَبَّهُ لَهُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْهُ، إِلَّا بِمَا فِيهِ حِيلَةٌ لَهُ؛ إِذْ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَقَدْ أَمَرَهُ بِكُلِّ خَيْرٍ فِيهِ لَهُ حِيلَةٌ، وَمَا لَا حِيلَةَ له فِيهِ هُوَ مَا أُصِيبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ فِعْلِهِ. وَاسْمُ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ يَتَنَاوَلُ الْقِسْمَيْنِ؛ فَالْأَفْعَالُ مِثْلُ قَوْله تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧]، وَمِثْلُ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٠٨)، وأبو داود (٣٦٢٧)، والنسائي في الكبرى (٩/ ٢٣٢)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٧٥).

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، وَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:٨١]، إِلَى آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا الجِنْسِ. وَاللهُ أَعْلَمُ[١].

والقسم الثاني: ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء:٧٩]، والآية قبلها.

فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم، والسيئة: المصائب، هذا هو الثاني من القسمين.

وأظن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكره في هذا الموضع، ولعل الناسخ أسقطه والله أعلم.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ مَأْمُورًا أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْقَدَرِ عِنْدَمَا يُؤْمَرُ بِهِ مِنْ الْأَفْعَالِ، وَلَكِنْ عِنْدَ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ المَصَائِبِ الَّتِي لَا حِيلَةَ لَهُ فِي دَفْعِهَا، فَمَا أَصَابَكَ بِفِعْلِ الْآدَمِيِّينَ أَوْ بِغَيْرِ فِعْلِهِمْ فاصْبِرْ عَلَيْهِ وَارْضَ وَسَلِّمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، وَلِهَذَا قَالَ آدَمَ لِمُوسَى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ: «أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَحَجَّ آدَمَ مُوسَى»[٢]؛ لِأَنَّ مُوسَى قَالَ لَهُ: لِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنْ الجَنَّةِ، فَلَامَهُ عَلَى المُصِيبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ بِسَبَبِ فِعْلِهِ،

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٨- ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٧٥١٥)، ومسلم (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

لَا لِأَجْلِ كَوْنِهَا ذَنْبًا، وَأَمَّا كَوْنُهُ لِأَجْلِ الذَّنْبِ كَمَا يَظُنُّهُ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ فَلَيْسَ مُرَادًا بِالحَدِيثِ؛ لِأَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قَدْ تَابَ مِنَ الذَّنْبِ وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ وَلَا يَجُوزُ لَوْمُ التَّائِبِ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ. انتهى[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحِرْصِ عَلَى النَّافِعِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَالْأَمْرُ يَقْتَضِي الْوُجُوبَ، وَإِلَّا فَالِاسْتِحْبَابُ)، الأصل في الأمر أنه للوجوب، وقد يكون الأمر للاستحباب إذا دلت على ذلك قرينة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (لِأَنَّ الْإِنْسَانَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: أَمْرٍ أُمِرَ بِفِعْلِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَيَحْرِصَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَعِينَ اللهَ وَلَا يَعْجِزُ، وَأَمْرٍ أُصِيبَ بِهِ مِنْ غَيْرِ فِعْلِهِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ، وَلَا يَجْزَعَ مِنْهُ)، فيجمع بين الأمرين: الإيمان بالقضاء والقدر مع الصبر على ما يصيبه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ -ابْنُ الْمُقَفَّعِ أَوْ غَيْرُهُ- الْأُمورُ أَمْرَانِ: أَمْرٌ فِيهِ حِيلَةٌ، فَلَا تَعْجِزْ عَنْهُ، وَأَمْرٌ لَا حِيلَةَ فِيهِ فَلَا تَجْزَعْ مِنْهُ)، فلا تعجز عنه، وأمرٌ ليس فيه حيلة فلا تجزع.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَاسْمُ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ يَتَنَاوَلُ الْقِسْمَيْنِ فَالْأَفْعَالُ مِثْلُ قَوْله تَعَالَى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام:١٦٠])، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾: هذا فضل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾، هذا عدل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٨، ١٧٩).

....

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فتضمن هذا الحديث أصولًا عظيمة من أصول الإيمان:

أحدها: أن الله -سبحانه- موصوف بالمحبة، وأنه يحب حقيقة.

الثاني: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي، ويحب المؤمن القوي، وهو وتر، ويحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها: أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض.

ومنها: أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو: بذل الجهد، واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص، كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا، وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه، أو فعل ما ينفعه من غير حرص، فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

ولما كان حرص الإنسان، وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه، أمره أن يستعين بالله؛ ليجتمع له مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]؛ فإن حرصه على ما ينفعه عبادة لله -تعالى-، ولا يتم إلا بمعونته، فأمره أن يعبده، وأن يستعين به.

فالحريص على ما ينفعه، المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل

وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده، ومصدرها منه، ومردها إليه.

فإن فاته ما لم يقدر له، فله حالتان:

عجز، وهو مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى (لو)، ولا فائدة من (لو) ههنا، بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح.

وأمره بالحالة الثانية، وهي النظر إلى القدر، وملاحظته، ولو أنه قدر له، لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له ها هنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإن انتفت، امتنع وجوده.

ولهذا قال: «فإن غلبك أمرٌ، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل»، فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول المطلوب، وحالة فواته.

فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبدًا، بل هو أشد إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر، والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنًا في حالتي حصول المطلوب وعدمه، وبالله تعالى التوفيق[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه العبد أبدًا، بل هو أشد إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر، والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنًا في حالتي حصول المطلوب وعدمه)، ما شاء الله، كلام طيب.

---

(١) انظر: شفاء العليل (١/ ٦١- ٦٢).

فيه مسائل:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ الْآيَتَيْنِ فِي آلَ عِمْرَانَ.

الثَّانِيَةُ: النَّهْيُ الصَّرِيحُ عَنْ قَوْلِ: «لَوْ»، إِذَا أَصَابَكَ شَيْءٌ.

الثَّالِثَةُ: تَعْلِيلُ الْمَسْأَلَةِ بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ.

الرَّابِعَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى الْكَلَامِ الْحَسَنِ.

الْخَامِسَةُ: الْأَمْرُ بِالْحِرْصِ عَلَى مَا يَنْفَعُ مَعَ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ.

السَّادِسَةُ: النَّهْيُ عَنْ ضِدِّ ذَلِكَ وَهُوَ الْعَجْزُ.

بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ

عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِي[(١)].

ش: ش: قوله: (بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ).

قوله: (عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذِي)؛ لأنها -أي: الريح- إنما تهب عن إيجاد الله تعالى، وخلقه لها وأمره؛ لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمسبتها مسبة للفاعل، وهو الله سبحانه كما تقدم في النهي عن سب الدهر، وهذا يشبهه، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه، وبما شرعه لعباده.

فنهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الرياح، فقال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ»، يعني: إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت، فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٢)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٣١)، وأحمد في المسند (٣٥/ ٧٥)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٥١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٢٧).

وقولوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ».

ففي هذا عبودية لله، وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان، الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(بَابُ النَّهْيِ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ)**، هذا من منقصات التوحيد؛ لأن الريح مخلوقة مدبرة بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٧]، والريح تجري بأمر الله بالخير وبالشر، فـ«عاد» أهلكها الله بالريح العقيم؛ ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات:٤٢].

وتكون الريح فيها خير؛ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٧]، يعني: تأتي قبل السحاب، وتسوق السحاب إلى ما أمرها الله به، فينزل السحاب ماءه في الجهة التي أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي تأتي بالخير، وهذه الرياح، وأما الريح -والعياذ بالله-، فهذه عذاب؛ ﴿وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات:٤١، ٤٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ**

مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»)، هذا المشروع عندما ترى الريح أن تدعو الله من خيرها، وتستعيذ بالله من شرها؛ فإنها مخلوقة مدبرة بأمر الله، تأتي بالخير، وتأتي بالشر حسب ما يأمرها الله به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(عَنْ أُبِيِّ بنِ كَعْبٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». صَحَّحَهُ التِّرْمِذي؛ لأنها -أي: الريح- إنما تهب عن إيجاد الله -تعالى- وخلقه لها وأمره؛ لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمسبتها مسبة للفاعل، وهو الله -سبحانه)**، هذا هو السبب في النهي عن سب الريح: أن سبها سبٌّ للذي أوجدها وأرسلها، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي مخلوقة مدبرة تجري بأمر الله؛ تأتي بالخير، وتأتي بالشر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمسبتها مسبة للفاعل، وهو الله -سبحانه- كما تقدم في النهي عن سب الدهر وهذا يشبهه)**، فمسبة الريح تشبه النهي عن سب الدهر، وقد نهى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كلا النوعين، فقال: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ**»، وقال: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**»(١)، يعني: هو الذي خلق الدهر، ويدبره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما تقدم في النهي عن سب الدهر، وهذا يشبهه، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه، وبما شرعه لعباده)**، لا يسب الريح إلا الجاهل

(١) سبق تخريجه (ص١٤٠).

الذي يجهل حكمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى لمخلوقاته، والجهل آفة قاتلة؛ كما جاء في الأثر[(١)].

فعلى المسلم إذا رأى الريح أن يسأل الله من خيرها، ويستعيذ به من شرها؛ فإنها تأتي بالخير، وتأتي بالشر بحسب ما أمرها الله جَلَّوَعَلَا به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فنهى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أهل الإيمان عما يقوله أهل الجهل والجفاء، وأرشدهم إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الرياح، فقال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ»، يعني: إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد وقولوا: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»**)، هكذا يُشرع عندما تأتي الريح، فلا تسب الريح؛ لأنها مأمورة مدبرة من الله سبحانه، ومسبتها مسبة لله جَلَّوَعَلَا، والمشروع إذا رأيت من الريح ما تكره أن تدعو الله، فتقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»، فتدعو الله جَلَّوَعَلَا أن يصرف عنك شرها، وأن يعطيك من خيرها.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (١٠٠، ٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ففي هذا عبودية لله، وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان)**؛ أنه إذا رأى الريح، رأى منها ما يكره، فإنه لا يسبها، وإنما يدعو الله الذي أرسلها أن يعطيه من خيرها، وأن يكفيه شرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(خلافًا لحال أهل الفسوق والعصيان، الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان)**، فلا يسبها إلا من حُرِّم ذوق حقيقة التوحيد، وأما المؤمن فلا يسب الريح؛ فإنها مدبرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ.

الثَّانِيَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى الْكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ.

الثَّالِثَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ، وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**)، في هذا الباب مسائل، من عادة المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا فرغ من الباب وما ورد فيه أنه يذكر الفوائد المستفادة من النصوص المذكورة في الباب، وهذا هو فقه التوحيد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: النَّهْيُ عَنْ سَبِّ الرِّيحِ**)، المسألة الأولى: النهي عن سب الريح، فلا يجوز للمسلم أن يسب الريح؛ لأنها مخلوقة مدبرة مأمورة، فيسأل الله من خيرها، ويستعيذ بالله من شرها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى الْكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ مَا يَكْرَهُ**)، إذا رأى ما يكره من الريح، فإنه يدعو الله الذي أرسلها، وأن يقول: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**»(١)، فتلجأ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعلها رحمة، ولا يجعلها عذابًا.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ**)، إلى أن الريح مأمورة مدبرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي يرسلها، وهو الذي يصرفها، فهي تجري بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمسبتها مسبة للذي خلقها وأوجدها، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّهَا قَدْ تُؤْمَرُ بِخَيْرٍ وَقَدْ تُؤْمَرُ بِشَرٍّ**)، قد تؤمر بالخير والنفع للخلق، وقد تؤمر بالشر؛ كما أهلك الله عادًا بالريح العقيم؛ ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات:٤٢]، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف:٢٥].

٥٧- بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالى:

﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

ش: قوله: (بابُ قَولِ اللهِ تَعَالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ﴾ [آل عمران:١٥٤] الآية). هذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أحد: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡ﴾ [آل عمران:١٥٤]، يعني: أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينجز له مأموله؛ ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾، يعني: لا يغشاهم النعاس من الجزع والقلق والخوف، ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾؛ كما قال تعالى: ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ [الفتح:١٢].

وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة، تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ قَولِ اللهِ تَعَالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤])،

هذا في غزوة أحد، لما أصاب المسلمين ما أصابهم مما يكرهون، فإنه تبين نفاق المنافقين، وقالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤]؛ يعرضون برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي خرج بهم للقاء العدو، وبسبب تفريط من المسلمين سلط الله عليهم العدو، وذلك بسبب منهم من المسلمين أنفسهم، وعدلٌ من الله سبحانه، وتأديب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده المؤمنين، وهو عاقبته خير للمسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة)**، فيختلف الموقف عند المصائب والشدائد، فالمؤمنون تزيدهم المصائب والشدائد إيمانًا بالله وثقة بالله، ومحاسبة لأنفسهم، ويعلمون أن ما أصابهم مما يكرهون إنما هو بسبب ذنوبهم، وبسبب من قِبلهم هم، فيرضون بما قدر الله، ويستدركون أمورهم، وينظمون شؤونهم للمستقبل.

ففي هذه الوقعة التي جرى فيها ما جرى من النكبة على المسلمين، يقولون: إنهم أصابهم النعاس في هذه الموقعة، يقول: «فجعل سيفي يسقط وأرفعه، ويسقط»[1]، يعني: النعاس آمنة، آمن وواثق بوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه سيفرج هذه الشدة بالفرج القريب العادل، وهذه الشدة إنما هي ابتلاء

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٠٦٨، ٤٥٦٢): عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا؛ يَسْقُطُ وَآخُذُهُ، وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ».

وامتحان من الله جَلَّ وَعَلَا؛ ولهذا يقول: «جعل سيفي يسقط وآخذه»، يعني: أخذه النعاس آمنة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكأنه في قعر داره يأخذ السيف ويسقط منه؛ بالنعاس وبالنوم آمن.

وأما أولئك فطار عنهم النعاس والنوم -أهل النفاق-، وظنوا أنها الفيصلة وأنها النهاية، فرقٌ بين من يسقط السيف منه ويأخذه بسبب النعاس؛ لأنه آمن وواثق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبين من طار قلبه من الرعب والخوف، ويقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فيعرِّضون بالرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أعطاه الله الأمر والنهي، فهم يعرضون بالرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هذا بسبب من الرسول، ولا يعتقدون أنه من الله جَلَّ وَعَلَا.

....

ش: عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: «قِيلَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ: قُتِلَ بَنُو الخَزْرَجِ الْيَوْمَ، قَالَ: وَهَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ؟»[1].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: «قِيلَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ: قُتِلَ بَنُو الخَزْرَجِ الْيَوْمَ قَالَ: وَهَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ؟»)، هذا رأس النفاق، ابن أُبَيٍّ هو رأس المنافقين، قال له الأشرار: قُتِل الأوس والخزرج في هذا اليوم، فكان جوابه هذا القول الشنيع: (ليس لنا من الأمر شيء)، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾، رد الله عليه بقوله: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

فالمؤمنون ما زادهم هذا الموقف إلا إيمانًا بالله وثقة بالله، وأن ما أصابهم إنما هو بسبب من قِبل أنفسهم، سببه من قِبل أنفسهم، ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [آل عمران:١٦٥، ١٦٦].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ١٦٧).

وَقَوْلِه تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦].

ش: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِه تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦٥])، هذا من سوء الظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمسلم يحسن الظن بربه، «وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»(١)؛ كما قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالواجب على المسلم إذا أصابه ما يكره أن يحتسب الأجر من الله، ويرضى بما قسم الله له، ويعرف السبب الذي من أجله أصابه ما يكره ويتجنبه، فهذا من حكمة الله فيما يجريه على عباده المؤمنين من النكبات.

وأما أهل النفاق، فإنهم بخلاف ذلك يسيئون الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، ويلقون باللوم على رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من الكفر بالله -نسأل الله العافية- وعدم الاحتساب، فالمؤمن يحتسب ما يصيبه من المكروه عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ أن فيه حكمة إلهية أرادها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذا الذي أصيب، وما أصابه من شيء إلا بسبب من قبله، بسبب ذنوبه؛ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران:١٦٥، ١٦٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٩، ٤٨٧، ٥/ ١٨)، والترمذي (٢٥١٦)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن القيم في الآية الأولى: (فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَأن يُظْهِرَهُ الله عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَبِوَعْدِهِ الصَّادِقِ.

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الحَمْدُ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلِيَسْتَغْفِرْهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَنُّتًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عظيمَة   وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا[(١)]

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ بِقَدَرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَأَن يُظْهِرَهُ الله عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ)، هذا هو ظن السوء -والعياذ بالله-، يفسرون الأحداث بأنها بسبب من قِبلهم هم، ولا ينسبونها إلى الله، وأن الله أجراها حكمة منه، ورحمة بعباده ليمحصهم ويطهرهم، وليذكرهم بالطريق الصحيح، فيرجعون إليه، ويسيرون عليه، ويعتبرون ما جرى موعظة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَهُ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الحَمْدُ، بَلْ زَعَم أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ، فَذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)، هذا هو الصواب والحق فيما يجريه الله من الأحداث التي قد يكون فيها شدة على المسلمين، ويكون فيها تخليص وتمحيص لهم، وفيها تنبيه لهم لأخذ الحيطة والحذر والرجوع إلى الله جَلَّ وَعَلَا، هذه حكم عظيمة.

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٠٥- ٢١١)، وهذا البيت للصحابي الجليل الأسود بن سريع التميمي، المتوفى سنة اثنتين وأربعين، كان يقوله في قصصه، فسرقه الفرزدق، وهو أول من قص في مسجد البصرة. انظر: المعارف (ص٥٥٧)، وانظر ترجمته في: الطبقات الكبرى (٧/ ٤١)، والإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٧٤).

وهناك من قال في هذا اليوم: «لَا نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ»(١)؛ أُعجبوا بقوتهم، وأنهم لن يغلبوا، فالله جَلَّوَعَلَا أخلف ظنونهم؛ ليمحص عباده وليخلصهم، ولينبههم لمستقبلهم، فيأخذوا بالاحتياط، يأخذوا بالحيطة، ويستدركوا الخطأ الذي حصل بطلب الصواب في الأمر، فكم لله من حكمة فيما يجريه على عباده!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ)**، هذا ظن السوء؛ ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح:١٢]، نسأل الله العافية!

فأما المؤمن فإن أصابه خيرٌ، فإنه يحمد الله ويشكره، وإن أصابه غير ذلك، فإنه يعلم أنه ما أصابه إلا بسبب من قِبله، فيتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ ويستخلف، فهو في خير في كلا الحالتين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عظيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا)**، هذا من كلام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مثل هذه الأمور التي يجريها الله على المسلمين؛ إما بسبب من قِبلهم، وإما بأنها تأديب من الله لهم وتمحيص لهم وتخليص لهم، فما يجريه الله على المسلم خير له عاجلًا وأجلًا.

---

(١) أخرجه أبو عوانة في مستخرجه (٤/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٧٣). وانظر: مغازي الواقدي (٣/ ٨٩٠)، والطبقات الكبرى (٢/ ١١٤).

....

ش: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكلام على ما تضمنته وقعة أحد: وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَأَنَّهُ يُسْلِمُهُ لِلْقَتْلِ. وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَاء الله وَقَدَرِهِ، وَلَا حِكْمَةَ لَهُ فِيهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ الله أَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَن يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكلام على ما تضمنته وقعة أحد)، وقعة أحد اسمٌ للوقعة التي حصلت من الكفار على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث غزوه في المدينة، وحطوا رحالهم وجنودهم وأسلحتهم في هذه الوقعة عند جبل أحد، الجبل الواقع شرقي المدينة المنورة، فهذه الغزوة اجتمعت العرب عن بكرة أبيهم، وجاءوا يغزون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ليقضوا عليهم -بزعمهم(١).

وهذه الوقعة من أشد الوقائع على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى المسلمين؛ حيث إن العرب جاءوا عن بكرة أبيهم متوثبين ليقضوا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى دعوته، ولكن الأمر حصل بالعكس، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع الجيوش من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقابل العدو

(١) انظر أخبار غزوة أحد في: سيرة ابن إسحاق (ص٣٢٢)، وسيرة ابن هشام (٢/ ٦٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٠١)، والروض الأنف (٥/ ٤٤٨)، والبداية والنهاية (٥/ ٣٣٧)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ١٨).

عند جبل أحد، الجبل المعروف شرقي المدينة، فحصلت الكائنة، وزعموا أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قُتِل، عند ذلك حصل على أصحابه من الحزن الشيء العظيم، ولكنهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ اجتمعوا في وجه العدو، ووجدوا أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيٌّ يرزق، لم يمسه أي سوء؛ لأن الله حماه منهم، ونصره عليهم، فخاب مسعاهم، والحمد لله.

والله وعد رسوله بالنصر على أعدائه دائمًا وأبدًا في حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبعد موته؛ فإن هذه الدعوة المحمدية لا يقاومها أحدٌ؛ لأنها لنصرة دين الله، والله مع رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيًّا وميتًا، فاندحرت قبائل العرب، وعادوا خائبين، ونصر الله رسوله والمسلمين، ولله الحمد والمنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ**)، فُسِّرَ هذا الأمر الذي هو أمر المشركين نحو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فُسِّر بأن الله لا ينصر رسوله، وأنه يترك العدو يبطشون به وبالمسلمين، ولكن الله خيب ظنهم، ونصر رسوله وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ نصرًا مؤزرًا، وعاد الكفار خائبين مكسورين -ولله الحمد والمنة-؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا تكفل بنصرة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فلن يتغلب عليه أحد ما دام الله جَلَّ وَعَلَا قد تكفل بنصرته ونصرة أصحابه.

وهذا حاصل إلى أن تقوم الساعة، فدعوة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منتصرة على من عاداها، وكم مرَّ في التاريخ من محاولات للقضاء على دعوة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخيب الله أمر المشركين، وكل مرة ينحدرون؛ لأن الله وعد بنصرة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيًّا وميتًا -ولله الحمد والمنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَقَدْ فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَأَنَّهُ يُسْلِمُهُ لِلْقَتْلِ)**، ظن المشركون أن الله لاينصر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاب ظنهم؛ فإن الله نصر رسوله، وهذا النصر مستمر إلى أن تقوم الساعة، فدعوة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منتصرة، ولن يغلبها أحد ما دام الله قد تكفل بنصرها.

وكم حصل من محاولات للمشركين لإطفاء دعوة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخيب الله ظنهم، وفي كل مرة يعودون خائبين؛ سخر الله عليهم ريحًا شديدة قلعت خيامهم، وأتت عليهم في أنفسهم، فبادروا إلى الرحيل، وقد أرسل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لسبر أحوال العدو، فجاء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ متنكرًا، وجلس مع المشركين، ولما جلسوا قال أبو سفيان: ليعرف كل منكم جليسه، فأخذ بيد من بجانبه، قال: من أنت؟ قال: فلان بن فلان، ثم حضر ما أجراه الله على المشركين؛ لأن الله أرسل عليهم ريحًا وملائكة، فقلعت خيامهم، والملائكة أوقعوا الرعب في قلوبهم، فتبادروا إلى رحالهم، وحملوها على مركوبتهم، وعادوا مسرعين خائفين، ونصر الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصرًا مؤزرًا، لا يزال التاريخ يذكره؛ عبرة للمسلمين، وإخافة لأعداء الله إلى يوم القيامة(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَاء الله وَقَدَرِهِ، وَلَا حِكْمَةَ لَهُ فِيهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ الله أَمْرَ**

---

(١) انظر أخبار غزوة الأحزاب في: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٣٢)، والروض الأنف (٦/ ٢٨١)، وتاريخ الإسلام (١/ ١٩٥)، والسيرة النبوية لابن كثير (٣/ ٢١٨).

رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَن يُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي [سُورَةِ الْفَتْحِ]؛ حَيْثُ يَقُولُ سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦])، هذا هو ظن السوء الذي يظنه المشركون والمنافقون دائمًا وأبدًا؛ ابتداءً من وقعة أحد؛ فإن هذا شأنه مستمرٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على أعدائه الذين يريدون إطفاء دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقضاء عليها. وكم حصل على المسلمين من قتال لمحو الدعوة وإزالتها، ولا يزيدها ذلك إلا نصرًا.

في هذه الوقعة حصل من العبر والعظات والبشرى للمسلمين ما هو مستمر -إن شاء الله- إلى يوم القيامة، فهذه الدعوة لا تطفأ أبدًا؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة:٣٢]، فالله مع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع دعوة الرسول، ومع المسلمين إلى أن تقوم الساعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي [سُورَةِ الْفَتْحِ]؛ حَيْثُ يَقُولُ سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦])، هذا شأن الإسلام وشأن أعدائه؛ أن الله ينصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، وينصر دعوته بعد مماته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا أحد ينال من هذه الدعوة إلا أذاقه الله العذاب الشديد في الدنيا، وأعد له العذاب الشديد في الآخرة، فدعوة

الرسول ﷺ لا يمكن طمسها، ولا يمكن التغلب عليها؛ لأن الله تكفل بنصرها؛ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥١، ٥٢].

....

ش: وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ، وَظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ وهو المَنْسُوبَ إِلَى أَهْلِ الجَهْلِ، وَظَنُّ غَيْرِ الحَقِّ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَذَاتِهِ المُبَرَّأَةِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَسُوءٍ، وَخِلَافِ مَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَتَفَرُّدِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَمَا يَلِيقُ بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا يُخْلِفُه سبحانه، وَبِكَلِمَتِهِ الَّتِي سَبَقَتْ لِرُسُلِهِ أَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخْذُلُهُمْ، وَلِجُنْدِهِ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْغَالِبُونَ.

فَمَنْ ظَنَّ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَلَا يُتِمُّ أَمْرَهُ، وَلَا يُؤَيِّدُهُ وَيُؤَيِّدُ حِزْبَهُ، وَيُعْلِيهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِأَعْدَائِهِم، وَيُظْهِرُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ دِينَهُ وَكِتَابَهُ، وَأَنَّهُ يُدِيلُ الشِّرْكَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْبَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا التَّوْحِيدُ وَالحَقُّ اضْمِحْلَالًا لَا يَقُومُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقَدْ ظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَنَسَبَهُ إِلَى خِلَافِ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ، فَإِنَّ حَمْدَهُ وَعِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَإِلَهِيَّتَهُ تَأْبَى ذَلِكَ، وَتَأْبَى أَنْ يُذَلَّ حِزْبُهُ وَجُنْدُهُ، وَأَنْ تَكُونَ النُّصْرَةُ المُسْتَقِرَّةُ وَالظَّفَرُ الدَّائِمُ لِأَعْدَائِهِ المُشْرِكِينَ بِهِ الْعَادِلِينَ بِهِ، فَمَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ، فَمَا عَرَفَهُ، وَلَا عَرَفَ أَسْمَاءَهُ، وَلَا عَرَفَ صِفَاتَهُ وَكَمَالَهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ، وَظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ وهو المَنْسُوبَ إِلَى أَهْلِ الجَهْلِ، وَظَنُّ غَيْرِ الحَقِّ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِأَسْمَاءِ اللهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَذَاتِهِ المُبَرَّأَةِ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَسُوءٍ، وَخِلَافِ مَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَتَفَرُّدِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَمَا يَلِيقُ بِوَعْدِهِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا يُخْلِفُه سبحانه، وَبِكَلِمَتِهِ

الَّتِي سَبَقَتْ لِرُسُلِهِ أَنَّهُ يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَخْذُلُهُمْ، وَلِجُنْدِهِ بِأَنَّهُمْ هُمُ الْغَالِبُونَ)، هذا كله مذكور في القرآن الكريم؛ أن الله سبحانه سينصر رسوله حيًا وميتًا، وينصر دعوته، وينصر المسلمين على أعدائهم، هذا دائمًا وأبدًا.

فإن أصاب المسلمين شيء مما يكرهون، فهو بسبب من قِبل أنفسهم، وأما الله جَلَّوَعَلَا فإنه يصدق في وعده، إذا صدق العبد في دعوته إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذه الدعوة لا تُغلب ولا تُطفأ إلى أن تقوم الساعة، وإن حصل على حملتها شيء، فهو بسبب من قِبل أنفسهم، فيرجعون إلى الله، فيعيد الله لهم النصر والتوفيق والتأييد إلى يوم القيامة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ ظَنَّ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَلَا يُتِمُّ أَمْرَهُ، وَلَا يُؤَيِّدُهُ، وَيُؤَيِّدُ حِزْبَهُ، وَيُعْلِيهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِأَعْدَائِهِم، وَيُظْهِرُهُمْ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ دِينَهُ وَكِتَابَهُ، وَأَنَّهُ يُدِيلُ الشِّرْكَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْبَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا التَّوْحِيدُ وَالحَقُّ اضْمِحْلَالًا لَا يَقُومُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقَدْ ظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ**)، كل من ظن هذه الظنون الفاسدة فإن الله سيخلفها وسينصر رسوله، وينصر دعوته من بعده، وينصر عباده المؤمنين إلى أن تقوم الساعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَنَّهُ يُدِيلُ الشِّرْكَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَالْبَاطِلَ عَلَى الحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقِرَّةً**)، مستقرة، أما الإدالة المؤقتة فقد تحصل بسبب من قِبل المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يَضْمَحِلُّ مَعَهَا التَّوْحِيدُ وَالحَقُّ اضْمِحْلَالًا لَا يَقُومُ بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقَدْ ظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ**)، نعم، قد يصيب المسلمين مصائب، وينتصر

عليهم عدوهم، لكن هذا مؤقت يزول سريعًا، ويعود النصر لدين الله ولرسوله ولكتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكما في الأثر: «**وَلَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**»[1]، يعني: غلبه الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنَّ حَمْدَهُ وَعِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَإِلَهِيَّتَهُ تَأْبَى ذَلِكَ، وَتَأْبَى أَنْ يُذَلَّ حِزْبُهُ وَجُنْدُهُ، وَأَنْ تَكُونَ النُّصْرَةُ الْمُسْتَقِرَّةُ**)، لاحظ! المستقرة، وإلا المؤقتة قد يحصل على المسلمين شيء من الهزيمة، لكنه يزول ويبدله الله بضده، هذه سنة الله جَلَّ وَعَلَا مع من صدق في عبادته وتوحيده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَمَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ فَمَا عَرَفَهُ وَلَا عَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَلَا عَرَفَ صِفَاتَهُ وَكَمَالَهُ**)، هذا ظن السوء الذي ذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو أن يظن أحدٌ أن الله لا ينصر رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وينصر دعوته، وينصر عباده المؤمنين، حتى ولو حصل شيء مما يخالف ذلك، فإنه يزول قريبًا -بإذن الله-، وتعود الحقائق إلى ما كانت.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَمَا عَرَفَهُ، وَلَا عَرَفَ رُبُوبِيَّتَهُ وَعَظَمَتَهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَ مَا قَدَّرَهُ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ وَغَايَةٍ مَحْمُودَةٍ يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْ مَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ حِكْمَةٍ، وَغَايَةٍ مَطْلُوبَةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ فَوَاتِهَا، وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْبَابَ المَكْرُوهَةَ المُفْضِيَةَ إِلَيْهَا لَا يَخْرُجُ تَقْدِيرُهَا عَنِ الحِكْمَةِ؛ لِإِفْضَائِهَا إِلَى مَا يُحِبُّ، وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُوهَةً لَهُ، فَمَا قَدَّرَهَا سُدًى، وَلَا شَاءَهَا عَبَثًا، وَلَا خَلَقَهَا بَاطِلًا، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، فَمَا عَرَفَهُ، وَلَا عَرَفَ رُبُوبِيَّتَهُ وَعَظَمَتَهُ)، ومن ظن أن ما حصل أو يحصل على المسلمين ليس بقضاء الله وقدره، فقد أساء الظن بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ فإنه لا يجري شيء في هذا الكون إلا وهو بقضاء الله وقدره وحكمته دائمًا وأبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْبَابَ المَكْرُوهَةَ المُفْضِيَةَ إِلَيْهَا، لَا يَخْرُجُ تَقْدِيرُهَا عَنِ الحِكْمَةِ، لِإِفْضَائِهَا إِلَى مَا يُحِبُّ، وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُوهَةً لَهُ فَمَا قَدَّرَهَا سُدًى، وَلَا شَاءَهَا عَبَثًا، وَلَا خَلَقَهَا بَاطِلًا، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧])، نسأل الله العافية! هذا ظن السوء.

....

ش: **وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ، وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ من ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللهَ وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَعَرَفَ مُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، فَمَنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَيِسَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَمَنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَيِسَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)**، الواجب على المسلم أن يحسن الظن بربه، والله جَلَّ وَعَلَا كما في الحديث: **«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»**(١)، فيحسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ، ويتوقع حصول الخير، مهما اشتدت الأحوال، فإنه لا ييأس من انفراج الشدائد وزوال المصائب، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يبتلي عباده، ثم ينظر ماذا يعملون؛ فمن أحسن الظن بربه، وتوقع من الله الفرج، فإن الكُرب لاتدوم، يزيلها الله جَلَّ وَعَلَا ويغيرها.

وأما من أيس من رحمة الله، وظن بالله ظن السوء، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ طبيب عباده، فيعاملهم بحسب ما يعتقدونه وما يتوقعونه من قِبل الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فمن ظن خيرًا، جاءه الخير، ومن ظن غير الخير، جاءه ما توقع، وهذا بسب ظنه وأعماله.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥/ ٣٩٨، ٢٨/ ١٨٦)، والدارمي في سننه (٣/ ١٧٩٦)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٠١- ٤٠٢)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٨٧- ٨٨)، من حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالمسلم يحسن الظن بالله دائمًا وأبدًا، ولا ييأس ولا يقنط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا أصابه شيءٌ، فإنه يدعو الله عَزَّوَجَلَّ، ويتقرب إليه، والله قريب مجيب، يزيل الشدائد سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وأما إذا أيس العبد من رحمة الله، وظن أنها لا تنفرج، فإن الله يعامله بحسب ما توقع، والله جَلَّوَعَلَا يقول: **«أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»**.

....

ش: وَمَنْ جَوَّزَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَذِّبَ أَوْلِيَاءَهُ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ، وَيُسَوِّي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ. وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَتْرُكَ خَلْقَهُ سُدًى مُعَطَّلِينَ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، لَا يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَلَا يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، بَلْ يَتْرُكُهُمْ هَمَلًا كَالْأَنْعَامِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَجْمَعَ عَبِيدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي دَارٍ يُجَازِي الْمُحْسِنَ فِيهَا بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَيُبَيِّنَ لِخَلْقِهِ حَقِيقَةَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَيُظْهِرَ لِلْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ صِدْقَهُ وَصِدْقَ رُسُلِهِ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ كَانُوا هُمُ الْكَاذِبِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ جَوَّزَ عَلَيْهِ أَنْ يُعَذِّبَ أَوْلِيَاءَهُ مَعَ إِحْسَانِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ وَيُسَوِّي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)، من ظن أن الله يسوي بين عباده -بين المحسنين والمسيئين-، فيقول: كلهم عبادٌ لله، فهذا ظن بالله ظن السوء، هم كلٌّ عبادٌ لله، لكن من أحسن، أحسن الله إليه، ومن أساء، فإن الله يجزيه بإساءته وسوء ظنه بالله عَزَّوَجَلَّ.

من ظن أن الله جَلَّوَعَلَا يترك عباده، ولا يحسن إلى من أحسن منهم، فإنه ظن بالله ظن السوء؛ لأن الله حكمٌ عدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَتْرُكَ خَلْقَهُ سُدًى مُعَطَّلِينَ عَنِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، لَا يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ، وَلَا يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ، بَلْ يَتْرُكُهُمْ هَمَلًا

كَالْأَنْعَامِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)، بلا شك الله لا يترك عباده ويهملهم، بل هو يراقبهم، ويعاملهم بأعمالهم؛ كما في الأثر: «**يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**»(١).

فعلى المسلم أن يظن بالله ظن الخير، وأن يحسن الظن بالله، وأن يتوقع الفرج من الله، ولا ييأس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَنْ يَجْمَعَ عَبِيدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِمْ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي دَارٍ يُجَازِي الْمُحْسِنَ فِيهَا بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَيُبَيِّنَ لِخَلْقِهِ حَقِيقَةَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَيُظْهِرَ لِلْعَالَمِينَ كُلِّهِمْ صِدْقَهُ وَصِدْقَ رُسُلِهِ، وَأَنَّ أَعْدَاءَهُ كَانُوا هُمُ الْكَاذِبِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)**، من ظن أن الله يترك عباده على ما هم عليه، ولا يحاسب المسيء منهم على إساءته، ويجازي المحسن منهم بإحسانه، فقد ظن بالله ظن السوء.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُضَيِّعُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ الصَّالِحَ الَّذِي عَمِلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ عَلَى امْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَيُبْطِلُهُ عَلَيْهِ بِلَا سَبَبٍ مِنَ الْعَبْدِ، أَوْ أَنَّهُ يُعَاقِبُهُ بِمَا لَا صُنْعَ لَهُ فِيهِ وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ وَلَا قُدْرَةَ وَلَا إِرَادَةَ فِي حُصُولِهِ، بَلْ يُعَاقِبُهُ عَلَى فِعْلِهِ هُوَ سُبْحَانَهُ بِهِ.

أَوْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤَيِّدَ أَعْدَاءَهُ الْكَاذِبِينَ عَلَيْهِ بِالْمُعْجِزَاتِ الَّتِي يُؤَيِّدُ بِهَا أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ، وَيُجْرِيَهَا عَلَى أَيْدِيهِمْ يُضِلُّونَ بِهَا عِبَادَهُ، وَأَنَّهُ يَحْسُنُ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى تَعْذِيبُ مَنْ أَفْنَى عُمْرَهُ فِي طَاعَتِهِ، فَيُخَلِّدُهُ فِي الجَحِيمِ فِي أَسْفَلَ سافِلِينَ، وَيُنَعِّمُ مَنِ اسْتَنْفَدَ عُمُرَهُ فِي عَدَاوَتِهِ وَعَدَاوَةِ رُسُلِهِ وَدِينِهِ، فَيَرْفَعُهُ إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ عِنْدَهُ فِي الحُسْنِ سَوَاءٌ، وَلَا يُعْرَفُ امْتِنَاعُ أَحَدِهِمَا وَوُقُوعُ الْآخَرِ إِلَّا بِخَبَرٍ صَادِقٍ، وَإِلَّا فَالْعَقْلُ لَا يَقْضِي بِقُبْحِ أَحَدِهِمَا وَحُسْنِ الْآخَرِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَا ظَاهِرُهُ بَاطِلٌ وَتَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلٌ، وَتَرَكَ الحَقَّ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ، وَإِنَّمَا رَمَزَ إِلَيْهِ رُمُوزًا بَعِيدَةً، وَأَشَارَ إِلَيْهِ إِشَارَاتٍ مُلْغِزَةً لَمْ يُصَرِّحْ بِهِ، وَصَرَّحَ دَائِمًا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالْبَاطِلِ، وَأَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ أَنْ يُتْعِبُوا أَذْهَانَهُمْ وَقُوَاهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ فِي تَحْرِيفِ كَلَامِهِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَتَأْوِيلِهِ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَيَتَطَلَّبُوا لَهُ وُجُوهَ الِاحْتِمَالَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ، وَالتَّأْوِيلَاتِ الَّتِي هِيَ بِالْأَلْغَازِ وَالْأَحَاجِي أَشْبَهُ مِنْهَا بِالْكَشْفِ وَالْبَيَانِ، وَأَحَالَهُمْ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ لَا عَلَى كِتَابِهِ، بَلْ أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ لَا يَحْمِلُوا كَلَامَهُ

عَلَى مَا يَعْرِفُونَه مِنْ خِطَابِهِمْ وَلُغَتِهِمْ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى أَنْ يُصَرِّحَ لَهُمْ بِالحَقِّ الَّذِي يَنْبَغِي التَّصْرِيحُ بِهِ، وَيُرِيحَهُمْ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُوقِعُهُمْ فِي اعْتِقَادِ الْبَاطِلِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، بَلْ سَلَكَ بِهِمْ خِلَافَ طَرِيقِ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

فَإِنَّهُ إِنْ قَالَ: إِنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الحَقِّ بِاللَّفْظِ الصَّرِيحِ الَّذِي عَبَّرَ بِهِ هُوَ وَسَلَفُهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِقُدْرَتِهِ الْعَجْزَ.

وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ قَادِرٌ وَلَمْ يُبَيِّنْ، وَعَدَلَ عَنِ الْبَيَانِ وَعَنِ التَّصْرِيحِ بِالحَقِّ إِلَى مَا يُوهِمُ؛ بَلْ يُوقِعُ فِي الْبَاطِلِ الْمُحَالِ وَالِاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ، فَقَدْ ظَنَّ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ -سبحانه- ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ هُوَ وَسَلَفُهُ عَبَّرُوا عَنِ الحَقِّ بِصَرِيحِهِ دُونَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّ الْهُدَى وَالحَقَّ فِي كَلَامِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ، وَأَمَّا كَلَامُ اللهِ فَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ ظَاهِرِهِ التَّشْبِيهُ وَالتَّمْثِيلُ وَالضَّلَالُ، وَظَاهِرُ كَلَامِ الْمُتَهَوِّكِينَ وَالحَيَارَى هُوَ الْهُدَى وَالحَقُّ، فَهَذَا مِنْ أَسْوَأِ الظَّنِّ بِاللهِ.

فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَمِنَ الظَّانِّينَ بِهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ قَادِرٌ وَلَمْ يُبَيِّنْ، وَعَدَلَ عَنِ الْبَيَانِ وَعَنِ التَّصْرِيحِ بِالحَقِّ إِلَى مَا يُوهِمُ؛ بَلْ يُوقِعُ فِي الْبَاطِلِ الْمُحَالِ وَالِاعْتِقَادِ الْفَاسِدِ، فَقَدْ ظَنَّ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ -سبحانه- ظَنَّ السَّوْءِ)، هذه كلها ظنون باطلة وفاسدة، فالواجب أن يحسن العبد ظنه بربه عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ هُوَ وَسَلَفُهُ عَبَّرُوا عَنِ الحَقِّ بِصَرِيحِهِ دُونَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنَّ الهُدَى وَالحَقَّ فِي كَلَامِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ، وَأَمَّا كَلَامُ اللهِ فَإِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنْ ظَاهِرِهِ التَّشْبِيهُ وَالتَّمْثِيلُ وَالضَّلَالُ، وَظَاهِرُ كَلَامِ المُتَهَوِّكِينَ وَالحَيَارَى هُوَ الهُدَى وَالحَقُّ، فَهَذَا مِنْ أَسْوَأِ الظَّنِّ بِاللهِ)**، هذا هو -والعياذ بالله- الذي يصوب آراء الناس وعقلياتهم، ويُخطِئ كلام الله وكلام رسوله وأنبيائه -كما يفعله الضلال والصوفية ومن شابههم-، فقد ظن بربه ظن السوء -والعياذ بالله.

....

ش: وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَشَاءُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِيجَادِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ كَانَ مُعَطَّلًا مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ عَنْ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَا يُوصَفُ حِينَئِذٍ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْفِعْلِ، ثُمَّ صَارَ قَادِرًا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَعْلَمُ الْمَوْجُودَاتِ وَلَا عَدَدَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا النُّجُومِ وَلَا بَنِي آدَمَ وَحَرَكَاتِهِمْ وَأَفْعَالَهُمْ، وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْأَعْيَانِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يَشَاءُ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِيجَادِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ)، من وصف ربه بالعجز على أن يُغير ما يقع في الكون وفي الناس، فهؤلاء ظنوا بالله ظن السوء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ كَانَ مُعَطَّلًا مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ عَنْ أَنْ يَفْعَلَ، وَلَا يُوصَفُ حِينَئِذٍ بِالْقُدْرَةِ عَلَى الْفِعْلِ، ثُمَّ صَارَ قَادِرًا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)، هذه كلها أقوال لأهل الضلال، وهي كلها من ظن السوء بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ، وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَعْلَمُ الْمَوْجُودَاتِ، وَلَا عَدَدَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا النُّجُومِ وَلَا بَنِي آدَمَ وَحَرَكَاتِهِمْ وَأَفْعَالَهُمْ، وَلَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْأَعْيَانِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)**، كذلك هذا من ظن السوء بالله.

....

ش: وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ -سبحانه- لَا سَمْعَ لَهُ وَلَا بَصَرَ، وَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا إِرَادَة، وَلَا كَلَامَ يَقُولُ بِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنَ الخَلْقِ، وَلَا يَتكَلَّمُ أَبَدًا، وَلَا قَالَ وَلَا يَقُولُ، وَلَا لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ يَقُومُ بِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ نِسْبَةَ ذَاتِهِ إِلَى عَرْشِهِ كَنِسْبَتِهَا إِلَى أَسْفَلِ سافِلِينَ، وَإِلَى الْأَمْكِنَةِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا، وَأَنَّهُ أَسْفَلُ كَمَا أَنَّهُ أَعْلَى، وأن من قال: سبحان ربي الأسفل كان كمن قال: سبحان ربي الأعلى، فَقَدْ ظَنّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنّ وَأَسْوَأَهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- أَنَّهُ يُحِبُّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَيُحِبُّ الْفَسَادَ كَمَا يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَالْبِرَّ وَالطَّاعَةَ وَالْإِصْلَاحَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ وَلَا يَرْضَى، وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَسْخَطُ، وَلَا يُوَالِي وَلَا يُعَادِي، وَلَا يَقْرُبُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَحَدٌ، وَأَنَّ ذَوَاتَ الشَّيَاطِينِ فِي الْقُرْبِ مِنْ ذَاتِهِ كَذَوَاتِ المَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ وَأَوْلِيَائِهِ المُفْلِحِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُسَوِّي بَيْنَ المُتَضَادَّيْنِ، أَوْ يُفَرِّقُ بَيْنَ المُتَسَاوِيَيْنِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، أَوْ يُحْبِطُ طَاعَاتِ الْعُمُرِ المَدِيدِ الخَالِصَةِ الصَّوَابِ بِكَبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ تَكُونُ بَعْدَهَا، فَيَخْلُدُ فَاعِلُ تِلْكَ الطَّاعَاتِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ بِتِلْكَ الْكَبِيرَةِ، وَيُحْبِطُ بِهَا جَمِيعَ طَاعَاتِهِ، وَيُخَلِّدُهُ فِي الْعَذَابِ كَمَا يُخَلِّدُ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ،

وَاسْتَنْفَدَ سَاعَاتِ عُمُرِهِ فِي مَسَاخِطِهِ وَمُعَادَاةِ رُسُلِهِ وَدِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ -سبحانه- لَا سَمْعَ لَهُ وَلَا بَصَرَ، وَلَا عِلْمَ لَهُ وَلَا إِرَادَة، وَلَا كَلَامَ يَقُولُ بِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنَ الخَلْقِ وَلَا يَتَكَلَّمُ أَبَدًا، وَلَا قَالَ وَلَا يَقُولُ، وَلَا لَهُ أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ يَقُومُ بِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- ظَنَّ السَّوْءِ)، هذه كلها أقوال لأهل الضلال في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنهم أهل ضلال وشبهات، فوقعوا فيها وقعوا فيه، ولو أنهم اتبعوا كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما عليه سلف الأمة وأئمتها، لعرفوا الحق من الباطل والهدى من الضلال، وميزوا بين هذا وهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنًا مِنْ خَلْقِهِ، وَأَنَّ نِسْبَةَ ذَاتِهِ إِلَى عَرْشِهِ كَنِسْبَتِهَا إِلَى أَسْفَلِ سافِلِينَ، وَإِلَى الْأَمْكِنَةِ الَّتِي يُرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا، وَأَنَّهُ أَسْفَلُ كَمَا أَنَّهُ أَعْلَى وأن من قال: سبحان ربي الأسفل كان كمن قال: سبحان ربي الأعلى، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ)، من سوى بين المتناقضات والمتضادات في حق الله جَلَّ وَعَلَا في أفعاله وتصرفاته، فقد ظن بالله ظن السوء؛ ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]؛ كما ذكر الله ذلك عنهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ -سبحانه- أَنَّهُ يُحِبُّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَيُحِبُّ الْفَسَادَ كَمَا يُحِبُّ الْإِيمَانَ وَالْبِرَّ وَالطَّاعَةَ وَالْإِصْلَاحَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)، من ظن أن الله لا يميز بين الطيب والخبيث وبين الضار

والنافع، وبين الحق والباطل، كلها بالنسبة له سواء، فقد ظن بالله ظن السوء، بل أسوأ الظن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ وَلَا يَرْضَى، وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَسْخَطُ، وَلَا يُوَالِي وَلَا يُعَادِي، وَلَا يَقْرُبُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَحَدٌ، وَأَنَّ ذَوَاتَ الشَّيَاطِينِ فِي الْقُرْبِ مِنْ ذَاتِهِ كَذَوَاتِ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُفْلِحِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)**، أنواع كثيرة لأهل الضلال وأهل التخبط والجهل بالله، وكل هذا بسبب أنهم لم يحكموا كتابه وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يفرقوا بين الضار والنافع، والحق والباطل، والهدى والضلال، بل كله عندهم سواء، هذا من عمى البصيرة، ومن وصف الله عَزَّ وَجَلَّ بالظلم، ونفي العلم عنه -سبحانه-، وهذه مسالك باطلة ومناهج منحرفة؛ لأنها مخالفة لما ثبت عن الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالقرآن واضح، والسنة واضحة في بيان الحق والحث عليه والأخذ به، وبيان الباطل والنهي عنه وإبعاد العباد عنه، هذا شيء واضح في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولن تحيط بما وقع فيه هؤلاء بسبب عمى البصيرة والجهل بالله جَلَّ وَعَلَا، وبما يليق به سبحانه وما لا يليق به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُسَوِّي بَيْنَ الْمُتَضَادَّيْنِ، أَوْ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُتَسَاوِيَيْنِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ أَوْ يُحْبِطُ طَاعَاتِ الْعُمُرِ الْمَدِيدِ الْخَالِصَةِ الصَّوَابِ بِكَبِيرَةٍ وَاحِدَةٍ تَكُونُ بَعْدَهَا، فَيَخْلُدُ فَاعِلُ تِلْكَ الطَّاعَاتِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ بِتِلْكَ**

الْكَبِيرَةِ، وَيُحْبِطُ بِهَا جَمِيعَ طَاعَاتِهِ، وَيُخَلِّدُهُ فِي الْعَذَابِ كَمَا يُخَلِّدُ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَاسْتَنْفَدَ سَاعَاتِ عُمُرِهِ فِي مَسَاخِطِهِ وَمُعَادَاةِ رُسُلِهِ وَدِينِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)، أنواع كثيرة ظن السوء في حق الله، وفيما يجريه على عباده، أنواع كثيرة، وإنما هذه أمثلة منها -نسأل الله العافية والسلامة!

والواجب على العبد دائمًا وأبدًا أن يحسن الظن بربه، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[1].

(١) سبق تخريجه (ص٣٥٥).

....

ش: وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ لَهُ وَلَدًا أَوْ شَرِيكًا، أَوْ أَنَّ أَحَدًا يَشْفَعُ عِنْدَهُ بِدُونِ إِذْنِهِ، أَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ وَسَائِطَ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَهُمْ إِلَيْهِ، أَوْ أَنَّهُ نَصَبَ لِعِبَادِهِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ إِلَيْهِ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَيْهِ، وَيَجْعَلُونَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَيَدْعُونَهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَيَخَافُونَهُمْ وَيَرْجُونَهُمْ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَيَدْعُونَهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّهِ، وَيَخَافُونَهُمْ وَيَرْجُونَهُمْ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ)، ففي قوله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤] من ذلك أنه سبحانه جعل بينه وبين خلقه -كما يزعمون- وسائط؛ يرفعون حوائجهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويشفعون عنده، فقد ظن بربه غير الحق ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾؛ فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يجعل بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إلى الله؛ بل إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شرع لهم أن يرفعوا حوائجهم إلى الله مباشرة بدون وسائط، وإنما هذا من ظن غير الحق ومن ظن الجاهلية، والجاهلية خلاف الإسلام.

....

ش: وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ؛ كَمَا يَنَالُهُ بِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ حِكْمَتِهِ، وَخِلَافَ مُوجِبِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَهُوَ مِنْ ظَنِّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعَوِّضْهُ خَيْرًا مِنْهُ أَوْ مَنْ فَعَلَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَغْضَبُ عَلَى عَبْدِهِ وَيُعَاقِبُهُ وَيَحْرِمُهُ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَلَا سَبَبٍ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا بِمُجَرَّدِ الْمَشِيئَةِ وَمَحْضِ الْإِرَادَةِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يَنَالُ مَا عِنْدَهُ بِمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَتِهِ كَمَا يَنَالُهُ بِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ حِكْمَتِهِ)، كذلك من ظن بالله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفة أمره فقد ظن به ظن الجاهلية، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه فإن ذلك هو السبيل إلى نيل المطلوب من الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَوْ مَنْ فَعَلَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ)، كذلك من ظن بالله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنه لا يعوض من ترك شيئًا من أجله، أن يعوضه الله خيرًا منه فإنه قد ظن بالله ظن الجاهلية، وظن السوء ظن الجاهلية.

فإنه سبحانه من ترك شيئًا من أجله، فإنه ينال من الله أحسن مما ترك أو أكثر مما ترك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بِغَيْرِ جُرْمٍ وَلَا سَبَبٍ مِنَ الْعَبْدِ إِلَّا بِمُجَرَّدِ الْمَشِيئَةِ وَمَحْضِ الْإِرَادَةِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ**)، من ظن أنه يحجب عبده مطالبه ولا يعطيه من غير سبب من العبد، وإنما من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه يحجب عباده، ولا يجيبهم لما طلبوا، فقد ظن بالله ظن السوء ظن الجاهلية.

....

ش: وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا صَدَقَهُ فِي الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ، وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ، وَاسْتَعَانَ بِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُخَيِّبُهُ وَلَا يُعْطِيهِ مَا سَأَلَهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُثِيبُهُ إِذَا عَصَاهُ بِمَا يُثِيبُهُ بِهِ إِذَا أَطَاعَهُ، وَسَأَلَهُ ذَلِكَ فِي دُعَائِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ وَخِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَمَا لَا يَفْعَلُهُ.

وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا أَغْضَبَهُ وَأَسْخَطَهُ، وَأَوْضَعَ فِي مَعَاصِيهِ، ثُمَّ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ وَلِيًّا، وَدَعَا مِنْ دُونِهِ مَلَكًا أَوْ بَشَرًا حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، يَرْجُو بِذَلِكَ أَنْ يَنْفَعَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَيُخَلِّصَهُ مِنْ عَذَابِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَذَلِكَ زِيَادَةٌ فِي بُعْدِهِ مِنَ اللهِ وَفِي عَذَابِهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَاسْتَعَانَ بِهِ وَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَنَّهُ يُخَيِّبُهُ وَلَا يُعْطِيهِ مَا سَأَلَهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ)، كذلك من ظن أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يجيب عبده إذا أقبل عليه صادقًا بالدعاء والتقرب إليه، فقد ظن بالله ظن السوء وظن الجاهلية؛ فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أخبر أن من جاءه يمشي جاءه هرولة(١)، ومن دعاه صادقًا مخلصًا، أجابه إلى ما طلب وزاده من

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا =

فضله، فإنه سبحانه قريب مجيب، يعطي العبد ما سأل وأكثر مما سأل؛ فضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَسَأَلَهُ ذَلِكَ فِي دُعَائِهِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ وَحَمْدُهُ وَخِلَافَ مَا هُوَ أَهْلُهُ وَمَا لَا يَفْعَلُهُ**)، كذلك من أنواع الظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، هذه المسألة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَدَعَا مِنْ دُونِهِ مَلَكًا أَوْ بَشَرًا حَيًّا أَوْ مَيِّتًا يَرْجُو بِذَلِكَ أَنْ يَنْفَعَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَيُخَلِّصَهُ مِنْ عَذَابِهِ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ**)، كذلك من سوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ ومن ظن الجاهلية أنه إذا العبد عصى ربه وخالف أمره أنه ينال مغفرة الله ورحمته، فقد ظن بالله ظن السوء وظن الجاهلية؛ فإنه لا يعطي فضله ونعمته إلا لمن أطاعه واتقاه، وتقرب إليه بما شرعه له وحده له من أسباب الإجابة ومن أسباب الفضل من الله جَلَّوَعَلَا.

= **ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**».

....

ش: وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَعْدَاءَهُ تَسْلِيطًا مُسْتَقِرًّا دَائِمًا فِي حَيَاتِهِ وَفِي مَمَاتِهِ، وَابْتَلَاهُ بِهِمْ لَا يُفَارِقُونَهُ، فَلَمَّا مَاتَ، اسْتَبَدُّوا بِالْأَمْرِ دُونَ وَصِيَّةٍ، وَظَلَمُوا أَهْلَ بَيْتِهِ، وَسَلَبُوهُمْ حَقَّهُمْ وَأَذَلُّوهُمْ، وَكَانَتِ الْعِزَّةُ وَالْغَلَبَةُ وَالْقَهْرُ لِأَعْدَائِهِ وَأَعْدَائِهِمْ دَائِمًا مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَلَا ذَنْبٍ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ الحَقِّ، وَهُوَ يَرَى قَهْرَهُمْ لَهُمْ وَغَصْبَهُمْ إِيَّاهُمْ حَقَّهُمْ وَتَبْدِيلَهُمْ دِينَ نَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ وَحِزْبِهِ وَجُنْدِهِ، وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يُدِيلُهُمْ، بَلْ يُدِيلُ أَعْدَاءَهُمْ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، أَوْ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ حَصَلَ هَذَا بِغَيْرِ قُدْرَتِهِ وَلَا مَشِيئَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ المُبَدِّلِينَ لِدِينِهِ مُضَاجِعِيهِ فِي حُفْرَتِهِ، تُسَلِّمُ أُمَّتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ كُلَّ وَقْتٍ -كَمَا تَظُنُّهُ الرَّافِضَةُ-، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ أَقْبَحَ الظَّنِّ وَأَسْوَأَهُ، سَوَاءٌ قَالُوا: إِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُمْ، وَيَجْعَلَ لَهُمُ الدَّوْلَةَ وَالظَّفَرَ، أَوْ أَنَّهُ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى ذَلِكَ، فَهُمْ قَادِحُونَ فِي قُدْرَتِهِ أَوْ فِي حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، وَذَلِكَ مِنْ ظَنِّ السَّوْءِ بِهِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الرَّبَّ الَّذِي فَعَلَ هَذَا بَغِيضٌ إِلَى مَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ غَيْرُ مَحْمُودٍ عِنْدَهُمْ، وَكَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَفْعَلَ خِلَافَ ذَلِكَ، لَكِنْ رَفَوْا هَذَا الظَّنَّ الْفَاسِدَ بِخَرْقٍ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَاسْتَجَارُوا مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ، فَقَالُوا: لَمْ يَكُنْ هَذَا بِمَشِيئَةِ اللهِ، وَلَا لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى دَفْعِهِ وَنَصْرِ أَوْلِيَائِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَفْعَالِ عِبَادِهِ، وَلَا هِيَ دَاخِلَةٌ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، فَظَنُّوا بِهِ ظَنَّ إِخْوَانِهِمُ المَجُوسِ وَالثَّنَوِيَّةِ بِرَبِّهِمْ، وَكُلِّ مُبْطِلٍ وَكَافِرٍ وَمُبْتَدِعٍ مَقْهُورٍ مُسْتَذَلٍّ، فَهُوَ يَظُنُّ بِرَبِّهِ هَذَا الظَّنَّ وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالنَّصْرِ وَالظَّفَرِ وَالْعُلُوِّ مِنْ خُصُومِهِ، فَأَكْثَرُ الخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ

يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ، فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الحَقِّ نَاقِصُ الحَظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَأَكْثَرُ الخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ)، وكذلك إذا ظن بربه أنه يمنعه مما يريد وما يطلب، فإنه ظن بربه ظن السوء ظن الجاهلية؛ فإن من أحسن الظن بالله، وتضرع إليه وأطاعه، زاده خيرًا مما يطلب، وأعطاه أكثر مما يريد؛ تفضلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: فَأَكْثَرُ الخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ، فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الحَقِّ نَاقِصُ الحَظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ، وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دَفَائِنِهَا وَطَوَايَاهَا، رَأَى ذَلِكَ فِيهَا كَامِنًا كُمُونَ النَّارِ فِي الزِّنَادِ، فَاقْدَحْ زِنَادَ مَنْ شِئْتَ، يُنْبِئْكَ شَرَارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ، وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ، لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَتُّبًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ.

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عظيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي وَمَنَعَنِي مَا أَسْتَحِقُّهُ، وَنَفْسُهُ تَشْهَدُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ)، كذلك من مواقف العباد مع ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لا يعطيهم ما يستحقون، وأنه يمنع فضله عنهم، وأنه وأنه، وهذا من سوء الظن بالله ومن ظن الجاهلية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَتُّبًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ)، كل هذا في ابن آدم كامن في نفسه، إذا لم يوفق لمعرفة قدر ربه وفضله وإحسانه وحبه الخير لعباده.

أما الذين يبتعدون عن الله بذنوبهم ومعاصيهم، لو أنهم تابوا إلى الله وأنابوا وتقربوا إلى الله، لوجدوا عنده الخير الكثير الذي لا ينفد.

وكل يعامله الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بحسب ما في نفسه من النية والظن بالله غير الحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ**)، فتش نفسك مع الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: هل أنت مقبل على الله راغب فيما عنده، مصدق بوعده ووعيده، أو أنك تتلوم على الله، وتظن بالله غير الحق ظن الجاهلية، وأنه حرمك فضله وإحسانه من غير سبب من نفسك؟ فتش نفسك: هل أنت سالم؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عظيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

....

ش: فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ، وَلِيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلْيَظُنَّ السَّوءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ وَمَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ الْمُرَكَّبَةِ عَلَى الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، فَهِيَ أَوْلَى بِظَنِّ السَّوءِ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلِ الْعَادِلِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ الْغِنَى التَّامُّ وَالْحَمْدُ التَّامُّ وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَذَاتُهُ لَهَا الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ، وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَهِيَ أَوْلَى بِظَنِّ السَّوءِ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلِ الْعَادِلِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ الْغِنَى التَّامُّ وَالْحَمْدُ التَّامُّ وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ)، فتش نفسك وموقفك مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: هل أنت معترف بذنوبك وتقصيرك في حق الله، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يؤاخذك بكل ما تستحق، أو أنك كامن في نفسك مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لم تقصر في شيء، وهذا أمر يجب التفطن له؛ أن العبد يحاسب نفسه مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكيف كان موقفها مع ربها عَزَّ وَجَلَّ؟

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلْيَظُنَّ السَّوءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ، وَمَنْبَعُ كُلِّ شَرٍّ الْمُرَكَّبَةِ عَلَى الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ)، يلقي العبد الصادق هذه الملامات وهذه المعاتبات على نفسه هو، وينفيها عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن الله جَلَّ وَعَلَا قريب

مجيب، سميع الدعاء، عفو يحب العفو عن عباده؛ ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى:٢٥] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فموقف العبد هو موضع الملامة وموضع الانتقاد، وأما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه قريب من عباده مجيب، من أتاه يمشي، أتاه هرولة؛ فإنه قريب مجيب، يسرع في رحمة عباده وقضاء حوائجهم وتفريج كرباتهم، وهذا شيء مشاهد ومعروف من فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفعل عباده معه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَذَاتُهُ لَهَا الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ، وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَمَصْلَحَةٌ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا حُسْنَى**)، أسماء الله كلها حسنى، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

فعليك أن تتقرب إلى الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته، وأن تتوسل إليه بها، وأن تدعوه بها؛ فإنه قريب مجيب، فتح لك الباب، ويسر لك الأسباب، وحثك على إنقاذ نفسك وانجائها من مواطن العطب والهلاك.

....

ش:

فَـلَا تَـظُـنَّـنَّ بِـرَبِّـكَ ظَـنَّ سَـوْءٍ ... فَـإِنَّ اللهَ أَوْلَـى بِـالْـجَـمِـيـلِ

وَلَا تَـظُـنَّـنَّ بِـنَـفْـسِـكَ قَـطُّ خَـيْـرًا ... وَكَـيْـفَ بِـظَـالِـمٍ جَـانٍ جَـهُـولِ

وَقُـلْ يَـا نَـفْـسُ مَـأْوَى كُـلِّ سُـوءٍ ... أَيُـرْجَـى الْـخَـيْـرُ مِـنْ مَـيْـتٍ بَـخِـيـلِ

وَظُـنَّ بِـنَـفْـسِـكَ الـسُّـوأَى تَـجِـدْهَـا ... كَـذَاكَ وَخَـيْـرُهَـا كَـالْـمُـسْـتَـحِـيـلِ

وَمَـا بِـكَ مِـنْ تُـقًـى فِـيـهَـا وَخَـيْـرٍ ... فَـتِـلْـكَ مَـوَاهِـبُ الـرَّبِّ الْـجَـلِـيـلِ

وَلَـيْـسَ بِـهَـا وَلَا مِـنْـهَـا وَلَـكِـنْ ... مِـنَ الـرَّحْـمَـنِ فَـاشْـكُـرْ لِـلـدَّلِـيـلِ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا تَظُنَّنَّ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا * وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولِ)**، فعليك أن تلقي بالملامة على نفسك، وأن تعرف فضل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليك وإقباله عليك إذا أقبلت عليه، فإنه قريب مجيب، سميع الدعاء، قاضي الحاجات، فارج الكربات، مجيب الدعوات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ * فَإِنَّ اللهَ أَوْلَى بِالجَمِيلِ)**؛ أولى منك بالجميل، فأنت الذي تبتعد عن الله، وتخالف أوامره، ومع هذا ترجو أو تطمع في أن يعطيك الله ما تريد منه، وأنت لا تعطي الله جَلَّ وَعَلَا ما يريده منك من طاعته ومحبته والإقبال عليه، وكل ذلك لحفظ نفسك، أما الله جَلَّ وَعَلَا فإنه غني عنك؛ ﴿إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَا تَظُنَّنَّ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا * وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولِ)، هذه صفاتك مع ربك، فعليك أن تعترف بذلك، وأن تتوب إلى الله مما يحوك فيها من الظنون والهواجس والوساوس، التي يلقيها شياطين الإنسان والجن عليك ليبعدوك عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقُلْ يَا نَفْسُ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ * أَيُرْجَى الخَيْرُ مِنْ مَيْتٍ بَخِيلِ)، وصف نفسك بذلك: أنها ميتة بخيلة، واظنن بربك أنه قريب مجيب وأن فضله واسع وكريم، هذا الذي يجب عليك مع نفسك ومع ربك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَا بِكَ مِنْ تُقًى فِيهَا وَخَيْرٍ * فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الجَلِيلِ)، ما رزقك الله من تقى وحسن ظن بالله وجميل مع الله، فإنه من فضله وإحسانه عليك، وأما نفسك فإنها أمارة بالسوء؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف:٥٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَلَيْسَ بِهَا وَلَا مِنْهَا وَلَكِنْ * مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ)، ما كان فيك من خير، فهو من الله، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، وما بك من سوء وبعد عن الله، فإنه من نفسك، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء:٧٩]؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

....

ش: قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح:٦].

قال ابن جرير في تفسيره: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح:٦]، الظَّانِّينَ بِاللهِ أَنَّهُ لَنْ يَنْصُرَكَ وَأَهْلَ الْإِيمَانِ بِكَ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَلَنْ يُظْهِرَ كَلِمَتَهُ فَيَجْعَلَهَا الْعُلْيَا عَلَى كَلِمَةِ الْكَافِرِينَ بِهِ، وَذَلِكَ كَانَ السُّوءُ مِنْ ظُنُونِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الَّذِينَ ظَنُّوا هَذَا الظَّنَّ دَائِرَةُ السَّوْءِ، يَعْنِي: دَائِرَةَ الْعَذَابِ تَدُورُ عَلَيْهِمْ بِهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يُظْهِرَ كَلِمَتَهُ، فَيَجْعَلَهَا الْعُلْيَا عَلَى كَلِمَةِ الْكَافِرِينَ بِهِ، وَذَلِكَ كَانَ السُّوءُ مِنْ ظُنُونِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ)، الذين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية هذا من ظنونهم بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ أنه لا ينصرهم، أنه لا يرزقهم، أنه لا يتقبل دعاءهم، وهذا من وساوس شياطين الإنس والجن الذين يريدون أن يباعدوا عباد الله عن ربهم وفضله وإحسانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (دَائِرَةُ السَّوْءِ، يَعْنِي: دَائِرَةَ الْعَذَابِ تَدُورُ عَلَيْهِمْ بِهِ)، فهذا نتيجة ظنونهم بالله، سوء ظنهم بالله، ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح:٦].

....

ش: وَاخْتَلَفَتِ الْقُرَّاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ، وَقَرَأَ بَعْضُ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسُّوۡءِ﴾ بِضَمِّ السِّينِ. وَكَانَ الْفَرَّاءُ يَقُولُ: الْفَتْحُ أَفْشَى فِي السِّينِ؛ وَقَلَّمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: دَائِرَةُ السُّوءِ بِضَمِّ السِّينِ، وَالْفَتْحُ فِي السِّينِ أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنَ الضَّمِّ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: هُوَ رَجُلُ سَوْءٍ، بِفَتْحِ السِّينِ؛ وَلَا تَقُولُ: هُوَ رَجُلُ سُوءٍ.

وقوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ يَقُولُ: وَنَالَهُمُ اللهُ بِغَضَبٍ مِنْهُ، ﴿وَلَعَنَهُمۡ﴾ يَقُولُ: وَأَبْعَدَهُمْ فَأَقْصَاهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَ﴾ يَقُولُ: وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦] يَقُولُ: وَسَاءَتْ جَهَنَّمَ مَنْزِلًا يَصِيرُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتُ(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قُرَّاءِ الْكُوفَةِ: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ، وَقَرَأَ بَعْضُ قُرَّاءِ الْبَصْرَةِ: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ بِضَمِّ السِّينِ)، وكلاهما صحيح؛ السَوء والسُوء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَكَانَ الْفَرَّاءُ يَقُولُ: الْفَتْحُ أَفْشَى فِي السِّينِ؛ وَقَلَّمَا تَقُولُ الْعَرَبُ دَائِرَةُ السُّوءِ بِضَمِّ السِّينِ)، الفراء من أئمة اللغة يقول: غالب العرب على «السَوء» بالفتح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَقُولُ: وَسَاءَتْ جَهَنَّمَ مَنْزِلًا يَصِيرُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ، وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتُ)، ظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ٢٤٨- ٢٤٩).

••

ش: وقال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾، أَيْ: يَتَّهِمُونَ اللهَ فِي حُكْمِهِ، وَيَظُنُّونَ بِالرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ أَنْ يُقْتَلُوا وَيَذْهَبُوا بِالْكُلِّيَّةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح:٦] أَيْ: أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ(١)، وذكر في معنى الآية الأخرى نحوًا مما ذكره ابن جرير -رحمهما الله تعالى.

قوله: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي ذكره المصنف في المتن قدمته لاندراجه في كلامه الذي سقته من أوله إلى آخره(٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أَيْ: يَتَّهِمُونَ اللهَ فِي حُكْمِهِ، وَيَظُنُّونَ بِالرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ أَنْ يُقْتَلُوا وَيَذْهَبُوا بِالْكُلِّيَّةِ)، الذين يظنون بالله أنه لا ينصر أولياءه ولا يحميهم من كيد أعدائهم هؤلاء ظنوا بالله ظن السوء، وعليهم دائرة السوء، فما ظنوه واقع بهم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٩).

(٢) انظر: زاد المعاد (٣/ ٢٠٥- ٢١٢).

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلَ عِمْرَانَ.

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْفَتْحِ.

الثَّالِثَةُ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ آلَ عِمْرَانَ**)، وهي: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، تفسيرها: أي: يظنون أنه لا ينصر أولياءه، وأنه يتخلى عنهم وأنهم، وأنهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ الْفَتْحِ**)، وهي: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح:٦]؛ جزاء على ما ظنوه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ ذَلِكَ أَنْوَاعٌ لَا تُحْصَرُ**)، أن هذه المفاسد التي جنوها على أنفسهم بسبب سوء ظنهم بالله عَزَّوَجَلَّ أنها لا تحصر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَعَرَفَ نَفْسَهُ**)، لا يسلم من ذلك إلا من عرف أسماء الله وصفاته الكريمة، وعرف صفات نفسه.

٥٩- بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي القَدَرِ)، أي: من الوعيد الشديد ونحو ذلك.

أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»(١).

وَعَنْ عُمَرَ، مَوْلَى غُفْرَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عَنْ حُذَيْفَةَ- وهو ابن اليمان- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ»(٢).

---

(١) ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة، منهم: ابن عمر، وحذيفة، وجابر، وأنس، وأبو هريرة، وابن عباس، وسهل بن سعد، وعائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. أخرجه أبو داود (٤٦٩١، ٤٦٩٢)، وابن ماجه (٩٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٨٦، ١٢٥)، والبزار في مسنده (٧/ ٣٣٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٤- ١٥١)، وابن المستفاض في القدر (ص١٧٣ - ١٩١)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٦٥)، (٤/ ٢٨١)، والصغير (١/ ٣٦٨)، (٢/ ٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩٢)، وأحمد (٣٨/ ٤٤٣)، والبزار (٧/ ٣٣٨)، والطيالسي (١/ ٣٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٤٢)، وفي القضاء والقدر (١/ ٢٨٢).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ: مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ**)، القدر: هو ما قدره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يجري في هذا الكون، وهو ثابت في الكتاب والسنة وإجماع أهل الحق على أن كل شيء بقضاء وقدر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الذي ينكر القدر هذا يُعجز الله عَزَّ وَجَلَّ في أوامره ونواهيه، وما يجريه الله جَلَّ وَعَلَا على عباده من خير أو شر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**))، هذه أركان الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ، ومنها: أن تؤمن بالقدر خيره وشره، فالذي ينكر القدر هذا لم يتكامل إيمانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي مُنْكِرِي الْقَدَرِ**)، أي: من الوعيد الشديد ونحو ذلك)، فالذي ينكر القدر هذا لم يتكامل إيمانه؛ لأنه أنكر ركنًا من أركان الإيمان بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**عن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ**)، القدرية- كما في هذا الحديث- أنهم مجوس هذه الأمة، والمجوس فرقة كافرة معروفة، فمن أنكر القدر، فإنه يكون من مجوس هذه الأمة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ**)، فلا تشهدوا جنازتهم؛ لأنهم ليسوا مسلمين، بل هم مجوس، والمجوس فرقة كافرة مارقة معروفة في الخلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (عَنْ حُذَيْفَةَ - وهو ابن اليمان - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ»)، فمجوس هذه الأمة هم الذين ينكرون القدر، ويقولون: لا قدر، والأمور لم تُقدر، فهؤلاء كفرة ومجوس كما في هذا الأثر أنهم مجوس هذه الأمة - والعياذ بالله -.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ)، هذه أوصافهم، من مرض منهم فلا تعوده، ومن مات منهم فلا تحضروا جنازته، وهم شيعة المسيح الدجال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ)، حقٌّ على الله أن يلحقهم بالدجال، فإذا خرج الدجال، فإنهم يكونون من أتباعه - والعياذ بالله - وهم شر هذه الأمة كما في الحديث أو في الأثر.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ؛ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ».

ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

ش: قوله: (وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَالذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ...) إلخ حديث ابن عمر، أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ تكلم فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوَفَّقَ الله تعالى لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ. فَقَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بَرَآءٌ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ فِي سبيل الله مَا قَبِلَه اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ. ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٤٤٦)، وابن ماجه (٦٣).

بْنُ الخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا. قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ ثلاثًا- وفي رواية مسلم- فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

ففي هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلًا من أصول الدين وجحده، فيشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥] الآية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ؛ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ»)، هذا وعيد شديد على من أنكر القدر، وبين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا، وهل أحد يستطيع أن ينفق مثل جبل أحد ذهبًا، ما تقبله الله منه حتى يؤمن بالقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بَرَآءٌ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ فِي سبيل الله مَا قَبِلَه اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، هذا أثرٌ عظيم في منكري القدر أنهم ليسوا من المسلمين، لو أنفق مثل أحدٍ ذهبًا، جبل أحد من أكبر الجبال في المدينة، لو أنفق أحدهم ما يوازن جبل أحد ذهبًا، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، فدل على أن من أنكر القدر فهو كافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا أُنَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ)، يعني: يتتبعون العلم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ)، أن الأمر أنف: لم يسبق أن قُدِّر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ)، فدل هذا الحديث على أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، ومن جحد القدر ليس له إيمان ولا دين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ففي هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلًا من أصول الدين وجحده، فيشبه من قال الله فيهم:** ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥] **الآية)**، يشبه الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه، فهؤلاء ليس له دين حتى يؤمنوا بأركان الإيمان كلها، ويؤمنون بأركان الإسلام وأركان الإيمان كلها، فمن لم يؤمن بهذه الأركان، فليس بمسلم وليس بمؤمن؛ لأنه جحد ركنًا من أركان الإيمان.

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ -تعالى- الْقَلَمُ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّارِ»(٣).

ش: قوله: (وَعَنْ عُبَادَةَ) قد تقدم ذكره في باب فضل التوحيد.

وحديثه هذا رواه أبو داود، ورواه الإمام أحمد بكماله قال: حَدَّثَنَا الحَسَنُ ابْنُ سَوَّارٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ زِيَادٍ، قال: حَدَّثَنِي عُبَادَةُ ابْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ المَوْتَ. فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي. فَقَالَ: أَجْلِسُونِي. قَالَ: يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَنْ تَجِد طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٣٧٨).

(٣) أخرجه ابن وهب في القدر (ص١٢١).

خَيرِهِ وَشَرِّهِ. قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ أَعْلَمُ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، فَقَالَ لَه: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَا بُنَيَّ! إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ»(١).

ورواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه، وقال: حسن صحيح غريب(٢).

وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى، وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ وَهْبٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّارِ)، (فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ)، هذا محل الشاهد من الحديث، من لم يؤمن بالقدر أحرقه الله بالنار، ولا يحرق بالنار إلا من هو كافر، فدل على أن من أنكر القدر أنه كافر- والعياذ بالله- الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٣٧٨).
(٢) أخرجه الترمذي (٢١٥٥).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ أَعْلَمُ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ وَشَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ**)، هذا حقيقة الإيمان بالقدر (تَعْلَمُ) يعني: تتقين أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، فهذا دليل على أن الإيمان بالقدر أنه ركنٌ من أركان الإيمان الستة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**يَا بُنَيَّ! إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ**)، هذا دليل على أن من لم يؤمن بالقضاء والقدر، أنه يكن من أهل النار، ودل على أن الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان الستة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال: حسن صحيح غريب**)، يعني: حسن من طريق، وصحيح من طريق آخر، يعني: جاء من طريقين، حسن صحيح.

(**غريب**)، الغريب: هو ما انفرد بروايته واحد، شخص واحد، وهو من أقسام الصحيح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي هذا الحديث ونحوه بيان شمول علم الله تعالى، وإحاطته بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة**)، هذا هو مفاد الحديث: إحاطة علم الله تعالى بما كان وما يكون في هذا الكون، وهو كله داخلٌ في قضاء الله وقدره، لا يخرج من ذلك شيء عن قضاء الله وقدره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما قال تعالى**: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢])، هذا حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر.

....

ش: وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل عن القدر قال: «الْقَدَرُ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ»[(١)]، واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والمعنى: أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء.

ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله -تعالى- فضلوا سواء السبيل.

وقد قال بعض السلف: (ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا)[(٢)].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والنَّاسُ - فِي بَابِ خَلْقِ الرَّبِّ وَأَمْرِهِ وَلِمَ فَعَلَ ذَلِكَ - عَلَى طَرَفَيْنِ وَوَسَطٍ: فَالْقَدَرِيَّةُ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ قَصَدُوا تَعْظِيمَ الرَّبِّ- تعالى- بتَنْزِيهِهُ عَمَّا ظَنُّوهُ قَبِيحًا مِنْ الْأَفْعَالِ وَظُلْمًا؛ فَأَنْكَرُوا عُمُومَ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، بَلْ قَالُوا: يَشَاءُ مَا لَا يَكُونُ وَيَكُونُ مَا لَا يَشَاءُ. ثُمَّ إنَّهُمْ وَضَعُوا لِرَبِّهِمْ شَرِيعَةً فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَحْرُمُ - بِالْقِيَاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ - وَتَكَلَّمُوا فِي التَّقْدير وَالتَّجْوِيزِ بِهَذَا الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ الَّذِي شَبَّهُوا فِيهِ الخَالِقَ بِالمَخْلُوقِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

---

(١) انظر: الإبانة لابن بطة (١/ ١٤١).

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٠٢)، وجامع العلوم والحكم (ص٢٧)، ومجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٩)، وطريق الهجرتين (٢٤٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد قال الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لما سئل عن القدر قال: «الْقَدَرُ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ**)، (**الْقَدَرُ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ**)، الله جَلَّ وَعَلَا قدر كل شيء، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، فما يكون في هذا الكون مما سبق ومما يلحق، فإنه بقضاء الله وقدره.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، استحسن ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا القول من أحمد، فدل على أنه حق، وأنه ثابت في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والمعنى: أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء**)، لا يمنع عن قدرة الله شيء، كل شيء، فإن الله على شيء قدير، الله قادر على كل شيء، هذا هو معنى الإيمان بالقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَالْقَدَرِيَّةُ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ قَصَدُوا تَعْظِيمَ الرَّبِّ- تعالى- بتَنْزِيهِهُ عَمَّا ظَنُّوهُ قَبِيحًا مِنَ الْأَفْعَالِ وَظُلْمًا؛ فَأَنْكَرُوا عُمُومَ قُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ خَالِقًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَلَا أَنَّهُ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، بَلْ قَالُوا: يَشَاءُ مَا لَا يَكُونُ وَيَكُونُ مَا لَا يَشَاءُ**)، وهذا كفرٌ بالله عَزَّ وَجَلَّ جرهم إليه إنكار القدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ثُمَّ إِنَّهُمْ وَضَعُوا لِرَبِّهِمْ شَرِيعَةً فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَحْرُمُ -بِالْقِيَاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ-**)، وضعوا لله شريعة، تقولوا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ما لم يقول، وما لم يشرع، فوقعوا في الكفر من حيث لا يشعرون بسبب جهلهم، وعدم إيمانهم بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ إِنَّهُمْ وَضَعُوا لِرَبِّهِمْ شَرِيعَةً فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَيَحْرُمُ - بِالْقِيَاسِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ -)، وضعوا لله شريعة من عند أنفسهم، قاسوه على أنفسهم- والعياذ بالله- فشبهوا الله بخلقه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَتَكَلَّمُوا فِي التَّقدير وَالتَّجْوِيزِ بِهَذَا الْقِيَاسِ الْفَاسِدِ الَّذِي شَبَّهُوا فِيهِ الخَالِقَ بِالمَخْلُوقِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)، نسأل الله العافية.

وَفِي الْمُسْنَدِ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِي قَالَ: «أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ؛ فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّه يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ؛ فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». **حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ**(١).

ش: قوله: (وَفِي الْمُسْنَدِ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِي)، وهو أبو بسر -بالسين المهملة، وبالباء المضمومة- ويقال أبو بشر - بالشين المعجمة وكسر الباء، وبعضهم صحح الأول، واسمه عبد الله بن فيروز.

ولفظ أبي داود قال: «لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا؛ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.قَالَ: قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ.قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد في المسند (٣٥/ ٤٦٥، ٥١١)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٤)، والحاكم في المستدرك بنحوه (٣/ ٦٢٤).

ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ». وأخرجه ابن ماجه[1].

قوله: (**لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا؛ مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**)، الإيمان بالقضاء والقدر هو أحد أركان الإيمان الستة، الإيمان بالقدر خيره وشره كله من الله، وذلك بأن تؤمن بأن: «مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، كما في الحديث.

فالإيمان بالقضاء والقدر واجب على كل مسلم، وذلك يؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن هذا شيء مفروغ منه، سابقًا فلا تغيير فيه، ولا تبديل منه، فهو واجب على كل مسلم ومسلمة أن يؤمن به، ويصدق به، فإن لم يؤمن بالقضاء والقدر فليس بمؤمن.

قوله: (**لَوْ أَنَّ اللهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ**)، لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم سبحانه وهو غير ظالم لهم؛ لأنهم يخطئون ويذنبون ويسيئون، ولكن رحمة الله واسعة، فمن رحمته أنه لا يعذبهم في ذلك، بل يغفر لهم مغفرته أوسع من غضبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (**وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ**)، ولو رحم الخلق لكانت رحمة الله لهم خيرًا من أعمالهم؛ لأن أعمالهم قليلة بالنسبة لما

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧).

يجب عليهم، ولكن الله يغفر عن الخطأ والزلل، ولا يعاجل سبحانه بالعقوبة، وذلك من رحمته بعباده.

قوله: (وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، يقول حذيفة: «وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ»، مثل جبل أحد، الجبل العظيم الذي حول المدينة، لو انفقت ما يزن أحد من الذهب.

«مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ»، فدل على أن الإيمان بالقدر لابد منه لكل مسلم ومسلمة.

قوله: (وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ)، هذا تفسير الإيمان بالقضاء والقدر: «أن تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».

قوله: (وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا؛ لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ)، لو مت وأنت لا تؤمن بالقضاء والقدر لكنت من أهل النار؛ لأنك فاقد لهذا الواجب العظيم، وهو الإيمان بالقضاء والقدر.

قوله: (قَالَ: فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُوْدٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ)، وافق عبد الله بن زيد فيما قال في مسألة الإيمان بالقضاء والقدر

قوله: (قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ)، هؤلاء الصحابة وافقوا على أن الإيمان بالقضاء والقدر أمرٌ واجب متحتم، فمن لم يؤمن بالقضاء والقدر لأكبه الله في النار.

قوله: (**قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِثْلَ ذَلِكَ**)، قال: أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك.

قوله: (**قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِثْلَ ذَلِكَ**)، كل هؤلاء الصحابة الكرام توافقوا على أن الإيمان بالقضاء والقدر أمرٌ متحتم، وأن من لم يؤمن بالقضاء والقدر لأكبه الله في النار.

وما معنى الإيمان بالقضاء والقدر؟

أن تؤمن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ذلك مكتوب في القضاء والقدر.

....

ش: وقال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَنْ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ رِبْعِي بْنِ خِرَاش، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدَرِ خيره وشره»(١).

وَكَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عن النَّضْرِ بْنِ شُمَيْل، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ مَنْصُورٍ، بِهِ.

وَرَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ عَلِيٍّ، فَذَكَرَهُ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَهْبٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي هَانِئٍ الخَوْلَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبُلِي، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ».

زَادَ ابْنُ وَهْبٍ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»(٢). وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ(٣)(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٥)، وابن ماجه (٨١)، والطيالسي (١/ ١٠٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الترمذي (٢١٥٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٥).

قوله: (**قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ بَعَثَنِي بِالحَقِّ، وَيُؤْمِنُ بِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَيُؤْمِنُ بِالقَدَرِ خيره وشره**)، الإيمان بالقدر خيره وشره ركنٌ من أركان الإيمان التي لا يصح الإيمان إلا بها؟

قوله: (**قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**)، فالقضاء والقدر الإيمان به حتم لازم على كل مسلم.

قوله: (**كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ**)، عرش الله جَلَّ وَعَلَا «عَلَى المَاءِ»، وهو ماء فوق السماوات.

قوله: (**وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ**)، حسنٌ غريب، الحسن: ما كان دون الصحيح، وغريب، الغريب: ما انفرد بروايته شخص واحد.

....

ش: وكل هذه الأحاديث وما في معناها، فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي.

وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار، إن لم يتوبوا.

وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وكل هذه الأحاديث وما في معناها، فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر**)، كل هذه الأحاديث وما جاء في معناها فيها أن من لم يؤمن بالقضاء والقدر لم يكن مؤمنًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم**)، وهذه الأحاديث الصحيحة في الإيمان بالقضاء والقدر حجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم.

المعتزلة، سُمّوا معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسموا معتزلة، اعتزلوا مجلس الحسن؛ لأنه لم يوافقهم على معتقدهم الباطل، وهو الإيمان بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار)**، من مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا ضلال مبين؛ لأن أهل المعاصي يتفاوتون، فمن كانت معصيته تخرجه من الإسلام فهو خالد في النار، ومن كانت معصيته دون ذلك؛ فإما أن يعذبه الله بها، وإما أن يغفرها له، ويتوب عليه، وهذا أقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإن مغفرته سبقت غضبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر، وأعظم المعاصي)**، تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا ضلال مبين، فالمعاصي التي دون الكفر، دون الشرك تحت المشيئة، إن شاء الله غفرها، وإن شاء الله عذب بها بقدرها، ولا يخلد صاحبها في النار كما يعتقدون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر، فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار، إن لم يتوبوا وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا)**، والعياذ بالله، فهم حكموا على أنفسهم بأنهم مخلدون في النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الموحدين في النار)**، عدم تخليد أهل الكبار من الذنوب في النار؛ فالله إما أن يغفر لهم ويتوب عليهم، وإما أن يعذبهم في النار بقدر ذنوبهم، لكنه لا يخلدهم فيها.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: بَيَانُ فَرْضِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ.

الثَّانِيَةُ: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الْإِيمَانِ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الرَّابِعَةُ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ.

الْخَامِسَةُ: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ جَرَى بِالْمَقَادِيرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.

السَّابِعَةُ: بَرَاءَتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ.

الثَّامِنَةُ: عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ الْعُلَمَاءِ.

التَّاسِعَةُ: أَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يُزِيلُ الشُّبْهَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَطْ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فِيهِ مَسَائِلُ)، يعني: في هذا الباب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْأُولَى: بَيَانُ فَرْضِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ)، وأن من لم يؤمن بالقدر أكبه الله في النار.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِيَةُ: بَيَانُ كَيْفِيَّةِ الْإِيمَانِ به)، هو أن تؤمن «أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»، هذا معنى الإيمان بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّالِثَةُ: إِحْبَاطُ عَمَلِ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ)، من لم يؤمن بالقضاء والقدر؛ لقوله: «لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، الإخبار بأن من لم يؤمن بالقضاء والقدر، فإن الله يكبه في النار.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: الإِخْبَارُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَجِدُ طَعْمَ الإِيْمَانِ حَتَّى يُؤْمِنَ بِهِ**)، لا أحد لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن بالقضاء والقدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: ذِكْرُ أَوَّلِ مَا خَلَقَ اللهُ**)، «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اُكْتُبْ. فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[1].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: أَنَّهُ جَرَى بِالمَقَادِيْرِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ**)، أن القلم جرى بكتابة المقادير إلى قيام الساعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: بَرَاءَتُهُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ**)، براءته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن لم يؤمن بالقضاء والقدر، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يتبرأ إلا من الكافر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: عَادَةُ السَّلَفِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ بِسُؤَالِ العُلَمَاءِ**)، أنهم سألوا ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فعادة السلف أنهم يسألون أهل العلم فيما أشكل عليهم، ولا يعتمدون على أفكارهم ولا على أقوال الجهال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: أَنَّ العُلَمَاءَ أَجَابُوْهُ بِمَا يُزِيْلُ شُبْهَتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الكَلَامَ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَطْ**)، أزالوا شبهته بالحديث الثابت عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تزول الشبهات إلا بذلك، إلا بالكتاب والسنة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٩٢).

٦٠ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً». أَخْرَجَاهُ(١).

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ»(٢).

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(٣).

وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»(٤).

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ)، أي: من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه.

وقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العلة وهي المضاهاة بخلق الله؛ لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٣، ٧٥٥٩)، ومسلم (٢١١١).
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).
(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٥) بلفظ مختلف، وأخرجه مسلم (٢١١٠) بنحو هذا اللفظ.
(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).

صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة:٧-٩].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**بَابُ: مَا جَاءَ فِي الْمُصَوِّرِينَ**)، يعني: ما جاء من الوعيد الشديد، وهم الذي يضاهئون لخلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً**»)، هذا حديث عظيم في الوعيد على المصورين الذين يضاهئون خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد عجزهم الله بقوله: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً**»، فالله عجزهم، ووصفهم بأنهم أظلم الظالمين؛ لأنهم يضاهئون خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعني: يحاولون أن يشبهوا خلق الله، أو أن يوجدوا صورة تشبه خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وقد اُستثنى من ذلك من التصوير ما دعت الحاجة، أو الضرورة إليه لضبط الأمن وما أشبه ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**)، «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا**»: هذا وعيد شديد أن المصورين أشد الناس عذابًا يوم القيامة.

فالواجب الحذر من ذلك، والابتعاد عن التصوير إلا ما دعت إليه الضرورة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»)**، وهذا وعيد شديد، قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ»**: هذا وعيد شديد- والعياذ بالله-.

«يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ»، وهذا وعيد شديد في الذين يتخذون التصوير مهنة، ويتخذونه فنًا من الفنون بزعمهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ»)**، **(مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا؛ كُلِّفَ)** يوم القيامة.

(أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ)، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم، ولن يستطيعوا ذلك؛ لأن هذا من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الذي يحيي الأرواح، ويحيي الأموات، وهذا وعيد شديد في حق المصورين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد ذكر النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **العلة وهي المضاهاة بخلق الله)**، العلة التي من أجلها عُذِب المصورون؛ لأنهم يضاهئون بخلق الله، يحاولون أن يوجدوا صورة تشبه خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء، وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة)**، هذا من شأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المصور، وهو الخالق

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا أحد يستطيع وإن حاول أن يوجد صورة تشبه خلق الله، فإنه لن يستطيع أن ينفخ فيها الروح.

جاء الوعيد في أنه يقال له: أحيي ما خلقت يوم القيامة، ولن يستطيع أن يحييها الميت.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**كما قال الله تعالى:** ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾)، فالصورة خلق من خلق الله جَلَّ وَعَلَا، خلق هذه المخلوقات بصورها التي هي عليها، وهذا لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا وعيد شديد في حق المصورين.

قوله: (﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾)، ولن يستطيع أحد أن يقدر على أن يخلق مثل خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾)، ﴿ وَبَدَأَ ﴾ سبحانه ﴿ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ ﴾ ابن آدم، أو آدم وذريته ﴿ مِن طِينٍ ﴾، وهذا من قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التي لا يقدر عليه إلا هو.

قوله: (﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾)، خلق آدم بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وجعل نسل آدم ﴿ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾، يعني: ضعيف، وهو الماء الذي ينزل من الرجل في رحم المرأة، ثم يخلق الله منه هذا المخلوق.

قوله: (﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾)، ﴿ سَوَّىٰهُ ﴾، يعني: كمله، ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ ﴾ جَلَّ وَعَلَا ﴿ مِن رُّوحِهِۦ ﴾: من روح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فصار حيًّا يمشي ويتصرف.

قوله: (﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:٩])، الله هو الذي جعل هذه الصورة بما فيها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾: فجعل فيها السمع، ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: وهي القلوب.

قوله: (﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾)، قليلًا شكركم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي أوجد لكم هذه المخلوقات.

....

ش: فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله -تعالى- من إنسان وبهيمة صار مضاهيًا لخلق الله، فصار ما صوره عذابًا له يوم القيامة، وكُلِف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ، فكان أشد الناس عذابًا؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب.

فإن كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة التي ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بها لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه.

فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكًا له فيما اختص به -تعالى وتقدس- هو أعظم ذنب عُصِي الله تعالى به.

ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى فنجى الله تعالى رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جهل التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد، فما أعظمه من ذنب.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] [النساء:١١٦]. ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج:٣١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان، وبهيمة صار مضاهيًا لخلق الله، فصار ما صوره عذابًا له يوم القيامة، وكُلِف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)**، هذا وعيد شديد على المصورين في أنهم يوم القيامة يعذبون بهذه الصورة التي صوروها في الدنيا، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، ولن يستطيعوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكان أشد الناس عذابًا؛ لأن ذنبه من أكبر الذنوب)**، ذنب المصور من أكبر الذنوب؛ لأنه يحاول أن يضاهي خلق الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإن كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه)**، **(سوى المخلوق)**، يعني: سواه برب العالمين يعني: ساوي بينه وبين الرب، فإذا صور الصورة، فكأنه يحاول أن يفعل فعل الله جَلَّ وَعَلَا الذي صور الصور ونفخ فيه الروح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة التي ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بها لا يستحقه غيره)**، فإذا كان لا يستطيع هذا الإنسان وإن صور الصورة، لا يستطيع أن ينفخ فيها الروح، وأن يجعلها حية متحركة متصرفة، فهذا عجزٌ واضح، فكيف له في أن يتكلف هذا الشيء، ويتعرض لغضب الله، والوعيد الشديد في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين، وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة التي ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه)، إذا كان هذا فيمن صور الصورة، هذا الوعيد فيمن صور الصورة التي تشبه ما خلق الله، فكيف بمن جعل للمخلوق شيئًا من حق الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأشرك به، ودعاه من دون الله، وطلب منه ما لا يُطلب إلا من الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكًا له فيما اختص به -تعالى وتقدس- هو أعظم ذنب عُصِي الله تعالى به)، هذا أعظم ذنب، ذنب المصورين أعظم ذنب؛ لأنهم يضاهئون خلق الله جَلَّ وَعَلَا، ويحاولون أن يجعلوا هذه الصور يجعلوها مضاهية لخلق الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى)، فالله خلق الخلق لعبادته كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فنجى الله تعالى رسله ومن أطاعهم، وأهلك من جهل التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد، فما أعظمه من ذنب)، ما أعظم الشرك من ذنب، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فالمصور عرض نفسه لهذا الوعيد الشديد- والعياذ بالله-.

قوله: (﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨])، إذا كان هذا فيمن مجرد صور صورة هذا العذاب، فكيف بمن جعل المخلوق بمنزلة الخالق، صرف له شيئًا من أنواع العبادة مثل عُباد القبور والأضرحة، يطلبون منهم المدد، يطلبون منهم الإغاثة، ويطلبون منهم تفريج الكربات -والعياذ بالله- وهم أموات لا يقدرون على شيء، ولهذا صار هذا من أعظم الظلم.

قوله: (﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨])، الشرك لا يُغفر إلا بالتوبة، لا يغفره الله إلا لمن تاب منه وتركه خوفًا من الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾: فالشرك لا يُغفر إلا لمن تاب منه قبل المات، تاب إلى الله توبة نصوحة، وأما من استمر على الشرك، فهذا لا نجاة له من عذاب الله يوم القيامة.

قوله: (﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨])، وأما الذنوب التي دون الشرك، فإنها يُرجى أن يغفرها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لأصحابها إذا تابوا إلى الله، وأنابوا إلى الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ [الحج:٣١])، شبه التوحيد بأنه علو وارتفاع، فإذا أشرك العبد بالله سقط من هذا الارتفاع، وتعرض إما

للريح التي تحمله وتلقيه في مكان سحيق، يعني: بعيد، أو أنه يهلك في مهاوي الهلاك- والعياذ بالله-.

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، يعني: سقط، ﴿فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، يعني: بعيد إن سلم من الطير.

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيٌّ: أَلا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»[(١)].

ش: قوله: (وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ)، أي: الْأَسَدِيِّ -حيان بن حصين- قال: «قَالَ لِي عَلِيٌّ». هو أمير المؤمنين على بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

فيه تصريح بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عليًا لذلك.

أمَّا الصور فلمضاهاتها لخلق الله، وأمَّا تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته.

ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحظور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطًّا لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كل شرك محرم محظور.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: «قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً

---

(١) أخرجه مسلم (٩٦٩).

إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»)، أبو الهياج الأسدي قال له علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُوْلُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ **أَلَّا تَدَعَ صُوْرَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا**»، يعني: مرتفعًا «**إِلَّا سَوَّيْتَهُ**»، يعني: ارتفاع القبور أكثر مما يحتاج إليه هذا من الغلو، وهذا يغري الجهال بهذه القبور ويتعلق بأصحابها.

فالقبور لا ترفع أكثر من الحاجة، فكيف بالذين يبنون عليها المشاهد، ويجعلون لها السدنة، ويجعلون لها من الدعايات ما يجعلون -نسأل الله العافية-.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فيه تصريح بأن النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بعث عليًّا لذلك)**، فيه تصريح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عليًّا، أي: أرسله بذلك في أنه لا يدع صورة إلا طمسها، ولا قبرًا مشرفًا، يعني: مرتفعًا إلا سواه، وأزال ارتفاعه؛ لأن هذه من وسائل الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(أمَّا الصور فلمضاهاتها لخلق الله)**، المصور يضاهي خلق الله عَزَّ وَجَلَّ، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيْرَةً**»[(١)].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأمَّا تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها)**، تعلية القبور: رفع القبور هذه فتنة للناس يتعلقون بها إذا رُفِعت، والقبر لا يُرفع أكثر من الحاجة التي يُعرف أنه قبر؛ فيجتنب ولا يداس، وأما

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٣).

أن يُرفع ذلك، أو يُبنى عليه بنية، أو يُجعل له سدنة- والعياذ بالله- فهذا من فعل المشركين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأمَّا تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته)**، صرف الهمم في ذلك، في إزالة هذه القبور المرتفعة، وفي إزالة الصور التي تنصب وتقام، ويعظمها الناس ويتعلقون بها، كل ذلك مما بعث الله رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإزالته، وأوصى به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صحابته كما أوصى عليًا بن أبي طالب وغيره بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحظور)**، لما وقع التساهل في هذه الأمور -في نصب الصور والمغالاة فيها، ورفع القبور والبناء عليها- لما حصل هذا -والعياذ بالله- حصل المحظور وهو الشرك بالله، تعلقت قلوب الناس بها، وصرفوا العبادة لها، وجعلوا لها السدنة الذين يجمعون الأموال من الناس عند هذه القبور ويأكلونها، ويجعلونها مصدرًا لمعيشتهم وأرزاقهم -والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحظور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطًا لرحال العابدين المعظمين لها)**، لما عُظِمت القبور وزُخرفت، وجُعل لها السدنة حصل الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا محظور عظيم من الغلو في القبور والتعلق بها، وجعلها في صور تلفت النظر من البناء عليها وزخرفتها وغير ذلك مما حصل مع القبور، وجر الناس، أو كثيرًا من الناس إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

القبور نعم لا تداس، ولا يوطأ عليها ولا تمتهن، ولكن لا يغلى فيها وتعظم، ويُجعل لها من الدعايات الباطلة مع يصرف الأنظار إليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وصارت محطًا لرحال العابدين المعظمين لها)**، وهذا شيء مشاهد في القبور التي تُركت للجهال يزخرفونها ويعظمونها، ويجعلون لها السدنة، وجني الأموال، هذا من أعمال المشركين، ومن تغيير العقيدة والدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كل شرك محرم محظور)**، كما هو مشاهد وحاصل في البلاد التي عظموا فيها القبور، وجعلوها مزارًا للناس، فتعلقت قلوبهم بها، وصاروا يدعون أصحابها من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

القبور نعم لا تهان ولا تداس، ولا يوطأ عليها، ولكن لا تُعظم أكثر من ذلك، وتصرف الأنظار والنذور الكثيرة لها، هذا مما أوقع الكثير من الناس في الشرك الأكبر.

....

ش: **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن جمع بين سنة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًا للآخر، مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدًا.**

فنهى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها.**

ونهى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن اتخاذها مساجد**(1)**، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله.**

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٣٥، ٣٤٥٣، ٤٤٤٣، ٥٨١٥)، ومسلم (١٩) (٥٢٩) عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: **لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**؛ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. قَالَتْ: فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا». وأخرج مسلم (٥٣٢) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ النَّجْرَانِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي جُنْدَبٌ، قَالَ: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: **إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**».

ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن إيقاد السرج عليها(١)، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها.

ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن تتخذ عيدًا(٢)، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعاتهم للعيد أو أكثر.

وأمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي -فذكر حديث الباب-، وحديث ثُمَامَةَ بْنَ شُفَيٍّ، وهو عند مسلم أيضًا، قَالَ: «كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا»(٣).

وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روى مسلم في

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٣/ ٤٧١) و(٤/ ٣٦٣) و(٥/ ١٢٨، ٢٢٧)، وأبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٢١٨١)، وابن ماجه (١٥٧٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (١٤/ ٤٠٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ٦٠)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**.

(٣) أخرجه مسلم (٩٦٨).

صحيحه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»(١).

ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر: «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُجَصَّصَ القُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا». قال الترمذي: حديث حسن صحيح(٢).

وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره.

ونهى أن يزاد عليها غير ترابها؛ كما روى أبو داود عن جابر أيضًا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ، أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ»(٣). وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار.

قال إبراهيم النخعي: «كَانُوا يَكْرَهُونَ الْآجُرَّ عَلَى قُبُورِهِمْ»(٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن جمع بين سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القبور، وما أمر به ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم، رأى أحدهما مضادًا للآخر، مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدًا**)، ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) بيَّن هذا أوضح بيان للناس في أن الغلو في القبور جر الناس إلى الشرك الأكبر، وعود الجاهلية التي أبطلها الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢٥)، والترمذي (١٠٥٢)، والنسائي في المجتبى (٢٠٢٧) وفي الكبرى (٤/ ٨٦، ٨٧، ٨٨)، وأحمد (٢٣/ ٥٥، ٤٢٧، ٢٣/ ١٧، ٤٢٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٢٦)، والترمذي (١٠٥٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/ ٢٥).

القبور لا تُعظم، ولا يغلى فيها، ولا تهان وتداس، وإنما هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها هو أكمل الهدي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فنهى رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن الصلاة إلى القبور)**، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الصلاة عند القبور؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، وتعظيم القبور التعظيم الذي يؤول على الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهؤلاء يصلون عندها وإليها)**، وهؤلاء المشركون يصلون عند القبور يقصدون هذا؛ لأن القبور تنفعهم، وتصرف عنهم السوء وغير ذلك مما زينه شياطين الإنس والجن لهم.

فالقبور المذهب فيها الوسط في أنها لا تهان ولا تؤذى، ولا تُعظم ويغلى فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهؤلاء يصلون عندها)**، يصلون عند القبور؛ رجاء أن تُقبل صلاتهم، وأن تُغفر ذنوبهم، وهذا وسيلة من وسائل الشرك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وهؤلاء يصلون عندها وإليها)**، يصلون إلى القبور -والعياذ بالله- يستقبلونها ويعظمونها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ونهى** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله)**، وهؤلاء بنوا على القبور مشاهد، وصارت هذه المشاهد مساجد، في الظاهر مساجد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها)**، القبور لا تضاء، وإنما إذا أراد أن يدفنوا الميت في الليل يأتون معهم بسراج على قدر الحاجة ويذهبون به، ولا تضاء المقابر بأن يُجعل عليها أعمدة الكهرباء وما أشبه ذلك؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك الأكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها)**، هؤلاء القبوريون يوقفون الأوقاف على إيقاد السرج على القبور؛ ليضلوا الناس، ويصرفوا أنظارهم إليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن أن تتخذ عيدًا)**، تتخذ عيدًا، يعني: يعتاد المجيء إليها والتردد عليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن أن تتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعاتهم للعيد أو أكثر)**، بل صنف بعضهم مصنفًا سماه «حج المشاهد» -والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأمر** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي -فذكر حديث الباب-، وحديث ثُمَامَةَ بْنَ شُفَيٍّ، وهو عند مسلم أيضًا، قَالَ: «كُنَّا مَعَ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ بِأَرْضِ الرُّومِ بِرُودِسَ، فَتُوُفِّيَ صَاحِبٌ لَنَا، فَأَمَرَ فَضَالَةُ بِقَبْرِهِ فَسُوِّيَ، ثُمَّ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: يَأْمُرُ بِتَسْوِيَتِهَا»)**، تسويتها، يعني: عدم رفعها أكثر من الحاجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب)**، هذا شيء مشاهد فيما عُمِل على القبور في غير هذه البلاد- ولله الحمد- أما هذه البلاد فإن الله صانها وحفظها من الغلو في القبور؛ بسبب دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهى** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن تجصيص القبر والبناء عليه)**، تجصيص القبر بجعل الجص عليه، والبناء عليه، كل هذا من وسائل الغلو في القبور، فالقبور لاتهان، ولا يغلى فيها، وإنما تعمل فيها سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما روى مسلم في صحيحه عن جابر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال: «نَهَى رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ)**، تجصيص القبر هذا من الغلو.

(وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ)، هذا من إهانة القبر، فالاعتدال هو السنة في القبور، فالقبور لا تهان ولا يغلى فيها، وإنما القبور يزال عنها الضرر والأذى الذي يؤذي الأموات، ويفتن الأحياء، يزال هذا عن القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهى عن الكتابة عليها)**، الكتابة على القبور؛ لأن الكتابة على القبور تصرف الأنظار إليها، وأنها تنفع وتضر، فيقبل العوام عليها، فالقبور في الوسط، يعني: لا يغلى فيها ولا تمتهن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر: «نَهَى النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنْ تُجَصَّصَ الْقُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا». قال**

الترمذي: حديث حسن صحيح)، نهى أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها؛ لأن هذا وسيلة إلى الغلو فيها، وصرف الأنظار إليها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره**)، هؤلاء المشركون أو الجهال يكتبون عليها الألواح، ويعظمونها مما يؤول بها إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ونهى أن يزاد عليها غير ترابها**)، القبر يدفن بترابه فقط، ولايزاد عليه تراب أخر بحيث يزيد ارتفاعه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**كما روى أبو داود عن جابر أيضًا أن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**نَهَى أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهِ**»)، أن يجصص القبر: يُجعل عليه الجص، أو يكتب عليه اسمه، كل هذا مما لا يجوز، ويزال إذا وُجِد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**أَوْ يُزَادَ عَلَيْهِ**)، أو يزاد ترابًا غير ترابه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار**)، هؤلاء الغلاة الجهال يجعلون عليه الأحجار والجص ونحو ذلك من البناء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال إبراهيم النخعي: «كَانُوا يَكْرَهُونَ الْآجُرَّ عَلَى قُبُورِهِمْ»**)، كانوا يكرهون جعل الآجر على قبورهم.

....

ش: والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب، مناقضون لما أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محادون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي: ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله؛ ولأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام.

قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر؛ ولأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا». متفق عليه[1]؛ ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها). انتهى[2].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب، مناقضون لما

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٤، ٣٤٥٣، ٤٤٤٣)، ومسلم (٥٣١).

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٩٥-١٩٧).

أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **محادون لما جاء به)**، لا شك أن الغلو في القبور لا سيما قبور الصالحين، أو من يُدعى أنه من الصالحين حصل بسبب ذلك فتنة عظيمة، وجاء الشرك من هذا الطريق من تعظيم القبور.

ولهذا يجب أن تُتبع السنة في شأن القبور؛ فلا تهان وتداس، ولكنها تصان عن الامتهان، ولا يُغلى فيها، ويعتقد فيها أنها تنفع، أو أن أصحابها ينفعون ويضرون، فهذا بابان خطيران: الغلو في قبور الصالحين، وإهانة القبور والمشي عليها والجلوس عليها وامتهانها، كلا طرفي الأمور ذميم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر)**، إذا غلا الناس في القبور وعظموها واعتقدوا فيها، وبنوا عليها المساجد، فهي في الحقيقة مشاهد وليست مساجد؛ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

ولا يُدفن الأموات في المساجد، أو في مكان متصل بالمساجد؛ لأن هذا مدعاة إلى الغلو فيها، ووسيلة على الشرك، فالمساجد يُعمل فيها الوسط، وهو السنة، فلاتُهان وتُداس، ولا يُغلى فيها وتُرفع، ويُبنى عليها وتُعظم أكثر من الواجب، هذا هو السنة الواردة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه)**، الغلو فيها، وإيقاد السرج عليها، ورفعها، وجعل مباني عليها، وجعل السدنة عندها كل هذا مما نهى عنه الإسلام، وحرمه الدين؛ لأنه وسيلة إلى الشرك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال أبو محمد المقدسي: ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله)**، لو أُبيح جعل السرج عليها لم يُلعن من فعلها، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن الذين يسرجون القبور، ويجعلون عليها السدنة، والمصابيح التي تغري الجهال والعوام بالاعتقاد فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة)**، ومن المفاسد التي تنتج عن تعظيم القبور: صرف الأموال في تعظيمها، وتزيينها، والبناء عليها، وإيقاد السرج عليها، فهذا صرف للمال في غير وجهه، وهو يؤول إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام)**، الإفراط في تعظيم القبور، يعني: الزيادة في تعظيم القبور، والغلو فيها يشبه عبادة الأصنام، الأصنام إنما كانت أصنامًا بسبب تعظيمها، والغلو فيها، واعتقاد أنها تنفع وتضر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر؛ ولأن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا». متفق عليه)**، لا يُبنى عليها مساجد، وهي التي يسمونها المشاهد، هذا يؤول إلى الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الناس إذا رأوا هذه المباني وهذه الزخارف، وهذه الإضاءات عليها تعلقت قلوبهم بها، وقالوا: لم يُعمل هذا عندها إلا لأنها تنفع وتضر، فهذا وسيلة إلى الشرك -والعياذ بالله-.

لا مانع أن الذين يأتون بالجنازة في الليل يستصحبون معهم مصباحًا؛ من أجل أن يروا الطريق، ومن أجل أن يروا القبر ويهيئوه؛ ليكون صالحًا

للدفن، ولا يزاد على ذلك، ويذهبون بالسراج معهم، فلا تبقى المقابر مضاءة، ويقال هذا من أجل الدفن في الليل. لا، إذا جاء ناس بالجنازة يأتون معهم بمصباح على قدر الحاجة، ويذهبون به معهم إذا فرغوا من الدفن.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولأن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا». متفق عليه**)، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا باللعنة على اليهود والنصارى بسبب أنهم اتخذوا القبور مساجد، جعلوا كل مسجد فيه قبر، يُعظم المسجد من أجل هذا القبر ويزار، وربما تُجعل عليه الأوقاف، والأموال تُصرف في غضب الله ومعصيته.

فلا يغلى في القبور وتُعظم، ولا تُمتهن القبور وتُداس، وإنما تُعمل فيها سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنة المسلمين دائمًا وأبدًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولأن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ. يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا». متفق عليه**)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى**»، السبب؟

«**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يعني: مصليات يُصلى عندها، وتُبنى عليها المساجد، «**يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها**)، تعظيم القبور بالصلاة عندها وإن الصلاة لله، فلا يُصلى عند القبور؛ لأن هذا يجر الناس إلى الغلو فيها، ويعتقدون أن هؤلاء

الأموات ينفعون ويضرون، ويتعلقون بهم، هكذا جاء الإسلام بسد الوسائل المفضية إلى الشرك والكفر.

فالقبور لا تُهان وتُداس، ولا يُغلى فيها، وإنما تُطبق فيها السنة التي جاء بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء بها الأنبياء من قبله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها)**، ذكر الشيخ في هذا أن تصوير الأموات، ونصب صورهم على قبورهم أن ذلك يجر إلى الشرك الأكبر -والعياذ بالله-.

الشيطان إنما يأتي عن طريق البدع، وعن طريق المحدثات، فيجر الناس شيئًا فشيئًا إلى أن يعلموا بسنة الجاهلية وسنة المشركين في القبور والغلو فيها.

....

ش: وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا، ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه «مناسك حج المشاهد» مضاهاة منه القبور بالبيت الحرام.

ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام.

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز عن حصره.

فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها.

ومنها: اتخاذها أعيادًا.

ومنها: السفر إليها.

ومنها: مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها وسدانتها، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفئ القنديل المعلق عليها.

ومنها: النذر لها ولسدنتها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًّا، ووضعوا لها مناسك)، بلغ الأمر بهؤلاء الغلاة الذين غلوا في

القبور والأموات إلى أن وضعوا لها كتبًا لزيارتها، والدعاء عندها، أو الدعاء بها، كل ذلك من استدراج شياطين الإنس والجن لهم حتى عُبدت القبور، وإقامة الأضرحة في بلاد المسلمين حتى هيئ الله لها من دعاة الحق والهداية من أنكروا هذا، وبينوه للناس، وأزالوا ما قدروا على إزالته مما عُمِل على القبور، فأصبحت القبور على السنة المحمدية من غير غلو وإفراط، ومن غير تفريط وإهانة للقبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًّا، ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه «مناسك حج المشاهد» مضاهاة منه القبور بالبيت الحرام)**، وصل الأمر بهؤلاء الضلال والغلاة في القبور أن صنفوا لها مناسك لزيارتها، والجلوس عندها كما عُمِل لبيت الله -الكعبة المشرفة والمسجد الحرام- مناسك للحجاج؛ يدعون بها في الطواف، ويقرؤونها ويتعلمون ما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نحو القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام)**، من غلا في القبور، وخرج عن السنة في القبور، فقد خرج عما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها أولًا، ويتجاوز به الشيطان إلى أن يعبدها من دون الله، ويعتقد فيها أنها تنفع وتضر كما حصل لكثير ممن استدرجهم شياطين الإنس والجن فعبدوا القبور، ودعوا إلى عبادتها، والغلو فيها، وزعموا أنها تنفع وتضر من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه)**، هذا فرق عظيم بين ما شرعه الله وبينه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شأن القبور، وبين ما ابتدعه هؤلاء، وزينوا للناس الغلو في القبور وتعظيم القبور، حتى تدرج بهم الشيطان إلى أن عبدوها، وجعلوا لها السدنة، وجمعوا عندها الأموال التي يأخذونها من الجهال، فيأكلون أموال الناس بالباطل، ويشركون بالله عَزَّ وَجَلَّ، ويصبحون قدوة سيئة في دين الإسلام.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها)**، من الفتن: تعظيم الموقع- موقع القبور- وأنها يُعمل لها الزخارف والمظاهر الخلابة، ويُجعل لها السدنة، ويجبون منها أموالًا بالباطل- والعياذ بالله- ويتخذونها مجلبة لأكل أموال الناس بالباطل، ومدعاة للشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: اتخاذها أعيادًا)**، اتخذاها أعيادًا، يعني: يُرتب لها الزيارة في وقت معين، وتُنصب حولها دعايات، وتُعمل الأطعمة وغير ذلك؛ لأجل إطعام الزائرين، كل هذا تدرج من الشيطان ببني آدم.

نعم، القبور تُحترم، وتُزار للسلام عليها، والدعاء للأموات من غير غلو فيها، ومن غير اعتقاد فيها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: السفر إليها)**، ومنها السفر لزيارة القبور، لا يجوز السفر لزيارة قبر، حتى قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُسافر من أجل زيارته، ولا غيره من قبور الأنبياء والصالحين، لا يُشرع السفر من أجل زيارة قبر.

وإنما إذا أتيت إلى البلد الذي فيه قبور الصالحين فأنت تزورها للسلام عليهم، والدعاء لهم لا لدعائهم، وإنما للدعاء لهم والسلام عليهم فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها)**، وصل الحال بهم إلى أن أشبهوا عُباد الأصنام الذين يعملون لأصنامهم دعايات، ويقيمون حولها زخارف تغرغر بالجهال والعوام، فيعتقدون فيها، فهؤلاء سلكوا مسلك الضلال في القبور، وخالفوا السنة، وآل بهم الأمر إلى الوقوع في الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، واعتقاد أن هؤلاء الأموات ينفعون ويضرون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتعليق الستور عليها وسدانتها)**، آل بهم الأمر على أن علقوا الستور على القبور، وجعلوا لها سدنة، يأكلون أموال الناس بالباطل، ويأخذون ما يقدمه الزوار من الأموال، فيأخذون دينهم ويأخذون أموالهم -والعياذ بالله- يأخذون دينهم في أنهم أضلوهم، وجعلوهم يعتقدون في هذه القبور أنها تنفع وتضر، ويأخذون أموالهم بغير حق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام)**؛ لأن المسجد الحرام ليس فيها أكل لأموال بالباطل، وإنما فيه الطواف والسعي والصلاة والحج والعمرة، والاعتكاف فيه، هذا المشروع في المسجد الحرام والمسجد النبوي وسائر المساجد عند المسلمين.

وأما عند أهل الضلال فيتخذون القبور لسلب أموال الناس.

وأيضًا: جر الناس إلى الشرك والاعتقاد في الأموات أنهم ينفعون ويضرون إلى غير ذلك -والعياذ بالله- مما يسلبون به دين الناس، ويأكلون أموالهم بالباطل.

ودين الإسلام دين الوسط بين الغلو والجفاء؛ فلا غلو ولا جفاء، وإنما متابعة لسنة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام)**، بلغ بهم الغلو إلى أن رجحوا زيارتها، والجلوس عندها على زيارة المسجد الحرام للحج والعمرة والاعتكاف في المسجد الحرام والمسجد النبوي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد)**، يرون سدانة القبور، يعني: خدمة القبور أفضل من خدمة المساجد التي شرع الله خدمتها، وتهيئتها للمصلين والمعتكفين، فجعلوا المشاهد تضاهي بيوت الله عَزَّ وَجَلَّ، بل ربما تترجح عند الجهال على المساجد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفئ القنديل المعلق عليها)**، الويل، يعني: يتوعدون من يطفئ القناديل التي عليها، ويؤدبون القائم عليها إذا فُعِل ذلك، أو فعل هو ذلك؛ لأن هذا يصرف الأنظار عنها مع أنه هو الحق أنها لا تضاء المقابر، لا تضاء المقابر، ويُجعل فيها مصابيح كهربائية، أو يُجعل فيها محلات للسدانة، بل هي مقابر لا تُهان ولا يُغلى فيها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومنها: النذر لها ولسدنتها)**، وهذا أشد، صرف النذور لها ولسدنتها وهم الذين يقيمون على رعاياتها والدعاية لها، فهذا نذور باطلة

شركية يجب إبطالها، والنذر إنما يكون لله عَزَّوَجَلَّ ولعبادته، قال تعالى في وصف الصالحين المتقين: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان:٧].

فالوفاء بالنذر -نذر الطاعة- أمر مطلوب وعبادة، ونذر الطاعة هو اذلي يكون على وفق سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج:٢٩].

﴿ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ ﴾: نذور الطاعة.

....

ش: **ومن المفاسد: اعتقاد المشركين فيها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك.**

ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله اتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها.

ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**ومن المفاسد: اعتقاد المشركين فيها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك**)، فإن اعتقاد المشركين في القبور اعتقاد واسع وطويل؛ لأنهم يلتمسون منها المدد والنصر على الأعداء، وغير ذلك من اعتقادات الجاهلية.

والأموات مشغولون بأنفسهم وما أمامهم من الحساب والعذاب، فليسوا من الشئون الأحياء بشيء، وإنما هذا عمل زينه لهم الشياطين الإنس والجن ليشغلوهم به عن عبادة الله وحده لا شريك الله.

فالواجب الحذر كل الحذر من الاعتقاد في الموتى والمقبورين أنهم ينفعون أو يضرون كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ

أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨].

فسمى هذا شركًا بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الأموات مشغولون بأنفسهم وما قدموه من الأعمال التي يجازيهم الله عليها في الآخرة، فهم ليسوا من مَنْ اعتقاد فيهم في شيء مما اعتقده بهم أنهم ينفعون أو يضرون، وأن لهم تصرفًا في الكون وما أشبه ذلك من اعتقادات الجاهلية الكافرة الضالة -نسأل الله العافية-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله اتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها)**، هذا من أعظم المفاسد: الوعيد الوارد في حق عباد القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها)**، أعظم المفاسد: ما يُفعل عندها من الشرك الأكبر من الاستغاثة بالأموات، طلب الحوائج منهم وغير ذلك مما لا يملكونه ولا يستطيعونه، وهم مشغولون بأنفسهم وما قدموه.

فعباد القبور يستغيثون بالأموات، ويطلبون منهم المدد، ويطلبون منهم ما لايقدرون عليه، كانوا لا يقدرون عليه في الدنيا، فكيف يقدرون عليه وهم في القبور، موسدون في إلحادهم، مشغولون بما هم فيه من العذاب الأليم -نسأل الله العافية- هذا إذا كانوا رضوا بما يُفعل عند قبورهم.

أما إذا كانوا لم يرضوا بهذا، وهو حال الأموات المسلمين من أهل السنة، فإن الأمر أشد، وما يُفعل عندهم عبث لا يفيدهم شيئًا، وإنما يبعدهم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

....

ش: ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ يكره ما يفعله النصارى عند قبره.

وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرؤون منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفرقان:١٧، ١٨]، وقال الله تعالى للمشركين: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [الفرقان:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة:١١٦] الآية، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤٠، ٤١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم

يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ **يكره ما يفعله النصارى عند قبره)**، فهم إن كانوا على التوحيد والإخلاص لله فهم لا يرضون بما يُفعل عند قبورهم، بل يتألمون جدًّا كما يفعله النصارى عند قبر المسيح عيسى بن مريم الذي قال الله له: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].

ثم بيَّن عَلَيْهِ السَّلَامُ ما قاله لهم: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨].

قوله: (كما أن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ **يكره ما يفعله النصارى عند قبره)** يقصد بذلك القبر المزعوم في فلسطين، وإلا فإن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ، رفعه الله، وذلك في القرآن، ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٥].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرؤون منهم، كما قال تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ

أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفرقان:١٧، ١٨])، يوم القيامة يتبرأ هؤلاء المعبودون من دون الله ممن عبدهم، أحوج ما يكون أولئك العباد للقبور إلى ما ينقذهم من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأن لهم ذلك، هذا إذا كانوا قد رضوا بما يُفعل عند قبورهم.

أما إذا كانوا يكرهونه وينهون عنه في حياتهم كحال المسيح عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإنهم يتبرؤون منهم، ويتبرؤون من عبادتهم، ويرفعون قولهم بالإنكار على هذا العمل في يوم كان عباد القبور بحاجة إلى ما ينصرهم، ومن ينقذهم من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّى لهم ذلك؟!

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الله تعالى للمشركين: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾** [الفرقان:١٩])، يكذب يوم القيامة هؤلاء الذين عُبِدوا من دون الله، يكذبون من عبدهم، ويقولون: نحن لم نأمركم بذلك، ولم نرض به، فيبوء هؤلاء بالخسارة والندامة والحسرة على ما ضيعوه في حياتهم من عبادة القبور، والالتجاء إليها في الشدائد والكربات- نسأل الله العافية-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾** [سبأ:٤٠، ٤١])، إذا سألهم الله يوم القيامة، سأل الله هؤلاء المعبودين: ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾، فينكرون هذا، ويخبرون أن هذا ليس من حقهم، وإنما هو من حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هكذا يقولون يوم القيامة.

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ ﴾ [الفرقان:١٧، ١٨]: أن نقول ما ليس لنا بحق، أو ندعي ما ليس لنا بحق، فيتبرؤون منهم ومن عبادتهم أحوج إلى ما يكونون إلى من ينقذهم وينصرهم يوم القيامة، فيبوؤون بالخسارة الملازمة الدائمة- نسأل الله العافية-.

لو يعقلون في هذه الدنيا هذا المصير يتبرأ من عبادتهم، وهم ينكرون هذا في حياتهم، ينكرون على من غلا فيهم، وطلب منهم ما لا يملكونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤١])، يعبدون الجن الذين أمروهم بهذا.

من الشياطين هم الذين أمروهم بهذا فأطاعوهم، فصار ذلك عبادة لهم من دون الله عَزَّوَجَلَّ، وكفى بذلك حسرة وندامة لهم يوم لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا.

....

ش: ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع.

ومنها: تفضيلها على خير البقاع، وأحبها إلى الله، فإن عباد القبور يقصدونها مع التعظيم، والاحترام، والخشوع ورقة القلب، والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريبًا منه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: إماتة السنن وإحياء البدع)**، من مفاسد عبادة القبور: إماتة السنن، وإحياء البدع؛ لأن المشروع في القبور -قبور الصالحين- أن ندعو لهم، وأن نترحم عليهم، وأن نزور قبورهم زيارة شرعية، نسلم عليهم، وندعو لهم، وإذا دُفِنوا نقوم على قبورهم بعد الدفن، وندعو لهم، ونستغفر لهم، هذا الذي شرعه الله لنا مع قبور الأولياء والصالحين، لا أن نتخذها أوثانًا تعبد من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

ولكن شياطين الإنس والجن أضلوا الناس عن سواء السبيل، وزينوا لهم هذا الشرك الأكبر -والعياذ بالله- وعلقوهم بالقبور، وشغلوهم بذلك عن عبادة الله وحده لا شريك له، فصارت هذه العبادة للقبور وبالًا على من اعتقدها وأمر بها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومنها: تفضيلها على خير البقاع، وأحبها إلى الله، فإن عباد القبور يقصدونها مع التعظيم، والاحترام، والخشوع ورقة القلب،**

والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره، ولا قريبًا منه)، هؤلاء يفعلون عند القبور -والعياذ بالله- من العبادة والتضرع ما لا يفعلونه في المساجد التي هي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، ومحل عبادته سبحانه.

اتخذوا القبور معابد يعبدونها ويستغيثون بها، وينادون الأموات، ونسوا المساجد التي هي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، ومحل دعائه، والاستغاثة به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والتقرب إليه.

دعاة الكفر والضلال شغلوهم عن عبادة الله في المساجد إلى عبادة الله عند القبور، وهذا لا ينفعهم، بل يعود عليهم بالوبال والحسرة والندامة يوم القيامة.

....

ش: ومنها: أن الذي شرعه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارة القبور، إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت.

فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركة منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى أنفسهم، وإلى الميت.

وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نهى الرجال عن زيادة القبور سدًّا للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم، أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولًا وفعلًا.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (ومنها: أن الذي شرعه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارة القبور، إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت)، زيارة القبور الزيارة الشرعية المقصود منها: الدعاء للأموات، والاستغفار لهم، فيعود ذلك بالنفع عليهم وعلى من زارهم.

وأما الذين عكسوه من عباد القبور، فجعلوا المقصود بزيارة القبور سؤال الأموات، والتضرع إليهم، وطلب الحوائج منهم، فهذه زيارة شركية شرعها لهم شياطين الإنس والجن، وهي تضرهم ولا تنفعهم، وسيندمون عليها يوم القيامة.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ ﴾ [الفرقان:١٧، ١٨] هذا إذا كانوا صالحين، كما قاله المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ﴾ [المائدة:١١٦].

إذا سأله الله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ ﴾: مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ ﴿إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٦، ١١٧].

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ [المائدة:١١٩].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤاله حوائجهم، واستنزال البركة منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك، فصاروا مسيئين

إلى أنفسهم، وإلى الميت)، صاروا مسيئين بهذه الزيارة إلى أنفسهم؛ حيث عبدوهم من دون الله، وأساءوا إلى الميت؛ حيث رفعوه فوق منزلته، وطلبوها منه ما لا يطلب إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عند ذلك تبين لهم ضلالهم، وتبين لهم أنهم على شرك أكبر.

ولكن ماذا يفعلون، فات الأوان؛ ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾، يعني: من هؤلاء الذين كنا نعبدهم من دون الله، ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾.

قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٦، ١٦٧]، والعياذ بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكان رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قد نهى الرجال عن زيادة القبور سدًّا للذريعة، فلما تمكن التوحيد في قلوبهم، أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه)**، نهى عن زيارة القبور في الأول يوم أن كان الناس يزرون الزيارة الشركية؛ سدًّا للذريعة، ثم لما زال المحظور أذن لهم بزيارة القبور الزيارة الشرعية التي القصد منها الدعاء للميت، والاستغفار لهم، وتحصيل الأجر والثواب بالزيارة الشرعية للقبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ونهاهم أن يقولوا هجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولًا وفعلًا)**، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ،**

فَزُورُوهَا»، لما تمكن التوحيد وزال الخوف من الشرك عليهم، «**فَزُورُوهَا**»، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»(١).

الزيارة الشرعية للقبور هي التي يعود نفعها على الميت أولًا بالدعاء له، والترحم عليه، وعلى الحي الذي زارهم بتحصيل الأجر والثواب من زيارة إخوانه والدعاء لهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩٨).

....

ش: **وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: قال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»**[1].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال: مر رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالأَثَرِ». رواه أحمد والترمذي وحسنه**[2].

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟**

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وعن ابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال: مر رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالأَثَرِ». رواه أحمد والترمذي وحسنه)**، لما مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قبور المدينة أقبل عليهم بوجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسلم عليهم ودعا لهم، هذه هي الزيارة الشرعية التي ينتفع بها الميت أولًا، وينتفع بها الحي الزائر.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٥٣)، وأحمد (٣٨/ ٨٩، ١٤٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأقبل عليهم بوجهه، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالأَثَر». رواه أحمد والترمذي وحسنه)**، هذا بيان ما يقال عند زيارة القبور، قبور الصالحين، بأن يقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ**»، يسلم عليهم كما يسلم على الأحياء (ورحمة الله وبركاته). «**أَنْتُمْ سَلَفُنَا، وَنَحْنُ بِالأَثَر**»، «**اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ، وَارْحَمْهُمْ، وعافهم واعف عنهم**»... إلى آخر الدعاء، فهذه الزيارة ينتفع بها الزائر وينتفع بها المزور، بخلاف زيارة المشركين للقبور، فإنها تغضب المزور إذا كان رجلًا صالحًا فتضايقه، وأيضًا تعود على الزائر بالضرر والعقوبة العاجلة والآجلة، ويكون عمله هذا سنة باطلة يضل بها الناس.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟)**، لا تجد فيها شيئًا؛ لأن الزائر يقول: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، يسلم عليهم، ثم يدعو لهم، ولا يدعوهم، يدعو لهم بالمغفرة والرحمة.

ويقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ**[1]، **يَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَمِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُمْ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُم**»[2]، هذا ما يقال عند زيارة القبور مما شرعه الله مما يعود بالنفع على الزائر والمزور.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٣) (٩٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٤/ ٤٦٣)، ومسلم (٢٤٩)، والنسائي (١٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، =

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟)**، فإذا رجعت إلى ما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند زيارة القبور، فإنك لا تجد فيها شيئًا مما يقوله ويعتقده هؤلاء المشركون الذين يدعون الأموات، ويتضرعون إليهم، ويطلبون حوائجهم

= أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**»، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**»، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**».

وَأخرجه مسلم (٩٧٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -في حديث لها طويل- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ**».

وَأخرجه أحمد (٣٨/ ٨٩)، ومسلم (٩٧٥)، وابن ماجه (١٥٤٧) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، كَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ**».

وَأخرجه أحمد (٤١/ ٢٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَأْتِي بَعْضَ نِسَائِهِ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَأَتَى الْمَقَابِرَ، ثُمَّ قَالَ: «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا بِكُمْ لَلَاحِقُونَ، اللهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ**».

منهم، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا؛ لأنهم قد ماتوا، وانقطعت أعمالهم، فهم لا يملكون لمن زارهم ضرًا ولا نفعًا، وإنما يتألمون إذا كانوا مسلمين مؤمنين يتألمون من هذه الزيارة في قبورهم.

وهم في قبورهم يتألمون منها؛ لأنهم لا يرضون بها، ولأنهم يؤلمهم الشرك بالله أحياءً وأمواتًا.

....

ش: وما أحسن ما قال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَنْ يُصلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)[1]، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك[2].

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا، ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما أحسن ما قال مالك بن أنس** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **لَنْ يُصلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)**، كلمة الإمام مالك هذه عظيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ جاءت من عالم جليل يقول: (لَنْ يُصلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)، والذي أصلح أولها هو دين الإسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٠) عن مالك ، قال: «كَانَ وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ يَقْعُدُ إِلَيْنَا وَلَا يَقُومُ أَبَدًا حَتَّى يَقُولَ لَنَا: اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهُ»، انظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق لابن عبد الهادي (٢/ ٤٢٣). وأخرج الخطيب البغدادي نحوه من كلام علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في خطبة له، في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٢٦٣)، قال: «إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله»، وعند ابن عساكر من كلام أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٥٦)، قال: «إن هذا الأمر الذي هو أملك بنا، لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله».

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٩٧-٢٠٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وما أحسن ما قال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَنْ يُصلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)، هذه كلمة عظيمة: (لَنْ يُصلِحَ آخِرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا مَا أَصْلَحَ أَوَّلَهَا)، وهو اتباع السنة، اتباع الشرع القويم، ومن ذلك زيارة القبور، فإنها تعود بالنفع على الزائر والمزور، المزور وهو الميت يدعى له، ويستغفر له، ويترحم عليه، والزائر ينال الثواب بإحياء هذه السنة النبوية بزيارة القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم، ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك)، كلما بعد الناس عن سنن الأنبياء -مع الأحياء والأموات- فيستعاض عن ذلك بما هو ضده مما يضر الأحياء ولا ينفع الأموات، بل يؤلم الأموات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا)، في هذا السياق ينقل الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن السلف أنهم كانوا إذا سلموا على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يعني: سلموا على قبره- وأرادوا الدعاء، فإنهم يتوجهون إلى القبلة، ويدعون الله جَلَّ وَعَلَا بما شاءوا، وذلك ابتعادًا عن الابتداع في الدين، وابتعادًا عن التوجه بالدعاء إلى قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه ليس قبلة للدعاء، وإنما هو قبلة للسلام عليه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإذا أراد الدعاء، فإنه يتنحى إلى جهة القبلة ويدعو الله بما شاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة)، الدعاء عبادة، والعبادة

يُستقبل بها القبلة، وهي الكعبة، ولا يُستقبل لا قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا غيره من القبور، وإنما هذا شأن المبتدعة، وشأن القبوريين الذين يدعون الميت، ويستغيثون به، وهذا من أمور الجاهلية لا من الشريعة الإسلامية.

فمن أراد الدعاء بعد السلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يتوجه إلى القبلة، ويتبعد عن القبر، بل ينحاز إلى المسجد، ويدعو الله بما شاء متوجهًا إلى القبلة.

....

ش: وفي الترمذي وغيره: «الدُّعَاءَ هو الْعِبَادَةُ»(١).

فجرد السلف العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، من الدعاء لأصحابها، والاستغفار لهم، والترحم عليهم(٢).

وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». وإسناده جيد ورواته ثقات(٣).

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (وفي الترمذي وغيره: «الدُّعَاءَ هو الْعِبَادَةُ »)، عند الإمام الترمذي صاحب السنن أنه قال: «الدُّعَاءَ هو الْعِبَادَةُ».

«هو الْعِبَادَةُ»، فدل على أن الدعاء ما دام أنه هو العبادة، فإنه تُستقبل له القبلة، ولا يُستقبل القبر.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (فجرد السلف العبادة لله، ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، من الدعاء لأصحابها، والاستغفار لهم،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٢٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٣٠/ ٢٩٨) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ٢٠٠-٢٠١).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٤٢)، وأحمد (١٤/ ٤٠٣)، وابن أبي شيبة (٢/ ٦٠)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٨١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٢).

والترحم عليهم)، هذا ما يُفعل عند القبر بعد السلام عليه أنه يُدعى له، ويُستغفر له، ويُترحم عليه، ولا يُدعى نفس الميت، أو يُستقبل القبر وقت الدعاء، وإنما تُستقبل القبلة، ويبتعد عن القبر، هذا ما عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»)**، **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»**: يعني: لا يُدعى عندها، ولا يُدعى بداخلها؛ فإن هذا شأن القبور، وإنما المسلم يعمر بيته بدعاء الله والاستعانة به، تسبيحه وتعظيمه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»)**، هذا ما ثبت عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»**، يعني: لا تدعون الله فيها، فدل على أن القبور لا يُدعى عندها ولا بها.

وإنما يُدعى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويكون ذلك في بيوته وهي المساجد التي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(«وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»)**، **«وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»**، يعني: تكررون زيارته، وتعتادونه في وقت متقارب، وإنما الشأن مع قبره

ﷺ كسائر القبور، يُسلم عليه عليه الصلاة والسلام وينصرف الزائر، وإذا أراد أن يدعو الله فإنه يدعوه في المسجد، في مسجد الرسول ﷺ متوجهًا إلى القبلة.

قوله رحمه الله: (**«وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**)، يقول ﷺ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ**»، وهذا مما أمر الله جل وعلا به، وبدأ بنفسه، قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد، وهذا ليس له مكان خاص، بل هذا يفعله المسلم في أي مكان حينما يصلي على الرسول ﷺ.

قوله رحمه الله: (**«وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»**)، «**وَصَلُّوا عَلَيَّ**»: ليس خاصًّا عند القبر، قال ﷺ: «**فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**»، يبلغه الله الصلاة والسلام عليه، فيُسر بذلك عليه الصلاة والسلام.

....

ش: قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا». أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحري النافلة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم.

ثم إن في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ما يغضب الله لأجله كل من في قلبه وقار الله، وغيرة على التوحيد، وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميت إيلام.

فمن المفاسد: اتخاذها أعيادًا، والصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية، وقضاء الدين، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا». أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور)، «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، يعني: خالية من ذكر الله، ومن الصلاة النافلة فيها، ومن تلاوة القرآن، اعمروها بذلك، ونوروها بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا». أي: لا تعطلوها عن الصلاة فيها، والدعاء، والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحري النافلة عند القبور)**، أمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تتحرى البيوت بالدعاء، تُعمر بالدعاء، ولا تكون خامدة خاملة لا يُدعى الله فيها، وإنما تُعمر بدعاء الله فيها، وبالصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى تكون مستنيرة بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، والصلاة والسلام على رسول الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأمر بتحري النافلة في البيوت، ونهى عن تحرير النافلة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم)**، أمر أن تُمر البيوت بالدعاء، والصلاة النافلة فيها، أن تُعمر بذلك وتُنور، ولا تُجعل مثل القبور لا يُصلى عندها، ولا تتخذ للدعاء عندها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم إن في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ما يغضب الله لأجله كل من في قلبه وقار الله، وغيرة على التوحيد، وتهجين، وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميت إيلام)**، المبتدعة عكسوا الأمر، فجعلوا الدعاء والصلاة عند القبور مشابهين للمشركين الذين يدعون الأموات، ويستغيثون بهم في الملمات.

فالمسلم يُسلم على القبور، ويدعو للأموات، وإذا أراد الدعاء وأراد الصلاة يذهب إلى المسجد فيدعو الله فيه ويصلي، ويفعل ما يشاء من العبادات المشروعة الطيبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن المفاسد: اتخاذها أعيادًا)**، من المفاسد: اتخاذ القبور أعيادًا يأتون إليها في وقت محدد، ويجدعون عندها، ويفعلون عندها من

المبتدعات ما لم يشرعه الله عَزَّوَجَلَّ مشابهين بذلك فعل النصارى عند قبور أنبيائهم وصالحيهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن المفاسد: اتخاذها أعيادًا، والصلاة إليها)**، من المفاسد التي تُفعل عند القبور: الدعاء عندها، والصلاة إليها وهذا أشد يستقبل القبور في الصلاة، والله جَلَّوَعَلَا شرع استقبال القبلة بالصلاة، وجعل ذلك من شروط صحة الصلاة استقبال القبلة، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والطواف بها)**، والطواف بها وهذا أشد، صارت مضاهية للكعبة المشرف، الطواف إنما يكون بالكعبة المشرفة خاصة التي هي بيت الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتقبيلها)**، تقبيل القبور، وهذه القبور لا تُقبل لا قبر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا غيره، لا تُقبل القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واستلامها)**، واستلامها باليد؛ بأن يمسح بيده على القبر، وهذا لا يُشرع عند القبور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتعفير الخدود على ترابها)**، وهذا أشد، تعفير الخدود على ترابها؛ بأن يمرغ وجهه على القبر، وهذا أمرٌ باطل مبتدع -نسأل الله العافية-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم)**، وهذا أشد، دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم.

الدعاء خاصٌّ بالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يُدعى، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر:٦٠]، فسمى الدعاء عبادة لا تُفعل إلا في بيوت الله، وهي المساجد، ولا يتوجه على القبور بالدعاء، وإنما يتوجه على القبلة هذا الدعاء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية، وقضاء الدين، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات)**، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، يُحَذِّرُ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ مَا صَنَعُوا»(١).

فالمسلمون إنما يتوجهون بالصلاة والدعاء في المساجد التي هي بيوت الله عَزَّوَجَلَّ، وأما القبور -قبور المسلمين- إنما يُسلم عليها، ويُدعى لأصحابها فقط.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم)**، لا فرق في هذا بين الذين يدعون عند القبور ويتضرعون إليها، ويتوجهون بالدعاء للميت، لا فرق بينه وبني عباد الأصنام الذين يدعون أصنامهم من دون الله.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٤٤).

....

ش: فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم، بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورووا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلى إلى القبلتين فتراهم حول القبر ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم، بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج**)، وهذا من البدع المحدثة عند القبور؛ بأن يتوجه إليها بالدعاء، ويحضر البكاء عند زيارتها وغير ذلك.

إنما المشروع عند القبور أن يُسلم على أصحابها، وأن يدعى لهم، لا يُدعون وإنما يُدعى لهم؛ لأنهم بحاجة إلى من يدعو الله لهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس**)، وهذا شأن عباد القبور -نسأل الله العافية-.

القبور -قبور المسلمين- إنما تُزار للسلام على أصحابها والدعاء لهم، فإذا أراد الدعاء، فإنه يذهب إلى المسجد.

كان الصحابة يُسلمون على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى صاحبيه، ثم ينصرفون إلى المسجد ويصلون فيها، ويدعون الله بما شاءوا، ولا يفعلون ذلك عند قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقبري صاحبيه مما يدل على أن هذا من البدع المنكرة، ومما لم يشرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ولا رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم، بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورووا أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج)**، يعني: زادوا في الحج على الحجيج لبيت الله؛ فإن هذه الأمور إنما تُفعل في الحج وعند بيت الله العتيق، الكعبة المشرفة والمسجد الحرام، والمسجد النبوي وسائر المساجد التي هي بيوت الله هي محل الدعاء، وتلاوة القرآن ومحل العبادات، وليست المقابر، لا قبور الأنبياء ولا غيرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فاستغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد)**، استغاثوا بها بلا يبدئ ولا يعيد وهو الميت، الميت لا يبدئ ولا يعيد، فكيف يدعونه مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويستغيثون به، ويفعلون عنده ما لم يشرعه الله ولا رسوله مما هو من المنكرات والمبتدعات مشابهين بذلك فعل النصارى عند قبور أنبيائهم وصالحيهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فاستغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، ونادوا، ولكن من مكان بعيد)**، استغاثوا بمن لا يبدئ ولا يعيد، وهو الميت، نادوه من مكان

بعيد، ونسوا أن ينادوا الله جَلَّ وَعَلَا، وأن يدعوا الله ويتوجهوا بدعائهم على الله القريب المجيب الذي أمر بدعائه الذي قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠].

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي ﴾ [غافر:٦٠]، فدل على أن الدعاء عبادة، وما دام أنه عبادة، فإنه لا يُفعل فيه إلا ما ثبت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يثبت أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا عند القبور، ولا أمر بالدعاء عندها، فكيف بدعائها؟!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين)**، كما يُفعل في المسجد، وهذا من البدع المنكرة، الصلاة عند القبر ممنوعة، لا يُصلى عند القبور.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر، ولا أجر من صلى إلى القبلتين)**، نسأل الله العافية، (من صلى إلى القبلتين)، يعني: بيت المقدس ومساجد المسلمين في البلاد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فتراهم حول القبر ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانًا)**، نسأل الله العافية.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فتراهم حول القبر ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانًا)**، لا شك أن هذا خيبة وخسارة، التوجه لغير الله والدعاء لغير الله، وغير ذلك من أنواع الطاعات التي تُفعل عند القبور كلها من الأمور الباطلة المحرمة المنهي عنها.

....

ش: فلغير الله -بل الشيطان- ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات.

ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل، والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنه لم تعفر كذلك بين يديه في السجود.

ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقد قربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضًا ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًّا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فلغير الله -بل الشيطان- ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات)، نسأل الله العافية.

كل هذا من الأمور الباطلة؛ لأن هذا لم يشرعه الله ولا رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا الأموات يرضون بهذا إذا كانوا من الصالحين فإنهم لا يرضون بهذا.

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»[(١)]، فكيف بغيره؟!

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٣٨).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدى للعالمين)**، يعني: حولوا العبادات التي شرعها الله في المسجد الحرام حولوها إلى القبور، وصاروا يفعلونها عند القبور متوجهين إلى أصحابها، يدعونهم ويتوسلون بهم، ويتقربون إليهم، وهذا إملاء من شياطين الإنس والجن الذين أضلوهم عن سواء السبيل.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم أخذوا في التقبيل، والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام)**، صاروا يفعلون بالقبر من التمسح به، والدعاء عنده ما يُفعل في المسجد الحرام الذي جعله الله ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥].

فهذا هو الذين شرعه الله لعباده، وأمر به، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ [غافر:٦٠]، فسمى الدعاء عبادة، بل هو أخص أنواع العبادة التي توجه بها إلى الله، وفي بيته العتيق.

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ وهي المساجد.

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنه لم تعفر كذلك بين يديه في السجود)**، هذا ما يفعله القبوريون عند قبور

أمواتهم أنهم يعفرون خدودهم بترابها، ويمرغون وجوههم عليها، ويدعون عندها ويبكون بكاء لو كان في المساجد لرحمهم الله به، ولكنهم وجهوه إلى الأموات - والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق)**، يختمون ما يفعلونه عند القبور بتقصير رؤوسهم وحلقها كما يُفعل في الحج إلى بيت الله العتيق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق)**، خلاق النصيب، (استمتعوا بخلاقهم)، يعني: بنصيبهم الذي وجهوه إلى القبور -والعياذ بالله- ﴿كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾ [التوبة:٦٩].

فسنة المشركين واحدة يتوارثونها ويحرصون عليها؛ لأن الشيطان يشجعهم، شياطين الإنس والجن من علماء السوء وعلماء الضلال هم الذين يقادونهم إلى هذه المخازي عند القبور، وينسون بيوت الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن، إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق)**، (واستمتعوا بخلاقهم)، يعني: نصيبهم عند هذا الوثن الذي هو القبر الذي اتخذوه وثنًا، وليس لهم عند الله من خلاق- والعياذ بالله- ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين)**، هكذا حالهم -والعياذ بالله-

حولوا العبادات إلى مبتدعات وإلى توجه بها إلى غير الله فخابوا وخسروا، وتعبوا ولم يربحوا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فلو رأيتهم يهنئ بعضهم بعضًا ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًّا)**، يهنئ بعضهم بعضًا بما فعلوا -والعياذ بالله- عند القبور والأضرحة التي اتخذوها مساجد، ومعابد، وشغلوا أنفسهم بما هو من شقائهم وخيبتهم.

....

ش: فإن رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولا بحجك كل عام.

هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال، ويدور في الخيار، وهذا مبدأ الأصنام في قوم نوح كما تقدم.

وكل من شم أدنى رائحة من العلم، والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحظور، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه، وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه، وتوعده عليه، وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته. اهـ. كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإن رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولا بحجك كل عام)، هكذا يزين لهم شياطين الإنس والجن أن حجهم إلى القبور أفضل من الحج إلى بيت الله العتيق، ويأبى أن يبيعه بأغلى الأثمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذ هي فوق ما يخطر بالبال، ويدور في الخيار، وهذا مبدأ

(١) انظر: إغاثة اللهفان (١/ ١٩٣-١٩٤).

الأصنام في قوم نوح كما تقدم)، قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جاءهم نوح يدعوهم إلى الله، ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٣، ٢٤]، نسأل الله العافية، وهؤلاء كانوا رجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا، ماتوا في عام واحد فحسنوا فحزنوا عليهم، فجاءهم الشيطان فقالوا: ابنوا على قبورهم، فإنها تذكركم بالله عَزَّوَجَلَّ، فبنوا على قبورهم، ومن ذلك الوقت انتشرت عبادة الأوثان وعبادة القبور، هذا أمر حدث في عهد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أنه يحذرهم وينهاهم عن ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكل من شم أدنى رائحة من العلم، والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحظور)**، أعظم الأمور: سد الذريعة التي تفضي إلى هذا المحظور الذي هو التعلق بالقبور والاستغاثة بها، والالتجاء إليها، فهذا أمرٌ جلل أصاب الأمة في دينها، ولكن الحمد لله لا يزال من أهل العلم والدين من يحذر من ذلك، وينهى عنه أشد التحذير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه، وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه، وتوعده عليه)**، صاحب الشرع هو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعلم بما يؤول إليه هذا الفعل عند القبور، حذر منه أشد التحذير، وجاهد في إزالته جهادًا عظيمًا، وهذا كله من إملاء شياطين الإنس والجن الذين يزينون للناس عبادة غير الله، ودعاء غير الله، وتعظيم مشاعرهم والتي بنوها أفضل مما يُتوجه إلى البيت العتيق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته)**، الخير والهدى في اتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي طاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

فالرسول بلغ عن الله، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ترك أمته على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزغ عنها إلا هالك -والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والشر والضلال في معصيته ومخالفته)**، كل الشر والضلال في معصية الرسول، وفي مخالفة الرسول، كل الشرور فيها، فمن رزقه الله الفهم والمعرفة وبصره بالدين، فإنه يقتفي أثر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام والسلف الصالح في هذا الأمر العظيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(انتهى كلام الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ**)**، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي الْمُصَوِّرِينَ.

الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الْعِلَّةِ، وَهُوَ تَرْكُ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ لِقَوْلِهِ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي».

الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِمْ، لِقَوْلِهِ: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً».

الرَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا.

الْخَامِسَةُ: أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا الْمُصَوِّرُ فِي جَهَنَّمَ.

السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ.

السَّابِعَةُ: الْأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: التَّغْلِيظُ الشَّدِيدُ فِي الْمُصَوِّرِينَ**)؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعن المصورين.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى الْعِلَّةِ، وَهُوَ تَرْكُ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ لِقَوْلِهِ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي»**)، ومن آفات التصوير: أن المصور يحاول أن يخلق كخلق الله عَزَّوَجَلَّ الذي انفرد به، فالمصور يحاول ذلك أن يوجد صورة تشبه خلق الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعَجْزِهِمْ، لِقَوْلِهِ: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ شَعِيرَةً»**)، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»، وَأَنَّى لَهُمْ ذَلِكَ!.**

الذرة الصغيرة أو حبة الشعيرة لا يقدرون على أن يخلقوا مثلها؛ لأن الخلق خاص بالله جَلَّ وَعَلَا هو القادر على الخلق والإيجاد، وإنما المصور أن يضاهي خلق الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُمْ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا**)، لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؛ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»(١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْخَامِسَةُ: أَنَّ اللهَ يَخْلُقُ بِعَدَدِ كُلِّ صُورَةٍ نَفْسًا يُعَذَّبُ بِهَا الْمُصَوِّرُ فِي جَهَنَّمَ**)، نسأل الله العافية، يخلق الله بكل صورة نفسًا يعذب بها المصور في نار جهنم، ويقال لهم: «**أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: أَنَّهُ يُكَلَّفُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ**)، يُكلف يوم القيامة، تُحضر الصور كلها التي صورها في الدنيا، فيكلف أن ينفخ في كل واحدة الروح، وليس بنافخ، هذا من شأن الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: الْأَمْرُ بِطَمْسِهَا إِذَا وُجِدَتْ**)؛ لئلا تضل الناس، فهي وسيلة إلى الشرك، وعبادة غير الله جَلَّ وَعَلَا، ولهذا لعن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصورين، وأخبر أنهم أشد الناس عذابًا يوم القيامة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢٣).

٦١- بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ

وَقَولِ اللهِ تَعَالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة:٨٩].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ).

أي: من النهي عنه والوعيد.

وَقَولِ اللهِ تَعَالى: ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة:٨٩].

قال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير(١).

وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا.

وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا(٢).

والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ)، يعني: ماجاء من النهي عن كثرة الحلف؛ لأن هذا يدل على التهاون في الحلف، وهو من علامات المنافقين، قال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة:١٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣١)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٩٢).

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١١٩٥)، وتفسير البغوي (٢/ ٦٢)، والدر المنثور (٢/ ٧١٣).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَولِ اللهِ تَعَالى:** ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾) قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أي: لا تحلفوا، وقيل: لا تحلفوا إلا وأنتم صادقون؛ تعظيما لليمين بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي كَثْرَةِ الحَلِفِ)** أي: من النهي عنه والوعيد.

(**مَا جَاءَ**) يعني: من الوعيد، ومن النهي عن كثرة الحلف، فالمسلم يعظم اليمين بالله، ولايكثر من الحلف؛ لأن الإكثار من الحلف يدل على التهاون بها، وهذا من النفاق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَقَولِ اللهِ تَعَالى:** ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩] **.قال ابن جرير: لاتتركوها بغير تكفير**) ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ يعني: بالكفارة إذا حلفتم وعلمتم أن حلفكم ليس بمحله، فكفروا ذلك بالصدقة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا**) ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ يعني: لا تحلفوا، احفظوها بعدم الحلف؛ تعظيمًا لها، وتوقيرًا للحلف بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يدل على صدق الإيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا**) احفظوا أيمانكم عن الحنث، إذا حلفتم فاحفظوا أيمانكم، بمعنى: لا تنقضوا هذه اليمين بمخالفة ظاهرها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من**

الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب، أو عدمه) كأنه يترجح عند الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ أي: لا تحلفوا إلا عند الحاجة التي تدعو إلى ذلك، فالتقليل من الحلف دليل على تعظيم الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ. فالذي يكثر من الحلف هذا دليل على تهاونه بها؛ لأنه لو كان يعظم الحلف بالله لم يحلف، أو لم يكثر من الحلف بالله عَزَّوَجَلَّ؛ تعظيمًا لها، وحفظًا لها من أن تبذل وأن تمتهن.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخْرَجَاهُ(١).

ش: قوله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخْرَجَاهُ) أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود والنسائي.

والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أعطى فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب، وحلف طمعًا في الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسًا. وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي، فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخْرَجَاهُ) يعني: ينفق يرغب في السلعة، فإذا حلف صاحبها، فإن الطرف الآخر يعظم اليمين، وتروج عنده هذه السلعة التي حلف صاحبها أنها طيبة، وأنها خيرة، وأنها مفيدة... إلى آخره، فهو مروج للسلعة، لكنها من الطرف الآخر ممحقة للبركة، وذلك

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)، وأبو داود (٣٣٣٥)، والنسائي (٤/ ٦).

لأن كثرة الحلف تدل على التهاون في اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا نقص في دين الحالف؛ لأنه لو كان يعظم اليمين لاحترمها، ولم يكثر منها إلا بقدر الحاجة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ». أَخْرَجَاهُ) أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أبو داود والنسائي)**. هذا يدل على ثبوت وعلى معنى أن حفظ اليمين ألا يحلف، احفظوها أي: لا يحلف إلا عند الحاجة، أو على قدرها؛ تعظيما لليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، وبراءة من النفاق، لأن المنافقين يكثرون من الحلف بالله وهم كاذبون، فلا يحترمون اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، بخلاف أهل الإيمان، فإنهم لا يحلفون إلا وهم صادقون، ولا يحلفون إلا بقدر الحاجة، فلا يكثرون من الحلف بالله عَزَّوَجَلَّ تعظيما له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أعطى فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه، فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب، وحلف طمعًا في الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة)** يعاقبه الله بمحق البركة؛ لأنه تهاون بالحلف، فراجت سلعته؛ لأن الناس يغترون بيمينه، فيثقون به، وهو متهاون بالحلف، ولا يعظمها حق عظيمها، فهذا علامة النفاق -والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه)** نعم هو يظن أن الحلف سيروج سلعته، في حين أنه ينقصها ويهضمها؛ لأن صاحبها تهاون

بالحلف بالله، فلم يعظم اليمين حق تعظيمها، فلذلك عوقب بنزع البركة من كسبه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسًا)** يعني: أصلًا، فلم يحصل على كسب من وراء هذه اليمين، فلا سلمت له يمينه، ولا توفر له ماله، وهذا حرمان وعقوبة له؛ بسبب تهاونه باليمين بالله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما عند الله لا ينال إلا بطاعته)** ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولا ينال بكثرة الحلف، ومعصية الله، والتهاون باليمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب)** إن تزخرفت الدنيا ووثق الناس في حلف هذا الرجل، وراجت سلعته، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يعاقبه، وعقاب الله ممحقة لبركة هذه السلعة، وإثم على هذا الحالف الذي تهاون باليمين؛ ليروج هذه السلعة، فإنها وإن راجت بالكذب، فإن البركة نزعت منها.

وَعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ لَهُ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِي بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[١].

ش: و«سَلْمَانَ» لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، وشهد الخندق، روى عنه أبو عثمان النهدي، وشرحبيل ابن السمط، وغيرهما.

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»[٢]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً: عَلِيٌّ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَسَلْمَانُ، وَالْمِقْدَادُ». أخرجه الترمذي، وابن ماجه[٣].

قال الحسن: كان سلمان أميرًا على ثلاثين ألفًا يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها، ويلبس نصفها[٤].

توفي في خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال أبو عبيده سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٦ رقم ٦١١١)، وفي الصغير (٢/ ٨٢ رقم٨٢١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٨٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢١/ ١٣٣)، والطبراني في الكبير (٦٠٤٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٩١) من حديث عمرو بن عوف المزني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧١٨)، وابن ماجه (١٤٩)، وأحمد (٣٨/ ١٢١).

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ ٨٧)، أبو نعيم في الحلية (١/ ١٩٧).

ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعَنْ سَلْمَانَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ لَهُ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ». رَوَاهُ الطَّبَرَانِي بِسَنَدٍ صَحِيحٍ)**.

«**أُشَيْمِطٌ زَانٍ**» يعني: من بان فيه الشيب، شمطه الشيب، فإن هذا حري أن يعظم اليمين ويحترمها، لكنه كان على العكس -والعياذ بالله-، فإن وثق به الناس وراجت سلعته، فإنها سلعة ممحوقة البركة لا خير فيها؛ بسبب أن صاحبها روّجها باليمين الكاذبة.

«**أُشَيْمِطٌ زَانٍ**» يعني: من كبرت سنه، لأن هذا حريٌّ أن تضعف شهوته، وحريٌّ أن يكون يخاف من الله عَزَّ وَجَلَّ، لأنه مابقي من عمره إلا القليل.

«**وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**»: العائل هو: الفقير، فإذا كان مستكبرًا مع كونه فقيرًا، فهذا دليل على قلة الأمانة فيه، ودليل على قلة خوفه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«**وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ لَهُ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ**»: الثالث رجل جعل الله بضاعته، بمعنى: لا يبيع إلا بيمينه، ولا يشتري إلا بيمينه، فهذا دليل على قلة خوفه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه إذا تهاون باليمين، فهذا دليل على عدم تعظيمه لليمين، ودليل على قلة خوفه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(و «سَلْمَانَ» لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **المدينة)** سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، هذا الرجل صاحب السابقة في الإسلام، والصدق والأمانة توفرتا فيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهو سلمان الفارسي يعني: من أهل فارس، ليس عربيًّا، ولكن الله منَّ عليه بصحبة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وصدقه في ذلك، فهذا فضل من الله يؤتيه من يشاء، فقد يؤتي هذا الفضل لمن ليس من العرب، وقد يحرم كثيرًا من العرب لتهاونهم بالله عَزَّوَجَلَّ، ويمنُّ على هؤلاء الفرس بالصدق، فضل الله يؤتيه من يشاء، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وشهد الخندق، روى عنه أبو عثمان النهدي، وشرحبيل بن السمط، وغيرهما)** شهد سلمان الفارسي غزوة الخندق، حينما تألّب المشركون على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وغزوه بالمدينة؛ ليقضوا على دعوته، فأشار سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يحفر خندقًا حول المدينة؛ لأجل ألاّ تقدر الخيل على اقتحام الخندق، وحينئذٍ يبطل كيد المشركين، فنفع الله بهذه المشورة، وحفر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خندقًا حول المدينة، فلما رآه المشركون -رأوا هذا الخندق- قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها، وذلك من فضل الله، ثم بسبب مشورة هذا الرجل الصادق سلمان الفارس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»)**، وحاز على هذا الفضل العظيم، فقال: **«سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»** يعني: بيت الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فكفاه شرفًا أن الرسول نسبه إلى أهل البيت، وأنه من أهل

البيت، فشرف له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وما ضرَّه أنه غيرعربي، فضل الله يؤتيه من يشاء، يؤتيه للصادقين من العرب وغيرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مِنْ أَصْحَابِي أَرْبَعَةً: عَلِيٌّ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَسَلْمَانُ، وَالْمِقْدَادُ». أخرجه الترمذي، وابن ماجه)**. هذا فضل عظيم لهؤلاء الأربعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(عَلِيٌّ): علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(وَأَبُو ذَرٍّ): أبو ذرٍّ الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَسَلْمَانُ): الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(وَالْمِقْدَادُ): المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال الحسن: كان سلمان أميرًا على ثلاثين ألفًا يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها، ويلبس نصفها. توفي في خلافة عثمان** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال أبو عبيده سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة)**. رضي الله عنه وأرضاه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي)**. احتمال، ولكن الأرجح أنه سلمان الفارسيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

....

ش: قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ». الله نفى كلام الرب -تعالى وتقدس- عن هؤلاء العصاة دليل على أن يكلم من أطاعه، وأن الكلام صفة كماله، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين قيام الأفعال بالله -سبحانه-، وأن الفعل يقع بمشيئته -تعالى-، وقدرته شيئًا فشيئًا، ولم يزل متصفًا به.

فهو حادث الآحاد، قديم النوع، كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث، وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضًا، وذلك في القرآن كثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فإذا قالوا لنا يعني: النفاة فهذا يلزمه أن تكون الحوادث قائمة به قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة ؟

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل.

ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الإعراض، والنقائص، والله -تعالى- منزه عن ذلك، ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله، ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة.

والقول الصحيح: هو قول أهل العلم والحديث الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من أئمة السنة). اهـ[١].

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها، وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم.

قوله: «وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات.

قوله: «أُشَيْمِطٌ زَانٍ». صغره تحقيرًا له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية، والفجور، وعدم خوفه من الله، وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية، فينتهي ويراجع.

وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر؛ لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة، والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيع له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته، لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي.

قوله: «وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ لَهُ بِضَاعَةً». بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه، وهذه أعمال تدل على أن صاحبها

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٩٠).

إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف، وأعماله ضعيفة، بحسب ما قام بقلبه، وظهر على لسانه، وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، نعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا، ولا يرضاه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ». الله نفى كلام الرب -تعالى وتقدس- عن هؤلاء العصاة دليل على أن يكلم من أطاعه) يكلم من أطاعه تكرمة له، ورفعًا لشأنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأن الكلام صفة كماله، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين قيام الأفعال بالله -سبحانه-، وأن الفعل يقع بمشيئته -تعالى-، وقدرته شيئًا فشيئًا، ولم يزل متصفًا به، فهو حادث الآحاد، قديم النوع) يعني: كلام الله، كلام الله حادث الآحاد، قديم النوع، فنوع الكلام قديم، وأما أفراد الحوادث التي تكلم الله بها فهي حادثة، فكلام الله قديم النوع، حادث الآحاد كسائر صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث، وغيرهم من أصحاب الشافعي، وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]): هذا دليل على أن الله يتكلم إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويتكلم بمناسبة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال، والأفعال الدالة على الحال

والاستقبال أيضًا، وذلك في القرآن كثير) كلام الله جَلَّوَعَلَا حادث الآحاد، قديم النوع، يعني: إفراد الأحوال التي تكلم الله بها حادثة، وأما نوع الكلام القائم بذات الله، فإنه قديم لا بداية له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فإذا قالوا لنا يعني: النفاة فهذا يلزمه أن تكون الحوادث قائمة به قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة ؟**

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الإعراض، والنقائص، والله -تعالى- منزه عن ذلك، ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله، ونحو ذلك مما دل عليه الكتاب والسنة. والقول الصحيح: هو قول أهل العلم والحديث الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما من أئمة السنة). اهـ.

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها، وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم) هذا معنى قيام الحوادث: قدرته عليها، وإيجاده لها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات).**

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «أُشَيْمِطٌ زَانٍ». صغره تحقيرًا له؛ وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية،**

والفجور، وعدم خوفه من الله، وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية، فينتهي ويراجع) الهدف أن الكبير في سنه تقل شهوته في النساء، وهذا لم تقل بل زادت -والعياذ بالله-؛ بسبب الفتنة، أن الله فتنه بهذا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر؛ لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة، والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيع له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته، لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي) العائل يعني: الفقير.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ لَهُ بِضَاعَةً». بنصب الاسم الشريف، أي: الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه) لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه، فيصدقه الناس اعتمادًا على اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف، وأعماله ضعيفة، بحسب ما قام بقلبه، وظهر على لسانه، وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، نعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا، ولا يرضاه) إن كان من أهل التوحيد، ويباشر هذه الأشياء، فهذا دليل على ضعف توحيده.

وَفِي الصَحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ».

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[(١)].

ش: قوله: (وَفِي الصَحِيحِ). أي: صحيح مسلم، وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ «خَيْرُكُمْ»[(٢)].

قوله: (**عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»**).

قوله: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي»، لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان، والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، وأبو داود (٤٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢١).

فغلب الخير فيها، وكثر أهله، وقل الشر فيها وأهله، واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء، ثم الذين يلونهم فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم، وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه، والقائم به، وما ظهر فيه من البدع أنكر واستعظم وأذيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت، فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل في من عاند منهم ولم يتب.

قوله: «فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟»، هذا شك من راوي الحديث -عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل، لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون، والإسلام فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء.

فقال: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ»، لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريهم الصدق، وذلك لقلة دينهم، وضعف إسلامهم.

قوله: «وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ». يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم، «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ» أي: لايؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم.

قوله: «وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»، لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم، والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة، والعمل لها.

وفي حديث أنس: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1]، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى في من ينتسب إلى العلم، ويتصدر للتعليم والتصنيف.

قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظمًا ونثرًا، فنعوذ بالله من موجبات غضبه.

قوله: (وَفِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»).

قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا، ونسي المعاد، فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملًا وأداء؛ لقلة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب على الأكثر -والله المستعان- فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول، فما بعده أكثر بأضعاف، فكان الناس على حذر.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨).

فِيهِمُ السِّمَنُ»). هذا فيه أنه كلما تأخر الوقت، فإن الناس يتغيرون، وتخف الأمانة، فيأتي أناس: «**يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ**» يعني: يشهدون دون أن تطلب منهم الشهادة، «**وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ**»، والنَّذر قال الله جَلَّوَعَلَا في وصف عباده المؤمنين: ﴿**يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ**﴾ [الإنسان:٧]، فوصفهم بأنهم يوفون بالنَّذر، في حين أن هناك قوم أخبر عنهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقوله: «**وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ**»، يعني: خفَّت الأمانة عندهم، وخفَّ الدِّين، حتى إنَّهم ينذرون، والنَّذر إذا صدر يجب الوفاء به، إذا كان نذر بر يجب الوفاء به؛ لأنه تعهد من العبد بينه وبين ربِّه بأن يفعل الخير، وهذه علامة خير فيهم أنهم يوفون بالنَّذر، على العكس من الذين يأتون في آخر الزمان، فإنهم ينذرون ولا يوفون بنذرهم، وهذا نقصٌ في إيمانهم، نقصٌ في دينهم، لاشكَّ أنَّه كلما تأخر الزمان تغيَّرت الأحوال، ونقص الدِّين إلى أن تقوم الساعة، والناس في نقص في دينهم إلا من رحم الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فبقي على الدِّين، فالأرض لا تخلو من هؤلاء، لكنَّهم يقلون في آخر الزمان.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: **(قوله: وَفِي الصَحِيحِ. أي: صحيح مسلم، وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ: «خَيْرُكُمْ»)**، قوله: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي**»، لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان، والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها، وكثر أهله، وقل الشر فيها وأهله، واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء خير القرون هو القرن الذي فيه الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فكان أهله في أعلى الدرجات من الإيمان والإحسان، وفعل الخير، والابتعاد عن

الشر؛ لأنهم تربَّوا على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتتلمذوا عليه، فلما توفي الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأخر الزمان وتغير الحال، كلما بعدوا عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تغير الحال، ونقص الإيمان فيهم إلا من شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الأرض لا تخلو من أهل الخير، لكنهم يقلون ويكثرون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ثم الذين يلونهم فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم، وكثرة الداعي إليه، والراغب فيه، والقائم به)**: خير القرون القرن الذي فيه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم بعد قرن الرسول يتناقص الخير، لا يعدم ولكنه يتناقص، وكل قرن أنقص من الذي قبله حتى تقوم الساعة، وكلما تأخر الزمان يقل الخير ويكثر الشر، إلا أنَّ الخير لا يعدم؛ بل يكون له بقيَّة، وله أناس يوصفون به؛ لتقوم الحجة على الخلق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وما ظهر فيه من البدع أنكر واستعظم وأذيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت، فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل، في من عاند منهم ولم يتب)** لاشك أنه كلما تقدم الزمان، يعني: كل ما كان في الزمان الأول فهو خير من الزمان الذي يأتي بعده؛ وذلك لكثرة أهل الخير في الزمان الأول، وقلتهم في الزمان الذي بعده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟»، هذا شك من راوي الحديث -عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث دون الأولين في الفضل)**: كلما تأخر الزمان، فإنه ينقص الفضل؛ لقلَّة أهله، وكثرة من يعارضونه، ويأخذون بالآراء

الجديدة التي لا أصل لها ولا دليل عليها، وهناك دعاة للضلال يكثرون، كلما تأخر الزمان يكثر دعاة الضلال، ويقل دعاة الخير، لكنهم لا يعدمون -والحمد لله-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون، والإسلام فيه ظاهر، والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء)**: يعني: القرن الثالث يظهر فيهم المخالفات، ومن ذلك أنهم يشهدون دون أن تطلب منهم الشهادة، فدلَّ على أنهم لا يبالون بالشهادة؛ لغلبة الجهل فيهم، ولقلة الدين أيضًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقال: «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ»، لاستخفافهم بأمر الشهادة، وعدم تحريهم الصدق، وذلك لقلة دينهم، وضعف إسلامهم)**: لقلة دينهم وضعف إسلامهم، فهم يشهدون دون أن تطلب منهم الشهادة، فدلَّ على قلة الدين فيهم؛ لأن الدين يحجز أصحابه من المخالفات الشرعية، ومنها أن الشاهد لا يشهد حتى تطلب منه الشهادة، ويكون صادقًا فيها، وكونه يشهد دون أن تطلب منه الشهادة هذا دليل على أنه لايبالي بشأن الشهادة، ويتهاون بها لقلة الدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ». يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم، أو أكثرهم، «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ»، أي: لايؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم)**: وهذه المصيبة الكبرى أنهم يخونون في الأمانة ولا يؤتمنون؛ لقلة

دينهم. يخونون ضدَّ الذين يؤتمنون، يخونون ولا يؤتمنون كلما تأخر الزمان ظهرت هذه الظاهرة السيئة، «**وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ**».

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ**»: نعم، هذا خلاف الَّذين يوفون بالنَّذر، فإذا نذر فإنه يوفي بنذره إذا كان نذر تبرر ونذر طاعة، يوفوا بنذرهم، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ**﴾ [الإنسان:٧]، إذا نذروا، فالنَّذر يجب الوفاء به إذا كان نذر طاعة، ولا يجوز التهاون به؛ لأنه تعهدٌ من العبد في أن يعمل الخير ويعمل البر؛ لرغبته في ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ»: أي: لا يؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم، وعدم إيمانهم)**: هذه الصفات في المتأخرين، يأتي قوم ينذرون ولا يوفون، ويخونون ولا يؤتمنون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»، لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم، والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة، والعمل لها)**، هذه صفاتهم، ظهور السَّمَن فيهم دليل على قلة الخوف من الله في قلوبهم، فالذي يخاف من الله يظهر عليه أثر الخوف، فلا يسمن في جسمه، بل يكون نحيفًا؛ لخوفه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فهذه صفاتٌ ذميمة كلما تأخَّر الوقت ظهرت هذه العلامات في الناس، وهي نقص في الدين، نقص في الأمانة، نقص في الخوف من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، تنعمٌ في الدنيا، وغفلةٌ عن الآخرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي حديث أنس: «لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»)**، كلما تأخر الزَّمان

نقص الدين، وظهر الجهل؛ وذلك لضعف الإيمان في القلوب؛ ولفقدان أهل العلم الصَّادِقين الذين ينشرون الخير ويحذرون من الشر.

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، أنها تظهر هذه الصفات في المتأخِّرين؛ لقلَّة علمهم، ولقلَّة دينهم أيضًا، تظهر فيهم هذه الأمور، ويظهر فيهم السِّمَن في أجسامهم؛ لقلَّة خوفهم من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّ الذي يخاف الله يظهر ذلك عليه في مظهره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى في من ينتسب إلى العلم، ويتصدر للتعليم والتصنيف)**: في آخر الزَّمان حتى يكثر الشر، حتى يظهر الذين يدعون العلم ويدعون المعرفة، وإن كان فيهم علم وفيهم، لكن يقل العمل به، فليس الشأن في وجود العلم بدون عمل، فالعمل مقرونٌ بالعلم، فلا يكفي وجود العلم بدون عمل، كما أنَّه لا يكفي العمل بدون علم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظمًا ونثرًا، فنعوذ بالله من موجبات غضبه)**: إذا ظهر ت هذه العلامات ظهر الشر وانتشر، وتكلَّموا به ونشروه في مؤلفاتهم، كم في المؤلفات الآن من كتب الضَّلال، ومن كتب الجهل، وهذا دليلٌ على ضعف الدِّين، فكلما تأخر الزمان يضعف الدِّين، ويغلب الجهل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: وَفِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ**

تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»): (**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**): أربعة قرون.

(**ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ**): بعد الأربعة قرون.

(**تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**)؛ لأنهم لايبالون في اليمين والشهادة؛ لغلبة الجهل والهوى؛ لغلبة الهوى فيهم وقلة الدِّين فيهم، لأن الشهادة واليمين يجب احترامها، فلا يشهد إلا على صدق، ولا يحلف إلا على برّ؛ لقوة دينه، فإذا ضعف الدين ظهر خلافه فيهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا، ونسي المعاد، فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملًا وأداء؛ لقلة خوفه من الله، وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب على الأكثر -والله المستعان-**): إذا ظهرت هذه الأمور، فإن هذا الدليل دليل شرٍّ حدث في الناس، عدم المبالاة بالشهادة، وعدم المبالاة في اليمين بالله، فهم يشهدون ولايستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول، فما بعده أكثر بأضعاف، فكان الناس على حذر**): كلما تأخر الزمان ظهرت علامات الشرور، والتعاملات السيئة، والاستخفاف بالدِّين، والاستخفاف بالأمانة، ظهرت العلامات السيئة إلا من رحم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَقَـالَ إِبْرَاهِيمُ: «وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَارٌ»(١).

ش: قوله: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ) -هو النخعي- «وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»، وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم، ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به، وفي هذا رغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَارٌ»): نعم يؤدِّبون أولادهم، فينشرون فيهم تعظيم الشهادة وتعظيم العهد، بخلاف الذين ضيّعوا، أو يضيِّعون أولادهم، فلا يربونهم على تعظيم الشهادة، تعظيم العهد، فيظهر فيهم عدم المبالاة بالشّهادة، وعدم المبالاة في العهد، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٤].

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ) -هو النخعي- «وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»، وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣) موصولًا بإسناد حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به): من أعظم أمور الدين تربية الأولاد على الدِّين، وعلى تعظيم حرمات الله عَزَّوَجَلَّ، كانوا يضربونهم على الشهادة والعهد وهم صغار؛ لأجل أن يتربَّوا على تعظيم الشهادة، وعلى تعظيم العهود، وينشئوا عليها، فهذا فيه التربية الحسنة من الوالدين لأولادهم، والآن قلَّ هذا في الناس إلا من رحم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فاليوم لا يبالون بأولادهم، ولا ينظرون إلى من يدرسهم، ويتلقون العلم عنه ويتفقدونهم، وينقلون أولادهم من علماء السوء إلى علماء الحق، حتى ولو كانوا في غير بلادهم، فيذهبون بهم إلى أهل الخير، ويسافرون بهم إلى أهل الخير؛ ليتربوا على ذلك، فهذا فيه عظم حق الأولاد على آبائهم في التربية، وتلقي العلم، وتلقي الدين، وتلقي الأمانة، فلا يتركون أولادهم بين المدرسين الذين لا يبالون بأمر العلم، ولا يبالون بأمر الدين، ولا يبالون في أمر الأمانة، يتركون أولادهم يتلقون عن أناسٍ قد لا يكون عندهم علم، أو يكون عندهم علم، وليس عندهم عمل، فليس الشأن في وجود العلم بدون عمل، ولا الشأن في وجود العمل بدون علم، بل لابد من الأمرين، أن يكون العمل مؤسسًا على علم صحيح من الكتاب والسنة، ولو أن تنقل أولادك من بلد إلى بلد، فيه العلماء وفيه الخير، أو تبعثوا بهم إلى تلك البلاد، هذا فيه عظم أمانة الأولاد في تربيتهم وتعليمهم وتوجيههم؛ لأن الأولاد هم الذين يحملون الأمانة في المستقبل، وهم الذين يحملون هذا العلم وهذا الدين، فلابد أن يكونون مؤهلين علميًّا وعمليًّا وأمانيًّا على حفظ هذه الأمانة، والقيام بها، ولو أن تهاجر بأولادك إلى

بلد فيه هذه الأمور الطيبة؛ ليتربوا وليتعلموا؛ حتى يعودوا حاملين للأمانة حقا، ويقومون بنشرها صدقاً، وينفعون وينتفعون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا رغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم، ونهيهم عما يضرهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم)**: هذا فيه عظم هذا الأمر، وإن كان فيه مشقة، فإن فيه الخير، وفيه نشأة الأجيال الصالحة، فليس الشأن في أن يدرس أبناؤك دون أن تنظر إلى من يدرسهم، ومن ينشّئهم ويربيهم على الخير، فليس القصد نيل الشهادة، وإنما القصد نيل الأمانة في الدين والعلم الصحيح.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الْوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الْأَيْمَانِ.

الثَّانِيَةُ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ.

الثَّالِثَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي مَنْ لَا يَبِيعُ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ.

الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي.

الْخَامِسَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ.

السَّادِسَةُ: ثَنَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، أَوِ الْأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ.

السَّابِعَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ.

الثَّامِنَةُ: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**): يعني: في الباب، من عادة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه إذا انتهى الباب، يذكر المسائل المستنبطة من الأدلة من الكتاب والسنة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْأُولَى: الْوَصِيَّةُ بِحِفْظِ الْأَيْمَانِ**): قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْحَلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**): كثرة الحلف من الباعة والمشترين الذين يحلفون على كل معاملة، ويروجوا أموالهم دون نظر إلى الأمانة التي بينهم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذه ظاهرة سيئة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْإِخْبَارُ بِأَنَّ الْحُلِفَ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**): الذي يحلف في البيع والشراء، ويكثر من الحلف هذا دليل على أنه كذّاب لا يعظم اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، وإنما يستخدم الحلف؛ لأجل تنمية ماله، وتكثير ماله، دون خوف من الله جَلَّوَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي مَنْ لَا يَبِيعُ وَلَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ**): ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٤]، فأهل الصدق يعظمون اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، ولا يحلفون إلا على صدق ولا يحلفون إلا عند الحاجة، وأما الذي يبادر بالحلف على السلعة، وأنها من الجنس الطيب، وأنها أيضا من النوع الجيد، ويحلف على ذلك؛ لأجل أن يصدقه من يسمعه، هذا دليل على خفة دينه، وتساهله باليمين بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الذَّنْبَ يَعْظُمُ مَعَ قِلَّةِ الدَّاعِي**): نعم أن الذنب يعظم مع قلة الداعي لارتكابه، الذنب يعظم إذا ارتكبه الإنسان من غير داعٍ إلى ذلك، وحتى لو كان هناك داع، فإنه يعظم اليمين بالله عَزَّوَجَلَّ، ويعظم الأمانة التي بينه وبين الناس والتعامل معهم بالصدق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْخَامِسَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ**): المسألة الخامسة ذم الذين يحلفون دون أن يطلب منهم أن يحلفوا، فهذا دليل على تساهلهم في الحلف، كونه يحلف بدون أن يطلب منه الحلف؛ من أجل أن يصدقه المتعامل معه، وإن كان على غير بر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: ثَنَاؤُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ، أَوِ الْأَرْبَعَةِ، وَذِكْرُ مَا يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ)**: ثناؤه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على القرون الثلاثة، أو القرون الأربعة التي بعد النبوة، وبيان ما يحدث بعد ذلك من المخالفات؛ لأجل أن يحذر المسلمون من هذا الأمر، ويربوا أولادهم على الصدق والأمانة، يقول: «وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالعَهْدِ، وَنَحْنُ صِغَارٌ»؛ من أجل أن يعظموا الحلف بالله عَزَّوَجَلَّ والأمانة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: ذَمُّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ)**: الذين يشهدون دون تطلب منهم الشهادة، يقول: عندي لك شهادة يافلان، ويروح يروج ماعنده من الكذب ليغر الناس بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الثَّامِنَةُ: كَوْنُ السَّلَفِ يَضْرِبُونَ الصِّغَارَ عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ)**: كون السلف يضربون الأولاد الصغار على الشهادة والحلف؛ لأجل أن يتربوا على تعظيمها، ولايتساهلوا فيها وهم صغار، يعني: يكونون دون البلوغ صغار؛ لأجل التربية؛ لأن الطفل ينشأ على ما عوده، كما قال الشاعر[1]:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا ... عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

---

(١) البيت لم يسم قائله في كثير من الكتب. انظر: السحر الحلال في الحكم والأمثال (١/ ١١٢)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٢٠٨).

٦٢- بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ).

وَقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾} [النحل:٩١]. **الآية**).

قال العماد بن كثير: (وَهَذَا مِمَّا يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِهِ وَهُوَ الْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١]، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ [المائدة:٨٩]، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [المائدة:٨٩]. أَيْ: لَا تَتْرُكُوهَا بِلَا تَكْفِيرٍ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي»[١]، لاَ تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا كُلِّهِ، وَلاَ بَيْنَ الآيَةِ الْمَذْكُورَةِ هَاهُنَا وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَيْمَانَ، الْمُرَادَ بِهَا الدَّاخِلَةُ فِي الْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، لَا الْأَيْمَانَ الَّتِي هِيَ وَارِدَةٌ عَلَى حَثٍّ أَوْ مَنْعٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يَعْنِي: الحِلْف، أَيْ: حلْفَ الجَاهِلِيَّةِ؛ وَيُؤَيِّدُهُ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧١٨، ٦٧١٩)، ومسلم (١٦٤٩).

أَحْمَدُ: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً»(١). وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ بِهِ(٢).

وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى الحلف الَّذِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَفْعَلُونَهُ، فَإِنَّ فِي التَّمَسُّكِ بِالْإِسْلَامِ كِفَايَةً عَمَّا كَانُوا فِيهِ)(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النحل:٩١] تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ) أي: كفالة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وكفالة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن قال هاتين الكلمتين، فإن هذا معناهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]. الآية).

قال العماد بن كثير: (وَهَذَا مِمَّا يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى بِهِ وَهُوَ الْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ وَالْمَوَاثِيقِ، وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى الْأَيْمَانِ الْمُؤَكَّدَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١]) هذا معنى قوله: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠/ ٩٦، ٢١/ ٤٠٣، ٢٧/ ٣٢٥).
(٢) أخرجه البخاري (٢٢٩٤، ٦٠٨٣)، ومسلم (٢٥٢٩، ٢٥٣٠).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٨).

تَوْكِيدِهَا ﴾ أن معناه من جعل ذمَّة الله وذمَّة رسوله تأكيدا لكلامه، فإنه بذلك يكون قد جعل الله كفيلًا لمن له الحق، لأن الله جَلَّوَعَلَا يتولى ضمان ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ [البَقَرَة:٢٢٤]، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [المَائِدَة:٨٩]. أَيْ: لَا تَتْرُكُوهَا بِلَا تَكْفِيرٍ)**، وقوله تعالى: ﴿ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ ﴾ أي: لا تتركوها بلا تكفير؛ لأن اليمين يوجب الكفارة، فإذا قال هذه الكلمة، فإنه جعل الله كفيلا عليه، ومن كان في كفالة الله، فإن الله سيأخذ لحقه من خصمه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النحل:٩١] تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها)** من نقض الأيمان بعد توكيدها، فإن الله جَلَّوَعَلَا ينتقم منه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ إذا نقضتم أيمانكم فلن يترككم إلى عقوبة.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

ش: قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ**): كان النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سريَّة، والسريَّة دون الجيش.

قوله: (أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا): أوصاه في نفسه بتقوى الله، وأوصاه بالمسلمين الذين معه خيرًا؛ لأن هذا في ذمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ التي حلف بها عند ولايته لهذه المسؤولية.

قوله: (ثُمَّ قَالَ: اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ)، وهذا ما أوجبه الله على المسلمين أن يقاتلوا الكفار؛ ليدخلوا في الإسلام، أو يستراح من شرهم، فالجهاد لم يشرع لأجل الولايات، وإنما شرع لأجل نصرة هذا الدِّين، فالجهاد ليس مقصود تحصيل الولايات، وإنما هو نصرة هذا الدِّين، ونشر هذا الدِّين؛ لينجو من أراد الله سعادته به من النار.

قوله: (اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا): الغلول هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها، لا يجوز هذا للغزاة، بل الغنيمة تحفظ حتى توزع على المجاهدين، هذه أمانةٌ على المجاهدين تحملوها، فلابد أن يَفُوا بها، وأيضا الغزو ليس هو لأجل الغنيمة، وإنما الغزو لإعلاء كلمة الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وقد قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٦١].

وقد جاء في سبب نزول الآية أن المسلمين غَنِمُوا شَملة من الكفار ففقدوها، فقالوا: لعلَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخذها؛ لأن الرسو ل له حق

في الغنيمة، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برأه الله من ذلك، وسماه غلولًا: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٦١].

والغُلول -وهو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها على الغانمين- هذا فيه وعيدٌ شديد، برأ الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَا تَغْدِرُوا)**: ولا تَغْدِروا باليمين التي أعطيتموها للمقابل من الكفار، فإذا أعطيتم اليمين، فالواجب الوفاء، إذا حلفتم للكفار وإن كانوا كفارًا، فالواجب الوفاء باليمين، ولا تُغْدر اليمين من أجل طمع الدنيا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَا تَمْثُلُوا)**: يعني: بالقتل، لا يجوز التمثيل بالقتيل بأن تقطع أطرافه، ولو كان كافرًا؛ لأن الجثة لها حرمة يحافظ عليها، وإن كان كافرًا، جثة الميت يحافظ عليها، وإن كان القتيل كافرًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ)**: فالغنيمة إنما هي على الجهاد، فالذي يجاهد مع المسلمين له

نصيب منها، والذي لم يجاهد وإن كان مسلمًا ليس له حظ من الغنيمة، إنما هي حق للمجاهدين فقط؛ تشجيعا لهم على الجهاد في سبيل الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ**): الأمر الثاني مما يجب اتخاذه مع الكفار قبل قتالهم: أن يدفعوا الجزية، وهي مقدار من المال يدفعونه للمسلمين؛ لإقرارهم على ماهم عليه، وتكون الجزية فدية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ**): هذه الخصال الثلاث إذا استنفذها معهم ولم يقبلوا، فإنه يستعين بالله على قتالهم ويقاتلهم، والنصر وعد الله به المؤمنين على الكفار إذا أبوا أن يدفعوا الجزية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ**): لا تجعل لهم ذمَّة الله وذمَّة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن اجعل لهم ذمَّتك وذمَّة أصحابك الغزاة، فإن قبلوا ذلك وإلا فقاتلهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا**): إذا طلب الكفار أن ينزلهم على حكم الله، فإنه لا يستجيب لهم؛ لأنه لايدري أيصيب حكم الله فيهم أم لا، ولكن يجعل لهم حكمه وحكم أصحابه.

....

ش: قوله: (وَعَنْ بُرَيْدَةَ). هو ابن الحصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه. قاله في المفهم[١].

قوله: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم.

قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها[٢]. والجيش ما كان أكثر من ذلك.

وتقوى الله: التحرز بطاعته من عقوبته.

قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه.

قوله: «وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا». أي: ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيرًا من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

قوله رَحِمَهُٱللَّهُ: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم) تأمير الأمراء على الجيوش والسرايا ووصيتهم، عندما يوليهم، فإنه يوصيهم بهذه الوصية العظيمة.

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ٥١١).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/ ٣٧).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. والجيش ما كان أكثر من ذلك)**: هذا معنى الفرق بين السريّة والجيش، فالجيش أكبر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتقوى الله: التحرز بطاعته من عقوبته. قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به، والانتهاء عما نهى عنه)**: هذا معنى تقوى الله في المسؤولية بأن يتخذ وقاية بينه وبين المعصية، للأمانة على ما ولاه الله عليهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا». أي: ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيرًا من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم)**. كل هذا داخل في معنى تقوى الله في الرعيّة، بأن يراعي هذه الأمور في مسؤوليته على من ولاه الله عليهم؛ لأن الولاية أمانةٌ بين العبد وبين ربه، وهذه الأمانة تتضمن هذه المعاني.

....

ش: قوله: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ». أي: اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له. قلت: فتكون الباء في بسم الله هنا للاستعانة، والتوكل على الله.

قوله: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ». هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم، وقد خصص منهم من له عهد، والرهبان، والنسوان، ومن لم يبلغ الحلم، وقد قال متصلًا به: «وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا».

وإنما نهى عن قتل الرهبان، والنسوان؛ لأنه لا يكون منهم قتال غالبًا، وإن كان منهم قتال، أو تدبير قتلوا.

قلت: وكذلك الذراري والأولاد(١).

قوله: «وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا»، الغلول: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها، الغدر نقض العهد، والتمثيل هنا التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأذنه والعبث به، ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهية المثلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ». أي: اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له. قلت: فتكون الباء في بسم الله هنا للاستعانة، والتوكل على الله)، «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ» أي: متوكلين عليه فيما توليتم من هذه الغزوة وشؤونها.

---

(١) كما في حديث عَطِيَّةَ الْقُرَظِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: «كُنْتُ مِنْ سَبْيِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَكَانُوا يَنْظُرُونَ، فَمَنْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ قُتِلَ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ لَمْ يُقْتَلْ، فَكُنْتُ فِيمَنْ لَمْ يُنْبِتْ»، أخرجه أبو داود (٤٤٠٤)، والترمذي (١٥٨٤)، وابن ماجه (٢٥٤١)، والنسائي (٣٤٣٠، ٤٩٨١).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قوله: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ». هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم، وقد خصص منهم من له عهد)**: من له عهد يكتفى منه بالوفاء بالعهد.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد خصص منهم من له عهد، والرهبان، والنسوان)**: هؤلاء لا يقاتلون، من له عهد من الكفار هذا لايقاتل؛ وفاء بالعهد، والنسوان؛ لأن النسوان لسن من أهل القتال، ومن لا يقاتل لا يقاتل، والرهبان الذين هم في الصوامع هؤلاء مشغولون بما هم فيه، ولا يخشى من شرهم على المسلمين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ومن لم يبلغ الحلم)**: والصغير الذي لم يبلغ الحلم؛ لأنه ليس له نية.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقد قال متصلًا به: «وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»)**: وهو الصغير؛ لأنه لا يتوقع منه الغدر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإنما نهي عن قتل الرهبان والنسوان لأنه لا يكون منهم قتالٌ غالبًا، فإن كان منهم قتالٌ أو تدبيرٌ قُتِلوا)**: النِّساء والأطفال، ومن له عهدٌ عند المسلمين، هؤلاء لايتوقع منهم غدر؛ فلذلك لا يقاتلون؛ لأنه لا يقاتل إلا من يتوقع منه الغدر والخيانة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإن كان منهم قتال، أو تدبير قتلوا)**: إذا كان من النساء أو من الأطفال تدبير قتلوا دفعًا لشرهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قلت: وكذلك الذراري والأولاد**): كذلك ذراري الكفار الصغار لا يقتلون أيضًا، والصغار يعني: الأطفال.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**قوله: «وَلَا تَغُلُّوا»**): عرفنا الغلول فيما سبق شرحه.

قوله: (**«وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا»، الغلول: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها، الغدر نقض العهد، والتمثيل هنا التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأذنه والعبث به**): هذا لايجوز حتى مع الكافر، إذا قتل فلا يجوز العبث به؛ لأن هذا لا مصلحة من ورائه؛ لأنه قتيل، ولا يخشى من شره.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر، وفي كراهية المثلة**): المثلة وهي تقطيع جثة الميت.

....

- -

ش: قوله: «وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ -»، الرواية بالشك وهو من بعض الرواة، ومعنى الخلال والخصال واحد.

قوله: «فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ»، قيدناه عمن يوثق بعلمه، وتقييده بنصب أيتهن، على أن يعمل فيها أجابوك لا على إسقاط حرف الجر، وما زائدة، ويكون تقدير الكلام: فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم، كما تقول: جئتك إلى كذا، وفي كذا. فيعدى إلى الثاني بحرف جر.

قلت: فيكون في ناصب أيتهن وجهان ذكرهما الشارح.

الأول: منصوب على الاشتغال. والثاني: على نزع الخافض.

قوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ». كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم، ثم ادعهم بزيادة (ثم)، والصواب إسقاطها، كما روى في غير كتاب مسلم، كمصنف أبي داود، وكتاب الأموال لأبي عبيد؛ لأن ذلك هو ابتداء تفسير الثلاث خصال.

وقوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِم إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ». يعني: المدينة، وكان في أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام، وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن من أهل مكة وغيرهم(١).

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/ ١٩٠)، وسبل السلام (٤/ ٤٣)، والسيل الجرار (٤/ ٥٧٦)، وتحفة الأحوذي (٥/ ١٧٨).

قوله: «فَإِنْ أَبَـوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا». يعني: أن من أسلم ولم يهاجر، ولم يجاهد لا يعطي من الخمس، ولا من الفيء شيئًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وقوله: «ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ». يعني: المدينة، وكان في أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام): فيكون هذا الحكم قد انتهى وقته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن من أهل مكة وغيرهم): الهجرة هي الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهذه البلاد -ولله الحمد- يعني: مكة والمدينة صارتا دار إسلام، فلا يطلب الهجرة منها.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قوله: «فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا». يعني: أن من أسلم ولم يهاجر، ولم يجاهد لا يعطي من الخمس، ولا من الفيء شيئًا): لأنه لايستحقه، إنما يستحقه من يتأتَّى منه الجهاد، وهؤلاء لايتأتَّى منهم جهاد، فلا يعطون من الخمس.

....

ش: وقد أخذ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئًا، إنما لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد على فقرائهم، كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرف كل مال في أهله. وسوى مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين المالين، وجوزا صرفهما للضعيف.

قوله: «فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ»، فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربيًا كان أو غيره، كتابيًا كان أو غيره.

وذهب أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم.

وقال الشافعي لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربًا كانوا أو عجمًا، وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ من المجوس[1].

قلت: لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذها منهم. وقال: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»[2].

---

(١) انظر: الأم للشافعي (٤/ ١٧٤)، والحاوي الكبير (١٤/ ١٥٣)، والمغني (٩/ ٣٢٨)، ومنهاج الطالبين (ص١٣٨)، ومغني المحتاج (٤/ ٢٤٢)، ومجموع الفتاوى (١٩/ ٢٢، ٢٣)، وأحكام أهل الذمة (١/ ٧٩-٨١).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٧٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٦٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٣٥)، والبزار في مسنده (٣/ ٢٦٤) من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقد أخذ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئًا، إنما لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد على فقرائهم): كلام الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له وجه من السنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرف كل مال في أهله. وسوى مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين المالين، وجوزا صرفهما للضعيف): هذا خلاف فقهي، وكل قول من القولين له وجه من الإصابة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: «فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ»، فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربيًّا كان أو غيره، كتابيًّا كان أو غيره): عموم، يعني: تعميم الجزية على كل أحد من الكفار الذين بايعوا، وهي قدر من المال يؤخذ من الكافر في مقابل إقراره على دينه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وذهب أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم): هؤلاء يقاتلون، مشركي العرب ومجوسهم ما يطلب منهم جزية، وإنما يسلمون أو يقاتلون.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال الشافعي لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربًا كانوا، أو عجمًا، وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ من المجوس): والإمام أحمد تلميذ للشافعي، فأخذ بقوله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قلت: لأن النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أخذها منهم. وقال: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ»): «غَيْرَ نَاكِحِي نِسَائِهِمْ، وَلَا آكِلِي ذَبَائِحِهِمْ»**[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٣٥)، والبيهقي في الكبرى (٩/ ٣٢٣) عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى مَجُوسِ أَهْلِ هَجَرَ يَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، فَمَنْ أَسْلَمَ قَبِلَ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يُسْلِمْ ضَرَبَ عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ غَيْرَ نَاكِحِي نِسَائِهِمْ، وَلَا آكِلِي ذَبَائِحِهِمْ».

....

ش: وقد اختلفوا في القدر المفروض من الجزية، فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الورق. وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟ قولان.

قال الشافعي: فيه دينار على الغني والفقير.

وقال أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والكوفيون: على الغني ثمانية وأربعون درهمًا، والوسط أربعة وعشرون درهمًا، والفقير اثنا عشر درهمًا، وهو قول أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال يحيى بن يوسف الصرصري الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

وقاتل يهودا والنصارى وعصبة المجـ ... ـوس، فإن هم سلموا الجزية أصدد
على الأدون اثني عشر درهمًا افرضن ... وأربعة من بعد عشرين زد
لأوسطهم حالًا ومن كان موسرًا ... ثمانية مع أربعين لتنقد
وتسقط عن صبيانهم ونسائهم ... وشيخ لهم فان وأعمى ومقعد
وذي الفقر والمجنون أو عبد مسلم ... ومن وجبت منهم عليه فيهتدي

هذا شعر فيمن تسقط عنهم الجزية، من تسقط عنهم الجزية هم هؤلاء عند الصَّرصري، والصَّرصري عالم من علماء الحنابلة، له باعٌ واسعٌ في الشعر.

(١) انظر: المدخل لابن بدران (ص٤٢٨).

....

ش: وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين العقلاء دون غيرهم، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره، ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين أو حربهم(١).

قوله: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ...». الكلام إلى آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إن المصيب في مسائل الإجتهاد واحد، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره(٢)، ووجه الاستدلال به أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نص على أن الله تعالى قد حكم حكمًا معينًا في المجتهدات، فمن وافقه فهو المصيب، ومن لم يوافقه فهو المخطىء.

وقوله: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ»: الحديث الذمة العهد، وتخفر تنقض يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده، وخفرته: أجرته، ومعناه أنه خاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، كجملة الأعراب فكأنه يقول: إن وقع نقض من متعد كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالى. والله أعلم.

وقوله: وقول نافع، وقد سئل عن الدعوة قبل القتال.

ذكر فيه أن مذهب مالك يجمع بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال.

---

(١) انظر: مختصر اختلاف العلماء للطحاوي (٣/ ٤٨٦، ٤٨٧)، والتمهيد لابن عبد البر (٢/ ١٣٠، ١٣١)، والمغني (٨/ ٢٩٠)، وأحكام أهل الذمة (١/ ١٢٣)، والبدر المنير (٩/ ٢١١)، والتاج والإكليل (٣/ ٣٨٢).

(٢) انظر: الإحكام للآمدي (٤/ ١٩٠)، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٣١٩).

قال: وهو أن مالكًا قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يدعوا، ولا تلتمس غرتهم إلا أن يكونوا قد بلغتهم الدعوة، فيجوز أن تلتمس غرتهم.

وهذا الذي صار إليه مالك هو الصحيح؛ لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدو أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا، ولا للعصبية، وإنما يقاتلون للدين، فإذا علموا بذلك، أمكن أن يكون ذلك سببًا مميلًا لهم إلى الانقياد إلى الحق، بخلاف ما إذا جهلوا مقصود المسلمين، فقد يظنون أنهم يقاتلون للملك، وللدنيا، فيزدادون عتوًّا وبغضًا. والله أعلم.

هذا الكلام وجيه.

فيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: الْفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

الثَّانِيَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ الْأَمْرَيْنِ خَطَرًا.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «اُغْزُوا بِسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ».

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ».

الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «اسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ».

السَّادِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ الْعُلَمَاءِ.

السَّابِعَةُ: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَى: الْفَرْقُ بَيْنَ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ نَبِيِّهِ، وَذِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**)؛ لأن الله فرق بينهما، ولأن الرسول فرق بينهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: الْإِرْشَادُ إِلَى أَقَلِّ الْأَمْرَيْنِ خَطَرًا**): ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «اُغْزُوا بِسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»**): هذا فيه إخلاص النية للمجاهدين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ»**): أن القتال إنما هو للكفار المعاندين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْخَامِسَةُ: قَوْلُهُ: «اِسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ»**): فيه أن وجوب الاستعانة بالله على القتال؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا ينصر من استعان به.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّادِسَةُ: الْفَرْقُ بَيْنَ حُكْمِ اللهِ وَحُكْمِ الْعُلَمَاءِ)**: لاشك حكم الله هو الصواب، وحكم العلماء اجتهادي، يخطئ ويصيب، فالذي يصيب له أجران، والذي يخطئ الخطأ مغفور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(السَّابِعَةُ: فِي كَوْنِ الصَّحَابِيِّ يَحْكُمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ بِحُكْمٍ لَا يَدْرِي أَيُوَافِقُ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا)**: أن الصحابي من جملة المجتهدين، لا يدري هل هو مصيب أو مخطئ، لكنه معذور إذا أخطأ، ومأجور إذا أصاب.

٦٣ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللَّهِ

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ**(١).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»(٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ**)، فهذا من إساءة الأدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن سوء الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ، فلذلك هذا الرجل لما قال هذه الكلمة أنكر الله عليه، (**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ**) أي: يحلف عليّ، (**أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟**): كأنه قانط من رحمة الله، فقال الله: (**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ**) أي: يحلف علي، هذا إنكار من الله على هذا العبد، (**أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟**) يحلف علي ألا أغفر لفلان، (**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ**)، يقول الله جَلَّ وَعَلَا: (**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**)، فانقلب الأمر على هذا القائل؛ لأنه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١)، وأحمد (١٤/ ٤٧)، والبزار (١٦/ ٢٤٤)، وابن حبان (١٣/ ٢١)، البغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٨٤).

أساء الأدب مع أخيه المسلم، وقبل ذلك أساء الأدب مع الله جَلَّوَعَلَا، فحلف على الله أنه لا يغفر لفلان، فهذا لا يجوز، وهذا سوء أدب مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأيضًا هو تيئيس للعبد من رحمة الله، يعني: تيئيس لهذا الذي أصدر في حقه هذه الكلمة، سوء أدب مع الله، وتيئيس لهذا العبد أن الله لا يغفر له، وأكد ذلك باليمين على الله جَلَّوَعَلَا، كل هذه منكرات من اللفظ، الله جَلَّوَعَلَا ردها عليه، وقال له: (**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**)؛ لأنه أساء الأدب مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ففيه إحسان الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، والأدب مع الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لئلا يحبط عمل هذا القائل وهو لا يشعر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةِ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»**): (**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**)، فهذا رجل مسيء - والله أعلم- وهذا رجل عابد، فلما تكلم هذا الرجل بهذا الكلام السيئ في حق الله وأقسم على الله أنه لا يغفر لفلان، أنكر الله عليه ذلك (**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ**) أي: يحلف عليَّ ألا أغفر لفلان، قال الله جَلَّوَعَلَا: (**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**) نسأل الله العافية، كلمة سيئة قالها هذا الرجل أحبطت عمله، وسببت المغفرة لمن صدرت في حقه، ففيها إساءة الأدب مع الله، وسوء الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وفيها احتقار الرجل المسلم وإن أخطأ فإنه لا يُقنَّط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»):**
قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ راوي الحديث: هذا الرجل: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ» -والعياذ بالله-، كلمة واحدة، أي إساءة الأدب مع الله جَلَّ وَعَلَا، بل زاد الأمر إلى أنه حلف أن الله لا يغفر له، الله جَلَّ وَعَلَا رد عليه قوله وأنكره عليه، وسببت هذه الكلمة المغفرة لمن صدرت في حقه.

....

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِقْسَامِ عَلَى اللهِ).

ذكر المصنف فيه حديث جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قوله: (يَتَأَلَّى). أي: يحلف، والألية بالتشديد الحلف.

وصح من حديث أبي هريرة، قال البغوي في شرح السنة، وساق بالسند إلى عِكْرِمَةَ بْنِ عَمَّارٍ، نَا ضَمْضَمُ بْنُ جَوْسٍ، قَالَ: «دَخَلْتُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، فَنَادَانِي شَيْخٌ، فَقَالَ: يَا يَمَامِيُّ تَعَالَ، وَمَا أَعْرِفُهُ، فَقَالَ لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَدًا، وَلا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: وَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللهُ؟ قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذَا غَضِبَ، أَوْ لِزَوْجَتِهِ، أَوْ لِخَادِمِهِ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَحَابَّيْنِ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالآخَرُ كَأَنَّهُ يَقُولُ: مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُولُ خَلِّنِي وَرَبِّي، قَالَ: حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيْنَا رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ أَبَدًا، وَلايُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي، فَقَالَ:

لَا يَا رَبِّ، قَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»(١).

حيث أنه حلف أن الله لا يغفر لفلان، فسببت هذه الكلمة أن الله غفر للرجل المذنب وأحبط عمل القائل -نسأل الله العافية-، ففي هذا عظم ذنب من قنط النَّاس من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، بل زاد أنه حلف أن الله لا يغفر لعبده المذنب، والله جَلَّوَعَلَا غفور رحيم، الله غفر لهذا المذنب، وأحبط عمل هذا القائل الذي أساء الأدب مع الله، ويئس من رحمة الله لهذا العبد المذنب، ففيه خطر إساءة الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وفيه خطر الكلمة التي تغضب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على قائلها، فالإنسان يمسك لسانه، ولا يقول على الله، يحلف على الله ألا يغفر لعبده.

....

ش: ورواه أبو داود في سننه، وهذا لفظه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»(١).

قوله: «وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ». يشير إلى قوله في هذا الحديث: «أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ».

وفي هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام، كما في حديث معاذ: «يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»(٢). الله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٠١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٢٨)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٩٤)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٢٠)، والحاكم (٢/ ٤٤٧).

نسأل الله العافية، فهذا فيه خطر الكلام السيئ، والقنوط من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله غفورٌ رحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يغفر لعباده، وفيه إحسان الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، والنهي عن إساءة الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وأن العبد لا يتدخل مع الله في أنه لا يغفر لعبده، فإن الله يغفر الذنوب جميعًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قوله: «وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةِ أَنَّ القَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ». يشير إلى قوله في هذا الحديث: «أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ»**): الذي قال هذه الكلمة السيئة مجتهد في العبادة، فلما تكلم بهذه الكلمة أحبطت دنياه وآخرته - والعياذ بالله-، ففيه إحسان الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وفيه أن الله يغفر الذنوب جميعًا، ويتوب على المذنب مهما كان ذنبه، ومهما كانت خطيئته، فإن الله غفور رحيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وفي هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام**): هذا فيه خطر الكلام الذي يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يرجع على قائله بالخسار والعذاب، ففيه إحسان الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، وإحسان الأدب مع الله جَلَّ وَعَلَا، وفيه أنه مهما عظم الذنب، فإن رحمة الله أكبر، يتوب على من تاب، ويتوب على عباده، وهو التواب الرحيم، تواب: كثير التوب، الرحيم ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥]، فالله جَلَّ وَعَلَا غفور رحيم حليم كريم، فعلى المسلم أن يحسن الظن بالله، ويحسن الأدب مع الله، ويحسن الأدب مع عباد الله، ويحفظ لسانه من مزالق الكلام الخطرة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كما في حديث معاذ: «يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». الله أعلم): قال معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ» يعني: فقدتك أمك، وهذه كلمة يؤتى بها للإنكار على المقابل، وإن كان القائل لها لا يقصد معناها، وإنما هي كلمة تجري على الألسنة.

(«ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»): هل يَكُب الناس في النار على وجوههم -والعياذ بالله- إلا حصائد ألسنتهم، ففيه أن الإنسان يحفظ لسانه، ويتحذر من الكلام السيئ، حتى ولو كان على سبيل المزح، فإنه لا يجوز في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يجوز أيضًا في حق المسلمين.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِي عَلَى اللهِ.

الثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ» إِلَخ..

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ**): من عادة المصنِّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه إذا فرغ من الباب أتى بالمستنبطات، مستنبطات المسائل التي يستنبطها من الأحاديث، أو الآيات الواردة فيه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْأُولَى: التَّحْذِيرُ مِنَ التَّأَلِّي عَلَى اللهِ**): يعني: الحلف، من الحلف على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لما في ذلك من إساءة الأدب مع الله، وفيه اليأس من رحمة الله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: كَوْنُ النَّارِ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ**): النار قريبة، فهذا الرجل دخل النار فور ما تكلم بهذه الكلمة - والعياذ بالله-، أقرب من شراك نعله، أي: السير الذي في نعله.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْجَنَّةَ مِثْلُ ذَلِكَ**): أن الجنة قريبة كما أن النار قريبة من العباد، فعليهم أن يحسنوا الظن بالله في حقهم وفي حق إخوانهم، وأن يحفظوا ألسنتهم من الكلمات التي لا تليق في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفيه أن الإنسان لا ييأس من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ

لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٣، ٥٤].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: فِيهِ شَاهِدٌ لِقَوْلِهِ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ» إِلَخ..**): يهوي بها في النار سبعين خريفًا، سبعين سنة -والعياذ بالله-، ففي هذا أن النار لها قعر بعيد -والعياذ بالله-، سبعين خريفًا، سبعين سنة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الْأُمُورِ إِلَيْهِ**): لأن هذا الرجل قال هذه الكلمة في حق أخيه، فصارت سببًا في الخير له، لا يغفر الله لفلان، قال الله جَلَّ وَعَلَا: (**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟**) أي: يحلف علي ألا أغفر لفلان، (**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**).

٦٤- بَابُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

عَنْ جُبَيْرِبنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ يَارَسُولَ اللهِ نُهِكَتْ الأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ لَنَا ربك، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، وَبِكَ عَلَى اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سُبْحَانَ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حتى عُرِفَ ذَلكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قال: وَيْحَكَ أَتَدْرِي ما اللهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ(١).

ش: قوله: (بَابٌ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ).

وذكر الحديث وسياق أبي داود في سننه أتم مما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: «أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتْ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٥٧)، والآجري في الشريعة (٣٠٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٤)، والطبراني في الكبير (١٥٤٧).

-وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ-، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».
قَالَ ابْنُ يَسَارٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ»[(١)].

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قوله: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»، فإنه تعالى رب كل شيء ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، والخلق وما في أيديهم ملكه، يتصرف فيهم كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه؛ ولهذا أنكر على الأعرابي قوله، وسبح لله كثيرًا وعظمه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق -سبحانه وبحمده- إن شأن الله أعظم من ذلك.

وفي هذا الحديث: إثبات علو الله على خلقه، وأن عرشه فوق سماواته.

وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة، خلافًا للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم، كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وضعت له، ودلت عليه من إثبات صفات الله -تعالى- التي دلت على كماله -تعالى-، كما عليه السلف الصالح والأئمة، ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة، فإنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله، من صفات كماله على ما يليق بجلاله، وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مفتاح دار السعادة- بعد كلام سبق فيما يعرف العبد بنفسه، وبربه من عجائب مخلوقاته- قال بعد ذلك: والثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها، وملكوتها، وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته، وعظمته، وجلاله، ومده، ورفعته، ويرى السماوات السبع، والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح، والتحميد، والتقديس، والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك، والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها.

فينزل الأمر بإحياء قوم، وإماتة آخرين، وإعزاز قوم، وإذلال آخرين، وإنشاء ملك، وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل، وقضاء الحاجات على اختلافها، وتبيانها، وكثرتها من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلاف لغاتها، وتبيانها، واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيئته، خاشعًا لعظمته، عانيًا لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين، سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفر القلب، وهو

في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فياله من سفر ما أبركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. اهـ. كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

وأما الاستشفاع بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصًّا به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل كل حي يرجى أن يستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»(٢)، وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته على قبره، وفي غير ذلك، وهذ هو الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر:١٣، ١٤]، فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة، أي: ينكره ويعادي من فعله، كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦] فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب، ولا ينفع ولا يضر.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة (ص٢١٧).
(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وأحمد (١/ ٣٢٥)، والبزار (١/ ٢٣١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٥/ ٤١٢).

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم، ولا عن غيره أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب، كما وقع لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمره أن يستسقي(١)؛ لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والسابقون الأولون بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت؛ لأن المقصود من الحي دعاءه إذا كان حاضرًا، فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع إليه، وهم يدعون ربهم، فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع ضل وأضل.

ولو كان دعاء الميت خيرًا لكان الصحابة إليه أسبق، وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم، فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك. وبالله التوفيق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(بَابُ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ)** لا يستشفع بالله؛ لأن المشفوع عنده أعلى من المشفوع له، فلا يستشفع بالله على أحد من خلقه، أي: لا تجعل الله واسطة بينك وبين مخلوق، توسط الله عَزَّ وَجَلَّ في ذلك، فإن شأن الله أعظم من ذلك؛ فلا يستشفع بالله على أحد من خلقه؛ لأن المستشفع عنده يكون أعظم من المشفوع له، والله لا يستشفع به على أحد من خلقه، عكس ما عليه المشركون: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠، ٣٧١٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: (بَابٌ لا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى خَلْقِهِ). وذكر الحديث وسياق أبي داود في سننه أتم مما ذكره المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: «أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتْ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ لَهَكَذَا». وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، «وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ») العرش يئط بالله عَزَّ وَجَلَّ كأطيط الرحل الذي هو القتب الذي على البعير، مما يدل على عظم الله جَلَّ وَعَلَا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قَالَ ابْنُ يَسَارٍ فِي حَدِيثِهِ: «إِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ»).

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

قوله: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»، فإنه تعالى رب كل شيء ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع،

ولا راد لما قضى، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا، إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، والخلق وما في أيديهم ملكه، يتصرف فيهم كيف يشاء، وهو الذي يشفع الشافع إليه؛ ولهذا أنكر على الأعرابي قوله، وسبح لله كثيرًا وعظمه؛ لأن هذا القول لا يليق بالخالق -سبحانه وبحمده- **إن شأن الله أعظم من ذلك)**: هذا فيه الرد على المشركين الذين يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا الحديث: إثبات علو الله على خلقه، وأن عرشه فوق سماواته)**: الله جَلَّ وَعَلَا عال على خلقه، فوق سماواته، مستو على عرشه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأن عرشه فوق سماواته)**: العرش فوق السماوات، والسماوات تحت العرش، والله جَلَّ وَعَلَا فوق العرش، الله جَلَّ وَعَلَا علي عظيم كريم جواد بر رؤوف رحيم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفيه تفسير الاستواء بالعلو)**: استوى على العرش يعني: علا عليه، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] يعني: علا على العرش وارتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عرشه، والعرش سقف المخلوقات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة، خلافًا للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم، كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في أسماء الله وصفاته، وصرفها عن المعنى الذي وضعت له، ودلت عليه من إثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله -تعالى-، كما عليه السلف الصالح**

والأئمة، ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة): الله جَلَّ وَعَلَا يجل ويعظم، ولا يقال في حقه إلا ما صحت به الأدلة عن الله، أو عن رسله -عليهم الصلاة والسلام-، فلا يجوز لأحد أن يتكلم في حق الله بما لا دليل عليه من كتاب الله ولا من سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله، من صفات كماله على ما يليق بجلاله، وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل)**: (إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل) هاتان العبارتان عبارتان عظيمتان، مستوحاة من نصوص الكتاب والسنة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في مفتاح دار السعادة- بعد كلام سبق فيما يعرف العبد بنفسه، وبربه من عجائب مخلوقاته- قال بعد ذلك:**

والثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها، وملكوتها، وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته، وعظمته، وجلاله، ومده، ورفعته، ويرى السماوات السبع، والأرضين السبع بالنسة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح، والتحميد، والتقديس، والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك، والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها.

فينزل الأمر بإحياء قوم، وإماتة آخرين، وإعزاز قوم، وإذلال آخرين، وإنشاء ملك، وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل، وقضاء الحاجات

على اختلافها، وتباينها، وكثرتها من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلاف لغاتها، وتباينها، واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم): كلام عظيم نفيس في حق الله – سبحانه–، مستوحى من النصوص الصحيحة، فشأن الله جَلَّ وَعَلَا أعظم من ذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيئته، خاشعًا لعظمته، عانيًا لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين، سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفر القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فياله من سفر ما أبركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. اهـ. كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ): رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامه في مفتاح دار السعادة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الاستشفاع بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته، فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصًا به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل كل حي يرجى أن يستجاب له، فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة): ما تمتنع من أن تطلب من أخيك أن يدعو الله لك لأي غرض من الأغراض التي فيها

نفع لك، وفيها خير لك، فلا مانع أن تطلب من أخيك المسلم أن يدعو الله لك، ويشفع عند الله لك، كل هذا مما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين عباده، ينفع بعضهم بعضا بالدعاء، والاستغفار، والترحم عليهم... وغير ذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة: «لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ»)**: ففرح بها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فرح بهذه الكلمة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته على قبره، وفي غير ذلك، وهذ هو الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع)**: دعاء الميت لا يشرع، ولا يطلب من الميت شيء، وإنما يطلب من الله الحي الذي لا يموت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والميت قد انتهى عمله، فلا يطلب منه شيء، بخلاف الذين يدعون الأموات، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، فهذا شرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، أن تطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته على قبره، وفي غير ذلك، وهذ هو الذي يشرع في حق الميت)**: الميت يشرع له الدعاء، ولا يطلب منه شيء ولا يطلب منه دعاء ولا شيء، ولا شفاعة من الميت، وإنما يدعى له ويستغفر له، ويترحم عليه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي والوعيد عليه، كما قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ

مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ [فاطر:١٣، ١٤])‏: القطمير هو اللفافة التي على نواة التمر، وهي شيء ضعيف جدًّا، ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾، ولا هذا الشيء الضعيف.

قوله: (﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾) ﴿إِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأموات، ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ أي: الذين يدعون الأموات، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ أي: لا يستطيعون ما تطلبون منهم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يتبرؤون منكم يوم القيامة، في الموقف الضيق يتبرؤون منكم، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع، ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة، أي: ينكره ويعادي من فعله، كما في آية الأحقاف:** ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦]): فالذين يعبدون الأموات ويتقربون إليهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، يوم القيامة يتبرؤون منهم، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف:٦]): يتبرأ يوم القيامة الذين عبدوا في الدنيا، وطلب منهم ما

لا يقدرون عليه، يتبرؤون ممن دعاهم وتقرب إليهم في أحوج ما كان هؤلاء -والعياذ بالله-.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فكل ميت أو غائب لا يسمع، ولا يستجيب، ولا ينفع ولايضر)**: كل ميت أو غائب، الغائب حتى لو هو حي، صار غائب لا يسمع دعاءك، ولا يسمع ما تقول.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ**، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم، ولا عن غيره أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب)**: كانوا يطلبون من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حي، ويستجيب لهم الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعو لهم، ويشفع لهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن بعد مماته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يطلب منه شيء أبدًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(كما وقع لعمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **لما خرج ليستسقي بالناس، خرج بالعباس عم النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فأمره أن يستسقي؛ لأنه حي حاضر يدعو ربه، فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ**، والسابقون الأولون بالنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**)**: ما ورد ولا أثر أنهم طلبوا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته شيئًا، بل كانوا يطلبون من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحي الذي لا يموت القادر المقتدر، يطلبون من الله جَلَّ وَعَلَا، لا يطلبون من الأموات شيئًا، بخلاف الذين يدعون الأموات وإذا أنكر عليهم قالوا: هؤلا شفعاؤنا عند الله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت؛ لأن المقصود من الحي دعاءه إذا كان حاضرًا، فإنهم في الحقيقة إنما توجهوا إلى الله بطلب دعاء من يدعوه، ويتضرع إليه، وهم يدعون ربهم، فمن تعدى المشروع إلى ما لا يشرع**

ضل وأضل): الذي يطلب من الحي هو الدعاء، أن يدعو لأخيه المحتاج وغير المحتاج، يدعو لأخيه هذا المطلوب، وهذه الشفاعة التي شرعها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنك تدعو لأخيك، وتستغفر لأخيك، أنك تساعد أخاك بما تستطيع.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولو كان دعاء الميت خيرًا لكان الصحابة إليه أسبق، وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم)**: الميت لا يطلب منه شيء؛ لأنه ميت، وقد انتهى عمله، فلا يطلب من الأموات شيء، إنما يطلب من الحي أن يستغفر لك، أن يدعو الله لك، أن يساعدك بما جرت العادة فيه بالمساعدة، فالحي يطلب منه؛ لأنه يقدر، أما الميت فلا يطلب منه شيء؛ لأنه قد انتهى عمله، وطويت صحائفه، فلا يطلب من الميت شيء، خلاف الذين يدعون الأموات، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك. وبالله التوفيق)**: هذا هو الحق، من تمسك بكتاب الله نجا، ومن اعتمد على عقله هلك، أوعلى العادات والتقاليد الباطلة.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: نَسْتَشْفِعُ بِاللَّه عَلَيْكَ.

الثَّانِيَةُ: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّه».

الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ: «سُبْحَانَ اللَّه».

الْخَامِسَةُ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ الِاسْتِسْقَاءَ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَى: إِنْكَارُهُ عَلَى مَنْ قَالَ: نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ**): فجعل الله شافعًا عند المخلوق.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: تَغَيُّرُهُ تَغَيُّرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ**): لما قال: نستشفع بالله عليك، فجعل الله شفيعا عند عبده، وهذا منكر عظيم - والعياذ بالله -.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ»**): أما الاستشفاع بالمخلوق القادر، فهذا أمر جائز، ونافع أيضا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى تَفْسِيرِ: «سُبْحَانَ اللهِ»**): التنزيه يعني: سبحان الله أي: ينزه الله جَلَّ وَعَلَا.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْخَامِسَةُ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَهُ الِاسْتِسْقَاءَ**): يعني: طلب السقيا، فإذا أجدبت البلاد طلبوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يستغيث لهم، وأن يطلب الغوث من الله، وإنزال الغيث من الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨].

٦٥- بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: (انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»). رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ[١].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللهُ تَعَالَى». رَوَاهُ النَّسَائِي بِسَنَدٍ جَيِّدٍ[٢].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ). حمايته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال، والأعمال التي يضمحل معها التوحيد، أو ينقص وهذا كثير في السنة الثابتة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كقوله: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»[٣]، وتقدم قوله: «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٠٦).

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ٧١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يُسْتَغَاثُ بِاللهِ»[(١)]. ونحو ذلك.

ونهى عن التمادح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنسانًا: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ...»[(٢)]. الحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: أَنَّ رَجُلًا أَثْنَى عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ: «قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،...[(٣)]، وقال: «إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»، أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد بن الأسود[(٤)].

وفي هذا الحديث نهى عن أن يقولوا: «أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، ونهاهم أن يقولوا: «وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ».

وكذلك قوله في حديث أنس: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا،...» إلخ. كره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يواجهوه بالمدح فيفضي

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، في مسند عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو من القسم المفقود من المعجم. وذكره الهَيْثَمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٥٩) وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، غير ابن لَهِيعةَ، وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق.

وأخرجه أحمد (٣٧/ ٣٨٠- ٣٨١): عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَقُولُ: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُومُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقَامُ لِي، إِنَّمَا يُقَامُ للهِ»».

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٦٢، ٦٠٦١، ٦١٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٠٥).

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٠٢)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٢).

بهم إلى الغلو، وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه- ولو بما هو فيه- من عمل الشيطان، لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد، فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأن لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها، والمعاتبة لها في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات، ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتى أخلص العبد الذل لله، والمحبة له، خلصت أعماله وصحت، ومتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب دخل على مقام العبودية بالنقص أو الفساد، وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها، وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة، كما في الحديث: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِـي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عذَّبتُهُ»(١)، وفي الحديث: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»(٢)، وهذه الآفات قد تكون محبة المدح سببًا لها، وسلماً إليها، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحًا لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك، ووسائله: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة:٥٩]، ورأو أن فعل ما نهاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن فعله قربة من أفضل القربات، وحسنه من أعظم الحسنات!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ)، هذه الترجمة ترجمة مفيدة، وهي أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حمى التوحيد، وهو كذلك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قد حمى التوحيد، وسد كل الطرق المفضية إلى الشرك، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يشعرون، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سد عنا كل طرق الشرك المفضية إليه، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا وأبدًا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ قَالَ: «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاودَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ): هذا فيه سد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لطرق الشرك؛ لأنه قال: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حمى أمته من الشرك ظاهره

وباطنه، وهذا من نصحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، فهو ما رضي أن يقولوا أنت سيدنا وابن سيدنا، وإنما رضي بالذي أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه رسول الله إلى الناس كافة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهذا من حرصه على أمته من الغلو الذي يفضي إلى الشرك، فهو سد الطريق إلى الشرك عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَعَنْ أَنَسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيهَا اللهُ تَعَالَى». رَوَاهُ النَّسَائِي بِسَنَدٍ جَيِّدٍ)**: وهذا من كمال نصحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه نصح من سمعهم يقولون: أنت سيدنا وابن سيدنا، وأمر أن يقال فيه ما سماه ربه به، أنه رسول الله، وكفى بها منزلة عظيمة، نور الله بها نبيه محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو الشرف العظيم، والمكانة العظمى له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ النَّبِيِّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِمَى التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ طُرُقَ الشِّرْكِ). حمايته** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال، والأعمال التي يضمحل معها التوحيد، أو ينقص وهذا كثير في السنة الثابتة عنه** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **كقوله: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ»)**: هذه الكلمة منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»** ما رضي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يقال له: أنت سيدنا وابن سيدنا، مع أنه بالفعل هو سيدهم وابن سيدهم، لكنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حذر من الغلو، فحذرهم من هذه الكلمة التي معناها صحيح، لكنه خشي

على أمته من الغلو في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا من تواضعه ونصحه لأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه خشي عليها ما وقعت فيه الأمم السابقة من غلوهم في أنبيائهم، كالذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وتقدم قوله: «إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ». ونحو ذلك)**: لما قال رجل: قوموا بنا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نستغيث به من أذى هذا المنافق، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ**»، هذه اللفظة خاصه بالله عَزَّوَجَلَّ، فنهاهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قولها؛ لأنها من الغلو والإطراء، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينهى عن ذلك أشد النهي، ويحذر منه أشد التحذير، من كمال نصحه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لأمته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ونهى عن التمادح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنسانًا: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ...». الحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن ابن أبي بكرة عن أبيه: أَنَّ رَجُلًا أَثْنَى عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَالَ لَهُ: «قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»)**: رجل أثنى على صاحبه بحضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرجل يسمع، ففيه النهي عن مدح الإنسان في وجهه؛ لأن هذا قد يعجبه بنفسه، فهذا من كمال نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وقال: «إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»، أخرجه مسلم، والترمذي، وابن ماجه عن المقداد بن الأسود)**: «**إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ**» إذا رأيتم المداحين الذين يمدحون الناس في وجوههم «**فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**»، إهانة لهم وتحذيرًا من فعلهم، وهذا من كمال نصحه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي هذا الحديث نهى عن أن يقولوا: «أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ**»، ونهاهم أن يقولوا: «وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»)**: فلما زادوا في الكلام، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخبر أن هذا من استجراء الشيطان لهم، فعليهم أن يمسكوا ألسنتهم عن مثل هذا الكلام، وأين هذا من قول القائل: يارسول الله: اشفع لنا عند الله، فهم طلبوا منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشفع لهم عند الله عَزَّوَجَلَّ مع أنه هو الشافع عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لأمته، ولكنه خشي عليهم من الغلو والتطاول في المدح.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك قوله في حديث أنس: «أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا،...» كره** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو)**: نعم أن يوجهوه بالمدح صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أهل للمدح، والله مدحه في أعظم من هذا الكلام، ولكنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحب المواجهة بالمدح لما يفضي إليه هذا الكلام من الغلو الذي يفضي بصاحبه إلى ما لا تحمد عقباه، وأين هذا الكلام من قول القائل: يا رسول الله أنت سيدنا وابن سيدنا؟ مع أن هذا كلام صحيح، لكنه خشي عليهم من الغلو في حقه، وأن يستجريهم الشيطان إلى ما هو أعظم منه، كما قال القائل(١):

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمَمِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

---

(١) انظر: ديوان البوصيري (ص٢٥٢).

كما هو في البردة، والبردة المديح التي فيها الغلو في حقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد غلا في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:

إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وأخبر** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه- ولو بما هو فيه- من عمل الشيطان، لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه، وذلك ينافي كمال التوحيد)**: غاية الذل لله عَزَّوَجَلَّ مع غاية المحبة لله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو اللائق بالمسلم أن يقوله فيمن يمدحه، ولا يغلو في مدحه إلى هذا الحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله -تعالى-، وأن لايرى نفسه إلا في مقام الذم لها، والمعاتبة لها في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات)**: لا يكون الحب لله عَزَّوَجَلَّ إلا إذا كان يدور مع هذا القطب العظيم، وهو معرفة العبد لقيمته عند الله عَزَّوَجَلَّ، وذله بين يديه، فهذا يخشى على صاحب مثل هذا الكلام من الغلو، والخروج عن دائرة العبودية لله عَزَّوَجَلَّ، فأين هذا من قول صاحب البردة؟!.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه، والمادح يغره من نفسه فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتى أخلص العبد الذل لله، والمحبة له، خلصت أعماله وصحت، ومتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب دخل على مقام**

العبودية بالنقص أو الفساد): وهو كذلك، فالمدح الزائد يفضي بالممدوح إلى أن يعجب في نفسه، وحينئذ يقع في الهلاك، فالواجب أن الإنسان يقصر لسانه عن المدح الزائد في وجه الممدوح، وأن يقوله له ما يطمئنه إلى مكانته عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يعجبه بنفسه فيقع في المحذور.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها، وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة، كما في الحديث: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عذَّبتُهُ»)**: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: **«الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِزَّةُ إِزَارِي»** هذا في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **«فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عذَّبتُهُ»**، ففيه الحذر من مدح الإنسان ولو كان مادحه محقًّا، لكن لا يحمله المادح على الإعجاب بنفسه، فيتعاظم في نفسه، فيهلك -والعياذ بالله-. وعلى المسلم أن يمدح أخيه بما فيه، ولا يزيد عن ذلك، وإن ترك المدح فهو خير له.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وفي الحديث: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»)**: لأنه إذا داخله الكبر بسبب المدح، فإن عليه هذا الوعيد الشديد، أن يحرم من دخول الجنة، وهذا خطر عظيم ينبغي تلافيه والابتعاد عنه؛ حماية للتوحيد وإقرارًا به، فهذا حق لله عَزَّوَجَلَّ لا يبلغه أحد من خلقه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو حق له - سبحانه-، فلاينبغي الزيادة بحق المخلوق، ومدحه في وجهه حتى يعجب بنفسه فيهلك، ولهذا يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»**(١)؛ لأجل ردعهم عن هذه الجرأة في الغلو بالمخلوق حتى يعجب هذا المخلوق في نفسه، فيقع في الهلاك، كما قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٧٠).

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وهذه الآفات قد تكون محبة المدح سببًا لها، وسلمًا إليها، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)**: يعجب في نفسه، فيذهب إعجابه بنفسه إلى أكل حسناته، وحينئذ إذا لم تبق له حسنة، فإنه يهلك -والعياذ بالله-، فهذا فيه سد لذرائع الشرك من جميع الوجوه، وترك المدح الزائد الذي يفضي إلى صاحبه للإعجاب بنفسه كما قال صاحب البردة، والمشركون إنما كانوا يقولون لمن يمدحونهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس:١٨]، فسمى هذا شركًا، وهؤلاء الذين يبنون البنيات، ويجلسون عندها؛ يريدون من الناس المدح لهم، قد أهلكوا أنفسهم - والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك)**: فهذا ما يفضي إليه الغلو في المدح، أنه يفضي إلى الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ كما أفضى بالمشركين الأوليين أنهم وقعوا في الشرك بسبب المدح الزائد، والمبالغة في المدح، فهذا فيه التحذير الشديد من هذا الخطر العظيم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والنبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحًا لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك، ووسائله:**

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة:٥٩]، **ورأو أن فعل ما نهاهم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عن فعله قربة من أفضل القربات، وحسنه من أعظم الحسنات!)**: فمدحوا ممدوحيهم بما أفضى بهم إلى الإعجاب بأنفسهم؛ وحينئذ هلكوا، فهذا ما حذر منه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكفى قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا لَقِيتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**»[1] تحذيرًا من هذا المنتهى الذي انتهى بهم، فعلى المسلم أن يمسك لسانه عن المدح الزائد والمبالغة فيه، فما أوقع المشركين فيما وقعوا فيه إلا هذا الجانب، جانب المدح للمخلوق حتى يعجب بنفسه، فيقع في الهلاك، والإنسان مهما كان فهو ضعيف، فعلى المسلم أن يتجنب هذا الخطر، وهذا المدح الذي يفضي به ويفضي بالممدوح إلى ما لا تحمد عقباه، فما وقع المشركون فيما وقعوا فيه إلا من هذا الجانب، وهو جانب الغلو في المدح.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٧٠).

....

ش: وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك.

قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: (اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل له: «أَنْتَ سَيِّدُنَا»، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»(١)، وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيد كندة، ولا يقال: الملك سيد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولى والرب، لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق). انتهى(٢).

قلت: فقد صح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الأنعام:١٦٤]. أي: «سَيِّدًا وَإِلَهًا»(٣)، وقال في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢] أنه السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) انظر: بدائع الفوائد (٣/ ٧٢٩، ٧٣٠).
(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٢/ ١٧٨).
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤٧٤)، وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٣٨٣).

وقال أبو وائل: (هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَى سُودَدُهُ)(١).

وأما استدلالهم بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»، فالظاهر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفصيل والله أعلم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك. قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: (اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل له: «أَنْتَ سَيِّدُنَا»، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»)): هذا يعني: إذا كان فعلا هذا الممدوح قد بلغ هذه المرتبة، وأُمِنَ الإعجاب في جانبه، فقد يجوز مثل هذا من باب تذكير الممدوح بنعمة الله عليه، ولكن على كل حال سد الطرق المفضية إلى الشرك أمر واجب، ويقتصر على المدح الذي لا يفضي بصاحبه إلى هذا الحد.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصار: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»، وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيد كندة، ولا يقال: الملك سيد البشر، قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولى والرب، لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق). انتهى): فهذا فيه نظر كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن على

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا- كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:٢] (٦/ ١٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٠٠).

كل حال إذا أمنت الفتنة، وكان الممدوح فيه هذه الخصلة فلا مانع، قد قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ**»، فسماه سيدًا، أو وصفه بالسؤدد إذا أُمنت الفتنة في هذا؛ لأن هذا الذي قيلت فيه هذه الكلمة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ، إذا أمنت فيه، فلا بأس بأن يحدث بنعمة الله عليه.

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: (**قلت: فقد صح عن ابن عباس** رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا **أنه قال في معنى قول الله -تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾** [الأنعام:١٦٤]. **أي: «سَيِّدًا وَإِلَهًا»**): ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [الأنعام:١٦٤].

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: (**قلت: فقد صح عن ابن عباس** رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا **أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾** [الأنعام:١٦٤]. **أي: «سَيِّدًا وَإِلَهًا»**): أي: إلهًا وسيدًا بما دل على ترك هذه الألفاظ التي تفضي إلى المحذور؛ تجنبا لهذا المحذور - كما قال ابن القيم رَحِمَهُاللَّهُ-.

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: (**وقال في قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾** [الإخلاص:٢] **أنه السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد. وقال أبو وائل: هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَى سُودَدُهُ**): الصمد يعني: السيد الذي تصمد الخلائق إليه بحوائجها.

قوله رَحِمَهُاللَّهُ: (**وأما استدلالهم بقول النبي** صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **للأنصار: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»، فالظاهر أن النبي** صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفصيل والله أعلم**): وهذا توجيه سليم.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ.

الثَّانِيَةُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: أَنْتَ سَيِّدُنَا.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا الْحَقَّ.

الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَى: تَحْذِيرُ النَّاسِ مِنَ الْغُلُوِّ**): المسألة الأولى تحذير الناس من الغلو الذي يوقع في المحذور، ويجر هذا المخلوق إلى الإعجاب بنفسه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ مَنْ قِيلَ لَهُ: أَنْتَ سَيِّدُنَا**): أن يقول ما قاله الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**السَّيِّدُ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: «وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا إِلَّا الحَقَّ**): الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خشي أن الشيطان يجرهم إلى ماهو أعظم منه، فلذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»، فإذا كان هذا فيه مدخل للشيطان، فإنه يجتنب.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي»**): قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي**» هذا تواضع منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه عَزَّ وَجَلَّ.

٦٦- بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

ش: قوله: (بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧]). أي: من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة.

قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ أي: ما قَدَّرَ الْمُشْرِكُونَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: «نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ».

وَقَالَ السُّدِّيُّ: «مَا عَظَّمُوهُ حَقَ عَظَمَتِهِ»(١).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «لَوْ قَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَا كَذَّبُوهُ»(٢).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ هُمُ الْكُفَّارُ الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عَلَيْهِمْ».

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٥) عن السدي، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٤١) عن السدي عن أبي مالك.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٤١) عن محمد بن كعب قال: (وما علموا كيف هو حيث كذبوه).

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالطَّرِيقُ فِيهَا وَفِي أَمْثَالِهَا مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧])، قال الله جَلَّ وَعَلَا عن نفسه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، فالله جَلَّ وَعَلَا عظيم كريم جواد بر رؤوف رحيم، والخلق ما قدروه حق قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن قدره عظيم، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ جميع الأرض بطباقتها مع سعتها وترامي أطرافها هي قبضة الله -سبحانه-، ويوم القيامة، يقبضها جَلَّ وَعَلَا فيقول: «**أَنَا المَلِكُ**».

فهذا دليل على عظمته أنه يقبض الأراضين السبع جميعًا جَلَّ وَعَلَا، والخلق لم يعرفوا قدر ربهم الذي هذه عظمته وكبرياؤه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكنه -سبحانه- غفور رحيم، يغفر لهم ويقبل أعمالهم، وإن كانت يسيرة في جانب حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله:(بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧]). أي: من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة. قال العماد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ أي: ما قَدَّرَ الْمُشْرِكُونَ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ حِينَ عَبَدُوا

مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ المَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: «نَزَلَتْ فِي قُرَيْشٍ». وَقَالَ السُّدِّيُّ: «مَا عَظَّمُوهُ حَقَ عَظَمَتِهِ».

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: «لَوْ قَدَّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَا كَذَّبُوهُ». وَقَالَ عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ هُمُ الْكُفَّارُ الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عَلَيْهِمْ»)**، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ هذا تفسير لهذه الآية، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، فهذا فيه بيان عظمة الله، وكبريائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن هذه الأراضين على سعتها تكون قبضة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والسماوات تطوى بيمينه على سعتها وامتدادها، فهذه كناية عن عظمة الله وكبريائه، والخلق لم يعرفوا هذا، لم يعرفوا عظمة الله وكبريائه، وأن هذه المخلوقات في عظمتها وكبرها كلها تضمحل بجانب عظمة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ هُمُ الْكُفَّارُ الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عَلَيْهِمْ»)** ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ يعني: ما ءامنوا بعظمته وكبريائه الذي هذا وصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات السبع وهي أوسع من الأرض مطويات بيمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا الرب عظيم جليل يجب على كل مسلم أن يعرف قدره، وأن يعبده حق عبادته.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالطَّرِيقُ فِيهَا وَفِي أَمْثَالِهَا مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَهُوَ إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ**

تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ)، هكذا في جميع الأسماء والصفات العظيمة الجليلة أنها تمر كما جاءت من غير تكييف ولا تعطيل، وإنما نؤمن بها ونثبتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على ما يليق بجلاله وعظمته، فهو أعظم -سبحانه- من هذه المخلوقات، فلا غرابة إذا كانت هذه المخلوقات بالنسبة إليه بهذه القلة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَحْرِيفٍ**) صفات الله جَلَّ وَعَلَا تمر كما جاءت، (**مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ**) يعني: ادعاء لمعرفة كيفيتها، ومن غير تحريف لها عما جاءت، بل تثبت كما جاءت، والله جَلَّ وَعَلَا عظيم، لا يحاط بعظمته وكبريائه، وإنما يتعرف إلى خلقه، وعلى لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمثل هذا الحديث العظيم.

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآيَة.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَنَا اللهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِي: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ». أَخْرَجَاهُ[(١)].

ش: وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب قال: وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ صَحِيحِهِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنَيْهِمَا، كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِنَحْوِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٤٦، ٤٤٧).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَبَلَغَكَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَحْمِلُ الخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالسَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية»(١).

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ -مِنْ طُرُقٍ- عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الحُسَيْنُ بْنُ حَسَنٍ الْأَشْقَرُ، حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى- السَّمَاءَ عَلَى ذِهْ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْأَرْضَ عَلَى ذِهْ، وَالمَاءَ عَلَى ذِهْ، وَالجِبَالَ عَلَى ذِهْ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى ذِهْ، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾»(٢).

كَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّلْت، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي كُدَيْنَةَ يَحْيَى بْنُ الْمُهَلَّبِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى مُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ، بِهِ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٢٩)، والترمذي (٣٢٤٠).

ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ، عَنِ ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟». تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ -فِي مَوْضِعٍ آخَرَ-: حَدَّثَنَا مُقَدَّمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَرَضِينَ، وَتَكُونُ السَّمَاءُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ». تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ(١).

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى بِلَفْظٍ آخَرَ أَبْسَطَ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ وَأَطْوَلَ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢، ٧٤١٣) من الطريق المذكور موصولًا ومعلقًا.
وأخرجه البخاري (٦٥١٩، ٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من طريق ابن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعًا.

الْمُتَكَبِّـرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ»، فَرَجَفَ بِرَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ».اهـ. (١) (٢).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: « جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ الآية.**

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللهُ».

وَفِي رِوَايَةٍ لِلبُخَارِي: «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ». أَخْرَجَاهُ) هذه عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أنه يوم القيامة يجعل هذه المخلوقات العظيمة على أصابعه -سبحانه-، ففيها إثبات الأصابع لله عَزَّ وَجَلَّ، وفيه عظمة الله حيث إنه يجعل هذه المخلوقات العظيمة الكبيرة على أصابعه، ثم يقول: أنا الله، أين الجبارون والمتكبرون؟! حينئذ تظهر عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عيانًا للمخلوقين، فيعرفوا قدره وعظمته

---

(١) أخرجه أحمد (٩/ ٣٠٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١١٣-١١٥).

وجلاله وكبريائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن هذه المخلوقات قليلة بالنسبة إلى عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في هذا الباب قال: وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ أَيْضًا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ صَحِيحِهِ، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ سُنَنَيْهِمَا، كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَسْعُودٍ،** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **بِنَحْوِهِ.**

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَبَلَغَكَ أَنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **يَحْمِلُ الْخَلَائِقَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالسَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالثَّرَى عَلَى أُصْبُعٍ؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ الآية».**

وَهَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ -مِنْ طُرُقٍ- عَنِ الْأَعْمَشِ بِهِ)، فهذا فيه إثبات عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن هذه المخلوقات العظيمة بالنسبة إليه صغيرة، وأنه يقبضها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أصابعه جَلَّ وَعَلَا، فهذا فيه إثبات عظمة الله وكبريائه، وأنه لا يحاط به -سبحانه- لا يحاط به علما، فالواجب علينا إمرارها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، على حد قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ حَسَنٍ الْأَشْقَرُ، حَدَّثَنَا أَبُو كُدَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَرَّ يَهُودِيٌّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ جَالِسٌ، فَقَالَ: كَيْفَ تَقُولُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ يَوْمَ يَجْعَلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ السَّمَاءَ عَلَى ذِهْ وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْأَرْضَ عَلَى ذِهْ، وَالْمَاءَ عَلَى ذِهْ، وَالْجِبَالَ عَلَى ذِهْ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى ذِهْ، كُلُّ ذَلِكَ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾.

كَذَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّلْت، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي كُدَيْنَةَ يَحْيَى بْنُ الْمُهَلَّبِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى مُسْلِمُ بْنُ صُبَيْحٍ، بِهِ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ) حسن صحيح يعني: حسن من طريق، وصحيح من طريق أخرى، والواجب إثباته كما جاء من غير تحريف له ولا تكييف ولا تعطيل، على حد قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، هكذا الواجب على المسلم في مثل هذه النصوص، أن يسلمها لله عَزَّ وَجَلَّ وأن يعرف أن الله أعظم من ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ مُسَافِرٍ، عَنِ ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَقْبِضُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟». تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ) يقول الله جَلَّ وَعَلَا عن نفسه: (أَنَا الْمَلِكُ) يعني: الملك وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ،

وهذه عظمته أنه يجعل هذه المخلوقات الهائلة العظيمة كل مخلوق منها على إصبع من أصابعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا دليل على عظمة الله وكبريائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالواجب الإيمان بهذا كما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»**) فيقول جَلَّ وَعَلَا: «**أنا الملك، أين ملوك الأرض؟!**» فالملوك كلها تصغر عند عظمة الله جَلَّ وَعَلَا وكبريائه، وإن كان في الناس عظمة في صدورهم، لكن الله جَلَّ وَعَلَا أعظم وأجل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَالَ الْبُخَارِيُّ -فِي مَوْضِعٍ آخَرَ-: حَدَّثَنَا مُقَدَّم بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي الْقَاسِمُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَومَ القِيَامَةِ الأَرَضِينَ، وَتَكُونُ السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ». تَفَرَّدَ بِهِ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ.**

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى بِلَفْظٍ آخَرَ أَبْسَطَ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ وَأَطْوَلَ، فَقَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يَعْنِي ابْنَ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **«أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، وَرَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ**

هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يُقْبِلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ»، فَرَجَفَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيَخِرَّنَّ بِهِ».اهـ.)** رج المنبر بالرسول صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **تعظيمًا لله** عَزَّوَجَلَّ لما تكلم النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن عظمة الله عليه على هذا المنبر ارتج المنبر من عظمة الله، تعظيما لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، فحري بالمخلوقين جميعًا أن يشعروا بهذا الشعور نحو ربهم سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ويعظموه حق تعظيمه.

وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»(١).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِ اللهِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»(٢).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: فَحَدَّثني أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»(٣).

قَالَ: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»(٤).

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٣) معلقًا، ومسلم (٢٧٨٨) موصولًا مرفوعًا من طريق عمر ابن حمزة، عن سالم، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه البخاري (٧٤١٢) مرفوعًا مختصرًا من طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٥٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، والذهبي في العلو (ص١١٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٦).

أَعْمَالِكُمْ»[(١)]. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ. وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ[(٢)].

وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[(٣)].

ش: قوله: (وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ.. الحديث). كذا في رواية مسلم.

قال الحميدي[(٤)]: وهي أتم[(٥)]، وهي عند مسلم من حديث سالم عن أبيه.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٤٧)، والتوحيد لابن خزيمة (٢/ ٨٨٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٦)، والديلمي في الفردوس (٤/ ٧٨)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٠٥).

(٢) انظر: العلو للذهبي (ص٤٥، ٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (١/ ٢٠٦).

(٤) هو أبو عبد الله الحميدي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد، الحافظ العلامة، مؤلف الجمع بين الصحيحين، توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، صحب ابن حزم، وابن عبد البر، ورحل إلى الحجاز ومصر والشام والعراق، وكان ظاهري المذهب. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ١٢٠)، وطبقات الحفاظ (ص٤٤٦).

(٥) انظر: الجمع بين الصحيحين (٢/ ١٨٤).

وأخرجه البخاري من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «إِنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضِينَ، وَتَكُونُ السَّمَاءُ بِيَمِينِهِ». وأخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم[1].

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله، وعظيم قدرته، وعظم مخلوقاته، وقد تعرف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته، وكلها تعرف وتدل على كماله، وأنه هو المعبود لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان.

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته، وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته.

وتأمل ما فيها من إثبات علو الله -تعالى- على عرشه، ولم يقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، وإنما تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقًا بلغه أمينه أمته، فإن الله أكمل به الدين، وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين- صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين-.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٢، ٧٤١٣) من الطريق المذكور موصولًا ومعلقًا.
وأخرجه البخاري (٦٥١٩، ٧٣٨٢)، ومسلم (٢٧٨٧) من طريق ابن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعًا.

وتلقى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما وصف به ربه من صفات كماله، ونعوت جلاله، فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله، وما تضمنه من صفات ربهم -تعالى-، كما قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، وكذلك التابعون لهم بإحسان، وتابعوهم، والأئمة من المحدثين، والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يجحدوا شيئًا من الصفات، ولا قال أحد منهم: إن ظاهرها غير مراد ولا أنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، فصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِمُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»).

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِ اللهِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»)، فإذا نظرت إلى هذا الحديث، وهو أن السماوات والأراضين على عظمة هذه المخلوقات وسعتها تكون كخردلة في كف أحدنا، وهذا من باب التقريب للمعنى، وإلا فالله أعظم من ذلك جَلَّ وَعَلَا وأجل.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ،

قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: فَحَدَّثني أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ»)، فالكرسي أعظم من السماوات السبع، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فهذه المخلوقات تتضاءل عند عظمة الله -سبحانه- الذي خلقها وكونها، فهذه يستفاد منها تعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حق عظمته، وأنه لا يحاط بعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال: وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»)، فالعرش أعظم من الكرسي، الكرسي -كما جاء في الحديث- موضع القدمين[1]، فإذا كانت هذه عظمة هذه المخلوقات العظيمة، فكيف بعظمة خالقها جَلَّ وَعَلَا؟! فهذا فيه تعظيم الله جَلَّ وَعَلَا وأنه لا يحاط به بعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهي أحاديث عظيمة فيها تعظيم الله جَلَّ وَعَلَا، وبيان قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥١)، ابن أبي شيبة في العرش (ص٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٩١)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٢١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٠)، وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٥١)، والهروي في الأربعين (ص٥٧) موقوفًا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ. وَرَوَاهُ بِنَحْوِهِ المَسْعُودِيُّ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ. قَالَهُ الحَافِظُ الذَّهَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ) العرش فوق هذه المخلوقات، والله استوى على العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى استواء يليق بجلاله، وهو يعلم مانحن عليه، فهذا فيه تعظيم الله جَلَّ وَعَلَا، وبيان ضآلة هذه المخلوقات بالنسبة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما يشركون.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَ الْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ) الله جَلَّ وَعَلَا في علوه وكبريائه لا يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم، مع ارتفاعه جَلَّ وَعَلَا فوق مخلوقاته إلى هذه المسافات البعيدة، ومع هذا لا تخفى عليه أعمالنا كلها، وهذا يدل على عظمة الله وإحاطته بمخلوقاته جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله، وعظيم قدرته، وعظم مخلوقاته، وقد تعرف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى عباده بصفاته، وعجائب مخلوقاته، وكلها تعرف وتدل على كماله، وأنه هو المعبود لا شريك له في ربوبيته وإلهيته، وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل) هذا الواجب علينا نحن المخلوقين، أن نثبت هذه النصوص كما صحت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وأن نثبتها لله عَزَّوَجَلَّ، ونستدل بها على عظمة خالقها وموجدها، وأن نقدره حق قدره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأن نعبده ولا نشرك به شيئًا- جل في علاه، وتقدست أسمائه-، وشهدت له بذلك أرضه وسماؤه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان)** هكذا إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، هذا موقف المسلم من هذه النصوص، أن يثبتها لله بلا تمثيل، وأن ينزه الخالق تنزيهًا بلا تعطيل، هذا حق الله على عباده.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته، وجلاله، وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته)** اليهود عندهم التوراة كتاب عظيم من كتب الله جَلَّ وَعَلَا، وفيها صفات الله وعظمة الله جَلَّ وَعَلَا مع أنهم يهود، لكنه لا مناص لهم من إثبات هذه النصوص كما جاءت عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاليهود يثبتونها، فنحن أولى بإثباتها لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتأمل ما فيها من إثبات علو الله -تعالى- على عرشه)** تأمل ما في هذه النصوص من إثبات علو الله وارتفاعه فوق مخلوقاته، وهذه المسافات العظيمة في ارتفاعها وعلوها نثبتها لله -سبحانه- كما جاءت إثباتًا بلا تمثيل، وننزه الله جَلَّ وَعَلَا تنزيهًا بلا تعطيل، هذا موقف المسلم منها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ولم يقل النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في شيء منها: إن ظاهرها غير مراد، وإنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقًّا بلغه أمينه أمته، فإن الله أكمل به الدين، وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين- صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين)** النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت هذه الصفات لله عَزَّ وَجَلَّ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فهذا موقف المسلم من هذه النصوص، والإيمان بها من الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ، لا يتعاظمها الإنسان، وهو يعلم أنها صفات للخالق جَلَّ وَعَلَا، الذي لا يحاط به وبأسمائه وصفاته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا عظمة الكرسي، فكيف بعظمة الخالق جَلَّ وَعَلَا!.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وتلقى الصحابة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **عن نبيهم** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ما وصف به ربه من صفات كماله، ونعوت جلاله، فآمنوا به، وآمنوا بكتاب الله، وما تضمنه من صفات ربهم -تعالى-، كما قال تعالى:** ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]**)** الراسخون في العلم يعني: الثابتون في العلم الذين يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وينزهون الله كما نزه نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل على حد قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وكذلك التابعون لهم بإحسان، وتابعوهم، والأئمة من المحدثين، والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ولم يجحدوا شيئًا من الصفات، ولا قال أحد منهم:**

إن ظاهرها غير مراد ولا أنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، فصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة) الحمد لله رب العالمين، فهذا موقف المسلمين من هذه النصوص العظيمة التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسولهﷺ، لم يتوقفوا في شيء منها بل أثبتوها لله كما أثبتها له رسوله ﷺ أصدق القائلين.

ش: قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فَهَذَا كِتَابُ اللهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ثُمَّ عَامَّةُ كَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ثُمَّ كَلَامُ سَائِرِ الْأَئِمَّةِ مَمْلُوءٌ بِمَا هُوَ إِمَّا نَصٌّ وَإِمَّا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اللهَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَإِنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مِثْلُ قَوْله تَعَالَى:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، **وقوله تعالى:** ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، **وقوله تعالى:** ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]، **وقوله تعالى:** ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٣، ٤]، **وقوله تعالى:** ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، **وقوله تعالى:** ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، **وقوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩]، **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، **وقوله:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس:٣] **الآية، فذكر التوحيدين في هذه الآية، وقوله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢]، **وقوله تعالى:** ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٤، ٥]، **وقوله:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ

وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٨، ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٤، ٥]، وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤]، **فذكر عموم علمه، وعموم قدرته، وعموم إحاطته، وعموم رؤيته، وقوله تعالى:** ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك:١٦، ١٧]، **وقوله تعالى:** ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، **وقوله:** ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر:١]، **وقوله تعالى:** ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]. **انتهى كلامه** رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وكلام الصحابة والتابعين وكلام**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٥).

سائر الأئمة مملوئة كلها بما هو نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السماوات مستو على عرشه) هذا متواتر عند أهل العلم وأهل السنة، ودل عليه الكتاب الكريم والسنة المطهرة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق سماواته، مستو على عرشه، وأن الملائكة تنزل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالأوامر والنواهي على الرسل وأتباعهم، وهذا مستمر إلى يوم القيامة، وهذا من نعم الله على عباده: أن الصلة بينهم وبين الله جَلَّ وَعَلَا متصلة، وأنهم على بينة من أمرهم، وبصيرة من دينهم، وأنهم مستمرون ثابتون على ذلك -ولله الحمد والمنة-، ليس هناك خرافات ولا بدع ولا محدثات، وإنما هو وحي منزل على نبي مرسل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، توارثوه جيلًا بعد جيل، ولايزال الأمر متصلًا -ولله الحمد-.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَإِنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مِثْلُ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠])** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني: يرتفع، فدل على أن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو، ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ من قرآن وسنة وذكر لله عَزَّ وَجَلَّ وتسبيح وتهليل، كل ذلك يصعد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو مستو على عرشه فوق مخلوقاته، وهو قريب مجيب، قريب في علوه، عال في دنوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾)** يرفع الكلم الطيب، ﴿وَٱلْعَمَلُ﴾ هو العمل بالكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، فيرفع العمل الصالح.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥]) ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ يعني: عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني: قابضك، المراد بالتوفي هنا القبض لا الموت، فإن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يمت، ولا يموت إلا في آخر الزمان، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ارتفع إلى الله، رفعه الله إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨])؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو مرتفع على خلقه، فوق سماواته، عال على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٣ ، ٤]) وصف الله نفسه –سبحانه– بقوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ يعني: المصاعد، فدل على أن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو مستو على عرشه، وأن الأعمال تصعد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]) يدبر الله الأمر من السماء إلى الأرض على الرسل والأنبياء، ثم يعرج إليه ويصعد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمنه ينزل الوحي، وإليه تصعد الأعمال –أعمال بني آدم– إذا تقبلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠])، فدل على أن الله في العلو، وأنه من فوق.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٩]) ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: ارتفع جَلَّ وَعَلَا إلى السماء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ يخبر الله جَلَّ وَعَلَا في هذا بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾، فالله رب الجميع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو خالق كل شيء.

قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أيام الأسبوع، وهو قادر على أن يخلقها في لحظة، ولكنه -سبحانه- يعلم ويخبر عباده بأن يتريثوا في الأمور ولا يستعجلوا، وأن يتأنوا ويتقنوا العمل ويخلصوه لله عَزَّوَجَلَّ، ولكنه -سبحانه- أراد أن يعلم عباده أن يتقنوا الأعمال وألا يستعجلوا فيها عجلة تفوت عليهم بعض صفات الأعمال الصالحة، بل يتريثوا في أعمالهم شيئًا فشيئًا، ويتقنوها ويخلصوها لله عَزَّوَجَلَّ.

قال: (﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾) ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ ارتفع على العرش، فهو موصوف بالعلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، العلي الكبير، الكبير المتعال، فهو -سبحانه- فوق مخلوقاته، مستو على عرشه استواء يليق بجلاله.

قال: (﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾) ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ بمعنى كما في الآية الأخرى ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزمر:٥] إذا جاء هذا ذهب هذا.

قال: (﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾) يطلب الليل النهار حثيثًا سريعًا، فنحن دائمًا بين ليل ونهار.

قال: (﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾) الشمس وهي أكبر الكواكب، والقمر والنجوم مسخرات بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لها نظام خاص بها لا يتغير ولا يتبدل، وهذا تقدير العزيز العليم.

قال: (﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾) (ألا) كلمة تنبيه، ﴿لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ أي: لله الخلق وله الأمر، له الخلق وله الأمر -سبحانه- وحده لا شريك له، قال بعض السلف: لما ذكر هذه الآية- قال: من كان له شيء فليطلبه. ما بقي شيء، له الخلق له والأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾) البركة منه وإليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جمع عالم، العالمين: العالم العلوي والعالم السفلي، فهو ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وخالقهم، ورازقهم، ومدبرهم ومتولي شؤونهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾ [يونس:٣] الآية) هذه الآية كسابقاتها، كلها تدل على أن الأمر راجع إلى الله ومنته إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه فوق مخلوقاته مستو على عرشه، استواء يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومنه تتنزل الملائكة والوحي والأرزاق والآجال، كلها تتنزل من عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾) ﴿مَا مِن شَفِيعٍ﴾، والشفيع هو الوساطة، الشفاعة هي الوساطة بين المشفوع له والمشفوع فيه، فما من شفيع إلا بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا أحد يشفع ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ

﴿إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٦] لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، يعني: يتوسط في أمر من الأمور إلا بإذن الله جَلَّوَعَلَا بأن يأذن له بذلك، وهذا رد على المشركين الذين يتخذون أربابًا من دون الله يعبدونهم ويتقربون إليهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فهم يتقربون إلى المخلوق، ويشركون به مع الله، ويزعمون أنه يشفع لهم عند الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهذا باطل وكذب؛ فإن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ الذي وصفناه بتلك الصفات الله جَلَّوَعَلَا لا أحد غيره، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُ﴾، فالعبادة حق للرب سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والله خلق الخلق ليعبدوه كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تذكرون أنه هو الرب الواحد! ليس له شريك في ملكه، ولا في عبادته، ولا في أمر من أموره سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فذكر التوحيدين في هذه الآية)** توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، هذان التوحيدان - النوعان-.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾** [الرعد:٢]) رفع السماوات فوق الأرض وفوق الناس، ﴿بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا﴾ [الرعد:٢] ليست على عمد، وإنما هي بقدرة الله جَلَّوَعَلَا، سمكها بقدرته، ورفعها بقدرته من غير عمد نراها.

قال: (﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾) أي: علا وارتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العرش، والعرش هو سقف المخلوقات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٤، ٥]) ﴿تَنزِيلًا﴾ يعني: هذا القرآن، ﴿مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ يعني: علا وارتفع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على العرش الذي هو سقف المخلوقات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٨، ٥٩]) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ﴾ الحياة الدائمة التامة، ﴿ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾، والخلق يموتون، أما الله جَلَّ وَعَلَا فإنه حي لا يموت.

قال: (﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾) نزهه، التسبيح: التنزيه، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾ سبح الله جَلَّ وَعَلَا نزهه بحمده.

قال: (﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾) ارتفع وعلا على العرش الذي هو سقف المخلوقات، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ﴾ الرحمن هو الله، فالرحمن من أسماء الله، ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ يخبرك عن عظمته وجلاله، وهو الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائر الأنبياء والمرسلين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ

أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٤، ٥])، وكذلك هذه الآية كالتي قبلها، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ بداية من يوم الأحد، ونهاية بيوم الجمعة.

قال: (﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾) أي: غيره، ما لكم غير الله جَلَّ وَعَلَا من ولي يتولى أموركم، ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾، ولا شفيع يشفع لكم عند الله إلا بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال: (﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾) أفلاتتذكرون بهذا؟! أن الأمر كله وآخره وظاهره وعلانيته وسره كله لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس له شريك فيه.

قال: (﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾) انظر هذا الارتفاع بين السماء والأرض، في يوم كان مقداره ألف سنة، ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ تعرفونه من السنين، وهذا كله يحصل في يوم واحد قريب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤]) ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ يعني: يدخل في الأرض، وما يخرج من الأرض.

قال: (﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾)، وما ينزل من السماء إلى الأرض، وما يعرج فيها إلى السماء كله يعلمه الله - جل و علا-.

قال: (﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾) هو معكم -أيها الناس- معكم بعلمه، أينما كنتم لا تغيبون عنه، ولا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأموركم.

قال: (﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾) يبصره ويراه ويسمعه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، لا يخفى عليه شيء من أموركم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فذكر عموم علمه، وعموم قدرته، وعموم إحاطته، وعموم رؤيته)** كل هذا أخبر عن نفسه به سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾** [الملك:١٦، ١٧]) ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وهو الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ يعني: تموج، بل هي ثابتة بأمر الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، مستقرة بأمر الله جَلَّ وَعَلَا.

قال: (﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾)، وهو الله، ﴿أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗا﴾ أي: ريحًا تحمل الحصى وترسلها، ﴿أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقوله تعالى: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾** [فصلت:٤٢])، القرآن والوحي تنزيل من حكيم حميد وهو الله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله**: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١])، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: القرآن، ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ العزيز القوي الذي لايغالب ولا يمانع، ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ الذي أحكم الأمور وأتقنها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقوله تعالى**: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]) الله جَلَّوَعَلَا أرسل إلى فرعون، لما قال للناس: أنا ربكم الأعلى، أرسل الله إليه الملك يخبره ببطلان قوله، وأن الملك لله عَزَّوَجَلَّ، وأن الأعلى هو الله جَلَّوَعَلَا، أما فرعون فإنه مخلوق ضعيف من جملة المخلوقات الضعيفة أمام قدرة الله وسلطانه.

قال: (﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾) ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ يعني: بناء مرتفعًا أصعد عليه يبلغ السماء ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ الذي أخبر عنه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ يقول فرعون: إني لأظن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كاذبًا. تعالى الله عن ذلك، وتنزه رسوله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن الكذب. انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ش: قلت: وقد ذكر الأئمة -رحمهم الله تعالى- فيما صنفوه في الرد على نفاة الصفات من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ونحوهم أقوال الصحابة والتابعين.

فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» وغيره بالأسانيد الصحيحة (١) عن أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. قَالَتْ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ وَالإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ وَالجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ». رواه ابن المنذر واللالكائي، وغيرهما بأسانيد صحاح(٢).

قال: وثبت عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ(٣) قَالَ: (سُئِلَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ(٤) عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ:

---

(١) أي: غير الذهبي، فالذهبي لـه كتاب آخر اسمه (الأربعين في صفات رب العالمين) موجود منه جزء، أو جزئين ليس بكامل لكن ما فيه أسانيد، والظاهر أنه هو، ويريد غير الذهبي.

(٢) أخرجه الذهبي في العلو (ص٨١)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ٣٩٧)، والمقدسي في الاقتصاد في الاعتقاد (١/ ٨٥).

(٣) هو الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي مولى امرأة من بني هلال ابن عامر، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك، وقيل مولى مسعر بن كدام، الكوفي ثم المكي، مولده سنة سبع ومائة في نصف شعبان، ووفاته سنة ثمان وتسعين ومائة، طلب الحديث وهو غلام، وكان إمامًا عالمًا ثبتًا حجة زاهدًا ورعًا مجمعًا على صحة حديثه وروايته. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٩٧)، والأنساب (٥/ ٦٥٧)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٧٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٩١).

(٤) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ الفقيه أبو عثمان المدني عالم المدينة، ويقال له ربيعة الرأي، كان من أئمة الفتوى والفقه، توفي سنة ست وثلاثين ومائة. =

«الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِن اللهِ الرِّسَالَةُ وَعَلَى الرَّسُولِ البَلاغُ الْمُبِينُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ»(١).

وقال ابن وهب: «كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلاهُ الرُّحَضَاءُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأسه فَقَالَ: الرَّحْمَن على الْعَرْش اسْتَوَى كَمَا وصف نَفسه وَلَا يُقَال كَيفَ وَكَيف عَنهُ مَرْفُوع وَأَنت صَاحب بِدعَة أَخْرجُوهُ». رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب، ورواه عن يحيى بن يحيى أيضًا، ولفظه قال: «الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلاَّ مُبْتَدِعًا»(٢).

قال الذهبي: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية.

قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: استوى: علا على العرش(٣).

وقال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: ارتفع.

= انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٢٠)، وتاريخ بغداد (٨/ ٤٢٠)، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٨٨)، والوافي بالوفيات (١٤/ ٦٤)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٨٦)، وشذرات الذهب (١/ ١٩٤).

(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥١)، والذهبي في العلو (ص١٢٩)، وابن قدامة في العلو (ص١١٤).

(٢) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥١)، والذهبي في العلو (ص١٢٩)، وابن قدامة في العلو (ص١١٤).

(٣) انظر: البخاري (١٣/ ٤٠٣).

وقال محمد ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: علا وارتفع(١).

وشواهده في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢):

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَ
وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ ... مَلَائِكَةُ الإلهِ مُسُّومِينَا

وروى الدارمي، والحاكم، والبيهقي بأصح إسناد إلى عَلِيِّ بْنِ الحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قال: سمعت ابن المبارك يقول: «نَعْرِفُ رَبَّنَا بِأَنَّهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٦/ ١٣٨).
(٢) قصة عبد الله بن رواحة لما وقع على أَمَته، وأنكرت عليه زوجته، فقالت: إن كنت صادقًا فاقرأ القرآن، فَعَرَّضَ عليها وذكر أبياتًا، فقالت: آمنت بالله وكذبت بصري.
رواها الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٦)، والدارقطني في السنن (١/ ١٢٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/ ١١٢، ١١٣) بأسانيد فيها مقال، وقد قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٢٩٦): (رويناها من وجوه صحاح). اهـ. وتعقبه الذهبي في العلو (ص٤٩) بقوله: (روى من وجوه مرسلة) اهـ.
وأوردها عدد من أهل العلم في كتبهم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/ ٣٥٧)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٢)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٦٤).
وفي سنن الدارقطني أنه قرأ أبياتًا غير ما ذكر المؤلف فقال فيها:

أتانا رسول الله يتلو كتابه ... كما لاح مشهور من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

والله أعلم.

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الجَهْمِيَّةُ»(١).

قال الدارمي: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ، قَالَ: «قِيلَ لَهُ: كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ»(٢).

وقد تقدم قول الْأَوْزَاعِيّ: «كُنَّا والتابعون متوافرون نقُول: إِن الله عَزَّوَجَلَّ فَوق عَرْشه ونؤمن بِمَا وَردت بِهِ السّنة من صِفَاته»(٣).

وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب (الأصول): أجمع المسلون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته.

وقال في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء، وعلمه في كل مكان: ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء(٤). وهذا لفظه في كتابه.

---

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٤٧) رقم (٦٧).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٤٧) رقم (٦٧).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠)، والذهبي في السير (٧/ ١٢٠، ١٢١)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٧٩، ١٨٠) وصححه، وذكره ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦)، وقال: (أخرجه البيهقي بإسناد جيد).

(٤) انظر: العلو (ص٢٤٦)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٧٦).

وهذا كثير في كلام الصحابة، والتابعين، والأئمة، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه على لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله، وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، ولم يمثلوا، ولم يكيفوا، كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد ابن درهم(١)، وكذلك أنكر جميع الصفات، وقتله خالد بن عبد الله القسري، وقصته مشهورة.

فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان(٢) إمام الجهمية، فأظهرها، واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل: الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى.

---

(١) الجعد بن درهم: هو مؤسس مذهب التعطيل وأول من قال: إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، ويقال له مروان الجعدي؛ لأنه كان مؤدبًا لمروان الحمار آخر خلفاء بني أمية. قتله خالد القسري يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، ونزل فقتله، وكان من أبرز تلاميذه الجهم بن صفوان، وبه عُرف مذهب التعطيل.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٤/ ٤٦٦)، والنونية بشرح ابن عيسى (١/ ٥٠، ٥١).

(٢) الجهم بن صفوان أبو محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًا عظيمًا، رأس في التعطيل، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، وزعم أن القرآن مخلوق، وذهب إلى القول بأن العبد لا قدرة له أصلًا، بل فعله كحركة المرتعش أو كالريشة في مهب الريح، أو بمنزلة حركة أغصان الشجر، فالعبد عندهم مجبور على فعله، وأن الجنة والنار تفنيان بعد دخول أهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى، قتله سَلْم بن أحوز سنة ثمان وعشرين ومائة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٩٠).

فقال الأوزاعي -إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة-: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده إلى أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري - ببغداد - حدثنا إبراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الأوزاعي يقول: «كُنَّا والتابعون متوافرون نقُول إِن الله عَزَّوَجَلَّ فَوق عَرْشه ونؤمن بِمَا وَردت بِهِ السّنة من صِفَاته». أخرجه البيهقي في الصفات، ورواته أئمة ثقات.

وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، ونثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] اهـ. من فتح الباري(١).

قوله: عن العباس بن عبد المطلب ساقه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مختصرًا، والذي في سنن أبي داود: عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: «كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابَ، قَالَ: «وَالْمُزْنَ». قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: «وَالْعَنَانَ». قَالُوا: الْعَنَانَ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا. قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٤٠٧). وانظر أيضًا: إثبات صفة العلو لابن قدامة (ص١٢٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٧٩).

إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ». وأخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب.

وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»(١). ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام، هو على سير القافلة مثلًا، ونيف وسبعون سنة على سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يومًا باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد.

وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه، هذا آخر كلامه.

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله، وعظم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه، وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كمل مقابلةً وتصحيحًا وقراءةً على يد شيخنا العلامة، المحقق الفهامة،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٨).

بقية أهل الاستقامة الشيخ/ عبد الله بن الشيخ حسن آل الشيخ، متع الله بحياته سنة ١٣٦٢هـ.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قلت: وقد ذكر الأئمة -رحمهم الله تعالى- فيما صنفوه في الرد على نفاة الصفات من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ونحوهم أقوال الصحابة والتابعين.

فمن ذلك ما رواه الحافظ الذهبي في كتاب «العلو» وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أُمِّ سَلَمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. قَالَتْ: «الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ، وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ». رواه ابن المنذر واللالكائي، وغيرهما بأسانيد صحاح) الاستواء هو الارتفاع، وهو غير مجهول.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ) كيفية الاستواء لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن نثبت الاستواء لله على العرش، وأما كيفيته فهذا لا نعلمه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ) الإقرار بالاستواء إيمان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ) والجحود بالاستواء كفر، فمن أنكر استواء الله على عرشه كفر -والعياذ بالله-.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال: وثبت عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: (سُئِلَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: «الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ

وَعَلَى الرَّسُولِ البَلاغُ المُبِينُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ») هكذا هو المنهج السليم، الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عن كيفية الاستواء بدعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال ابن وهب: «كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلاهُ الرُّحَضَاءُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأسه فَقَالَ: الرَّحْمَن على الْعَرْش اسْتَوَى كَمَا وصف نَفسه وَلَا يُقَال كَيفَ وَكَيف عَنهُ مَرْفُوع وَأَنت صَاحب بِدعَة أَخْرجُوهُ»)**، فلا يسأل عن كيفية استواء الله على العرش؛ لأن هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب، ورواه عن يحيى بن يحيى أيضًا، ولفظه قال: «الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلاَّ مُبْتَدِعًا». قال الذهبي: فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية)** هذا منهج السلف الصالح، الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: استوى: علا على العرش)** استوى أي: علا على العرش، ارتفع على العرش.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال إسحاق بن راهويه: سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: ارتفع)** استوى يعني: ارتفع، الاستواء هو الارتفاع.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقال محمد ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ أي: علا وارتفع**) استوى أي: علا وارتفع سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على العرش.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وشواهده في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ … وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَ

وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ … وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا

وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ … مَلَائِكَةُ الإِلَهِ مُسُّومِينَا)

هذا الكلام متواتر عنه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وروى الدارمي، والحاكم، والبيهقي بأصح إسناد إلى عَلِيِّ ابْنِ الحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، قال: سمعت ابن المبارك يقول: «نَعْرِفُ رَبَّنَا بِأَنَّهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الجَهْمِيَّةُ»**)، ولا نقول كما قالت الجهمية في صفات الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي، وهو رجل ضلالة وجهالة وكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قال الدارمي: حَدَّثَنَا الحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْبَزَّارُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الحَسَنِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ، قَالَ: «قِيلَ لَهُ: كَيْفَ نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ عَلَى الْعَرْشِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ»**) بهذا نعرف ربنا أنه فوق السماء السابعة على العرش، وأنه بائن من خلقه، يعني: منفصل عن خلقه، ليس مختلطًا بهم.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقد تقدم قول الْأَوْزَاعِيّ: «كُنَّا والتابعون متوافرون نقُول: إِن الله** عَزَّ وَجَلَّ **فَوق عَرْشه ونؤمن بِمَا وَردت بِهِ السّنة من صِفَاته**) هكذا ما كان عليه السلف الصالح، أنهم يؤمنون بأن الله فوق سماواته، بائن من خلقه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب (الأصول): أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته)** استوى يعني: علا وارتفع على عرشه بذاته، لا بغير ذاته، إنما بذاته سبحانه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة على أن الله -تعالى- استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز)** استوى على عرشه، ارتفع على عرشه على الحقيقة لا على المجاز الذي يقول به من لا يعرفون الله جَلَّ وَعَلَا حق المعرفة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**(ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء، وعلمه في كل مكان)** قال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد الأئمة الأربعة: الله في السماء، وعلمه في كل مكان.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**(ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤])، ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه)** ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي: علمه معكم، وليس الله جَلَّ وَعَلَا مختلط بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل هو على عرشه فوق مخلوقاته.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**(وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. وهذا لفظه في كتابه. وهذا كثير في كلام الصحابة، والتابعين، والأئمة، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه على لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله، وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، ولم يمثلوا، ولم يكيفوا، كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.**

وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد ابن درهم) الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد القسري، فقال: أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ موسى كليمًا، ولا إبراهيم خليلا ثم نزل وذبحه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الحافظ الذهبي: وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد ابن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات، وقتله خالد بن عبد الله القسري، وقصته مشهورة)** يقول ابن القيم[1]:

وَلأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الـ ... ـقَسْرِيُّ يَـوْمَ ذَبَـائِـحِ الْـقُـرْبَـانِ
إِذْ قَـالَ إِبْـرَاهِـيـمُ لَـيْـسَ خَلِيلَهُ ... كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها، واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل: الأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والليث بن سعد، والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى)** كل أهل السنة والجماعة يردون هذا القول-قول الجعد بن درهم- وينكرونه.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(فقال الأوزاعي -إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة-: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده إلى أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري**

(١) انظر النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٥٠).

-ببغداد- حدثنا إبراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الأوزاعي يقول: «كُنَّا والتابعون متوافرون نقُول إِن الله عَزَّوَجَلَّ فَوق عَرْشه ونؤمن بِمَا وَردت بِهِ السّنة من صِفَاته». أخرجه البيهقي في الصفات، ورواته أئمة ثقات) هذا ما عليه السلف الصالح وأتباعهم ممن جاء من بعدهم، أنهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، أو أثبته له رسوله، أو نفاه عنه رسوله، على هذا درج كل أهل السنة والجماعة.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وقال الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر)** ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه، يعني: أنه بلغه ما عليه السلف وأئمة الهدى ثم أنكره، فإنه يهلك بذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل)** قبل قيام الحجة يمسك عن تكفيره إلى أن يبين له الحق، فإن أصر حكم بكفره؛ لزوال جهله بالحق.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:**(ونثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. اهـ). من فتح الباري)** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ليس كمثل الله شيء، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ انظر إلى أنه أثبت لنفسه السمع والبصر بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فدل على أن أسماء الله وصفاته لا تشبه أسماء المخلوقين وصفات المخلوقين.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قوله: عن العباس بن عبد المطلب ساقه المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مختصرًا، والذي في سنن أبي داود: عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: «كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تُسَمُّونَ هَذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابَ، قَالَ: «وَالْمُزْنَ»، قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: «وَالْعَنَانَ»، قَالُوا: وَالْعَنَانَ قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ أُتْقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا. قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَوْقَ ذَلِكَ». وأخرجه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن غريب) جل الله في علاه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»). ولا منافاة بينهما؛ لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام، هو على سير القافلة مثلًا، ونيف وسبعون سنة على سير البريد؛ لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يومًا باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد.

وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه، هذا آخر كلامه.

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة، وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم،

وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله، وعظم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسول الله ﷺ، وعلى كمال قدرته، وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه،وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كمل مقابلةً وتصحيحًا وقراءةً على يد شيخنا العلامة، المحقق الفهامة، بقية أهل الاستقامة الشيخ/ عبد الله بن الشيخ حسن آل الشيخ، متع الله بحياته سنة ١٣٦٢هـ). الشيخ عبد الله بن حسن أي: في مكة، وبالله تعالى التوفيق،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

فِيهِ مَسَائِلُ:

الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾.

الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُنْكِرُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ.

الرَّابِعَةُ: وُقُوعُ الضَّحِكِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمَّا ذَكَرَ الْحَبْرُ هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ.

الْخَامِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ الْيَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي الْيَدِ الْيُمْنَى، وَالْأَرَضِينَ فِي الْأُخْرَى.

السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالَ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ.

الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ».

التَّاسِعَةُ: عِظَمُ الْكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ.

الْعَاشِرَةُ: عِظَمُ الْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُرْسِيِّ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرُ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ.

الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ.

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: كَمْ بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ.

الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ.

السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ.

السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ.

التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْبَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسِمَائَةِ سَنَةٍ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**فِيهِ مَسَائِلُ: الْأُولَى: تَفْسِيرُ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾**)، في قول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ هذا فيه إثبات أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقبض الأرض، فيقول: «**أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**».

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَأَمْثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَمْ يُنْكِرُوهَا، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا**)، أن هذه الأسماء باقية عند اليهود ولم ينكروها، ولم يتأولوها عن معناها.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّالِثَةُ: أَنَّ الْحَبْرَ لَمَّا ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **صَدَّقَهُ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ**)، وكذلك أن الله جَلَّ وَعَلَا صدقه في قوله، فدل على ثبوت ذلك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الرَّابِعَةُ: وُقُوعُ الضَّحِكِ مِنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **لَمَّا ذَكَرَ الْحَبْرُ هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ**)، مما دل عليه الحديث وقوع الضحك منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال اليهودي ذلك مقرًّا له على ما قال.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الخَامِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ الْيَدَيْنِ، وَأَنَّ السَّمَاوَاتِ فِي الْيَدِ الْيُمْنَى، وَالْأَرَضِينَ فِي الْأُخْرَى**)، التصريح بذكر اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن له يدين تليقان بجلاله وعظمته، واحدة اليمنى، والثانية اليسرى.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّادِسَةُ: التَّصْرِيحُ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالَ**)، التصريح بتسمية يد الله جَلَّ وَعَلَا الشمال، فدل على ثبوت ذلك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**السَّابِعَةُ: ذِكْرُ الجَبَّارِينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ عِنْدَ ذَلِكَ**)، ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّامِنَةُ: قَوْلُهُ: «كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ»**)، أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ**»، فدل على صغرها بالنسبة لله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**التَّاسِعَةُ: عِظَمُ الْكُرْسِيِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاوَاتِ**)، وسع كرسيه السماوات والأرض، فهذا فيه عظمة الكرسي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْعَاشِرَةُ: عِظَمُ الْعَرْشِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكُرْسِيِّ**)، عظمة العرش بالنسبة للكرسي، وأنه أعظم من الكرسي.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرُ الْكُرْسِيِّ وَالمَاءِ**)، أن العرش غير الكرسي والماء.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ**)، كما وصف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ)**، هذه المسافة والارتفاع العظيم الذي أثبته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الرَّابِعَةَ عَشَرَ: كَمْ بَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَـاءِ)**، هذه المسافة الطويلة، والارتفاع العظيم أثبته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ المَاءِ)**، وهذا ثابت.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(السَّادِسَةَ عَـشْرَةَ: أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ)**، كما في هذا الحديث.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)**، وهذا كما في الحديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: كِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ)**، أن كثف كل سماء خمسمائة عام، وأن هذا يدل على عظمة الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ الْبَحْرَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مَسِيرَةُ خَمْسِمَائَةِ سَنَةٍ)**، البحر الذي فوق السماء أسفله وأعلاه خمسمائة عام، كل هذا ثابت في هذا الحديث العظيم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **(والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا)**، والله تعالى أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

بدأ شيخنا الإمام العلامة/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -جزاه الله خيرًا عن الموحدين، ورفع مقامه في الدارين، وغفر له ولوالديه- شرح هذا الكتاب في الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني من العام ألف وأربعمائة وثلاث وثلاثين من الهجرة النبوية المباركة، وانتهى منه في يوم السبت الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة من العام ألف وأربعمائة وأربع وأربعين من الهجرة النبوية المباركة.

فهرس المراجع

★ الإبانة الكبرى لابن بطة، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

★ الإبانة في اللغة العربية، المؤلف: سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، المحقق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه ٧٨٥هـ)، المؤلف: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، عام النشر: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ الآحاد والمثاني، المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٦.

★ الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١٣.

★ أحكام القرآن، المؤلف: القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق ابن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي (المتوفى: ٢٨٢هـ)، المحقق: عامر حسن صبري، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.

★ أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣ هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ١.

★ الإحكام شرح أصول الأحكام، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق:

عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

★ الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

★ إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

★ أخبار القضاة، المؤلف: أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المُلَقَّب بِـ»وَكِيع» (المتوفى: ٣٠٦هـ)، المحقق: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، الطبعة: الأولى، ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م، (صورتها عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المدائن - الرياض)، عدد الأجزاء: ٣.

★ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤، عدد الأجزاء: ٦ أجزاء في ٣ مجلدات.

★ اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه، المؤلف: أبو العباس القرطبي ضياء الدين أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي (٥٧٨هـ- ٦٥٦هـ)،

المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، عدد الأجزاء: ٥.

★ اختصار علوم الحديث، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ١.

★ اختلاف الأئمة العلماء، المؤلف: يحيى بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى: ٥٦٠هـ)، المحقق: السيد يوسف أحمد، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الإخلاص والنية، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، حققه وعلق عليه: إياد خالد الطباع، الناشر: دار البشائر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب، عدد الأجزاء: ٣.

★ أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩، عدد الأجزاء: ١.

★ الأربعون النووية، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الصفحات: ١١٥.

★ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

★ إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، المؤلف: برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (المتوفى ٧٦٧ هـ)، المحقق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، قسم من هذا الكتاب: هو أطروحة دكتوراة للمحقق، الناشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: صلاح الدين

مقبول أحمد، الناشر: الدار السلفية - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١.

★ أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.

★ أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠، عدد الأجزاء: ٩.

★ الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى «وهو مشتمل على ثلاثة كتب في الكنى»، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ)، دراسة وتحقيق وتخريج: عبد الله مرحول السوالمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه في الشريعة الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، الناشر: دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: ٣ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٨ (٧ ومجلد فهارس).

★ الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢

★ الإشراف على مذاهب العلماء، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، المحقق: صغير أحمد الأنصاري أبو حماد، الناشر: مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ١٠ (٨ ومجلدان للفهارس).

★ الإشراف في منازل الأشراف، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: د نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

★ أصول السرخسي، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

★ أصول الفقه، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ الأصول من علم الأصول، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، المؤلف: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤هـ)، المحقق: الدكتور سعد بن هليل الزويهري، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، المحقق: علي سامي النشار، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

★ أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد محيي الدين، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

★ الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ وجزء للفهارس).

★ الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

★ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

★ الاقتراح في بيان الاصطلاح، المؤلف: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١ .

★ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم ابن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

★ اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر، المؤلف: أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ثم البيري، أبو جعفر الأندلسي (المتوفى: ٧٧٩هـ)، تحقيق: عبد الله حامد النمري، الناشر: هي رسالة ماجستير - بكلية الشريعة جامعة أم القرى (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

★ الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى ابن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف

الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

★ الإقناع لابن المنذر، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، الناشر: (بدون)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

★ إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري، المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١٢.

★ ألفية ابن مالك، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، الناشر: دار التعاون، عدد الأجزاء: ١.

★ الألفية في الآداب الشرعية [المشهورة بـ «منظومة الآداب»]، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد القوي المرداوي الحنبلي (٦٣٠هـ- ٦٩٩هـ)، اعتنى بها وضبطها: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأبيات: ٩٤٧، عدد الصفحات: ١٠٠.

★ الأم، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي

(المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨ .

★ الأمالي في لغة العرب، المؤلف أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، المتوفى: ٣٥٦هـ، دار النشر دار الكتب العلمية، مدينة النشر بيروت.

★ الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، المؤلف: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ، عدد الصفحات: ٥٩، عدد الأجزاء: ١ .

★ الأمثال في القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة الصحابة - مصر- طنطا - بجوار محطة القطار - خلف المعهد الأزهري شارع الجنبية الغربي، المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١ .

★ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١ .

★ أمراض القلب وشفاؤها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية

الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل عن المشركين، المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ»أبابطين» (المتوفى: ١٢٨٢هـ)، المحقق: الوليد بن عبد الرحمن الفريان، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع- الرياض- المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨هـ)، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس – عمان، عدد الأجزاء: ٢.

★ الإنصاف في حقيقة الأولياء وماهم من الكرامات والألطاف، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: عمادة البحث

العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ١٢.

★ الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، الناشر: دار طيبة - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: طُبع منه ٦ مجلدات: ١ - ٥، ١١ فقط.

★ إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، المؤلف: أحمد ابن يحيى الونشريسي (المتوفى: ٩١٤ هـ)، دراسة وتحقيق: الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الثالثة، عدد الأجزاء: ٣.

★ الإيمان، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني تقي الدين، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، سنة النشر: ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٥.

★ الباعث على إنكار البدع والحوادث، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، المحقق: عثمان أحمد عنبر، الناشر: دار الهدى - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.

★ البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - عدد الأجزاء:٨.

★ البحر المحيط في أصول الفقه، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد ابن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، الناشر: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٨.

★ البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي ابن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

★ البدء والتاريخ، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.

★ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٤.

★ البداية والنهاية، لعماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٥هـ.

★ بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

★ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

★ البدع والنهي عنها، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (المتوفى: ٢٨٦هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، المؤلف: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (المتوفى: ١١٥٦هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٦.

★ البعث والنشور، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، حققه وضبطه وعلق عليه: أبو عاصم الشوامي الأثري، الناشر: مكتبة دار الحجاز للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ، عدد الصفحات: ٨٦٧.

★ بغية الطلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٢.

★ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، المؤلف: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ)، الناشر: دار الكاتب العربي - القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧ م.

★ بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن ابن القطان (المتوفى: ٦٢٨هـ)، المحقق: د. الحسين آيت سعيد، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٦ (٥ أجزاء، ومجلد فهارس).

★ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، حققه: د محمد حجي وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢٠ (١٨ ومجلدان للفهارس).

★ تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

★ تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.

★ تاريخ التشريع الإسلامي، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة: الخامسة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

★ تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

★ التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.

★ تاريخ المدينة لابن شبة، المؤلف: عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة، عام النشر: ١٣٩٩ هـ.

★ تاريخ بغداد، اسم المؤلف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

★ تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس).

★ تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، المؤلف: عبد الله ابن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن سلطان بن خميس الملقب بـ«أبابطين» (المتوفى: ١٢٨٢هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

★ تأويل مختلف الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، الطبعة: الطبعة الثانية- مزيده ومنقحة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ التبر المسبوك في نصيحة الملوك، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١.

★ التبصرة في أصول الفقه، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، المحقق: د. محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١.

★ التبصرة لابن الجوزي، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ التبيان في إعراب القرآن، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١.

★ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، المؤلف: عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: ١٠٢١ هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي ط٢).

★ التجريد للقدوري، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان أبو الحسين القدوري (المتوفى: ٤٢٨ هـ)، المحقق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية؛ أ. د محمد أحمد سراج، أ. د علي جمعة محمد،

الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ١٢.

★ تحرير ألفاظ التنبيه، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: عبد الغني الدقر، الناشر: دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

★ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

★ تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، المؤلف: القاضي ناصر الدين عبد الله ابن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: ٣.

★ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١٠.

★ تحفة اللبيب بمن تكلم فيهم الحافظ ابن حجر من الرواة في غير «التقريب»، المؤلف: أبو عمرو نور الدين بن علي بن عبد الله السدعي الوصابي، قدم له: محمد بن عبد الله الإمام، الناشر: مكتبة ابن عباس

للنشر والتوزيع، المنصورة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (السفر الأول)، المؤلف: شهاب الدين أحْمَد بن يُوسُف بن على بن يُوسُف اللَّبْلِيُّ أَبُو جَعْفَر الفهري المقري اللغوي المالكي (المتوفى: ٦٩١هـ)، المحقق: د. عبد الملك بن عيضة الثبيتي، الأستاذ المساعد في كلية المعلمين بمكة المكرمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة لفرع اللغة العربية، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، في المحرم ١٤١٧ هـ، سنة النشر: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، عدد الأجزاء: ٢.

★ التدوين في أخبار قزوين، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، المحقق: عزيز الله العطاردي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٤.

★ تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٤.

★ التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي

(المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ التذكرة في علوم الحديث، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، قدم لها وضبط نصها وعلق عليها: علي حسن عبد الحميد، الناشر: دار عمَّار، عمَّان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

★ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧، عدد الأجزاء: ٤ .

★ التسعينية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٣ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة ويليه «فائت التسهيل»، المؤلف: صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين الحنبلي مذهبا، النجدي القصيمي البُرَدِي (١٣٢٠ هـ - ١٤١٠ هـ)، المحقق: بكر بن عبد الله

أبو زيد، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور، المؤلف: محمد بن إسماعيل الصنعاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، المحقق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الناشر: مطبعة سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

★ تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، الناشر: مكتبة المنار - عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، عدد الأجزاء: ١.

★ التعريفات الفقهية، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

★ تعظيم قدر الصلاة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَـرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

★ تغليق التعليق على صحيح البخاري، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٥.

★ التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢٥ (٢٤ وجزء للفهارس).

★ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.

★ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن ابن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.

★ تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي ابن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

★ تفسير القرآن الكريم (ابن القيم)، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى- ١٤١٠هـ.

★ تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

★ تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد ابن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

★ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٣.

★ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة: الأولى.

★ تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: الدكتور محمد بلتاجي، الناشر: جمعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ١.

★ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

★ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، المؤلف: محمد بن فتوح ابن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ - ١٩٩٥، عدد الأجزاء: ١.

★ تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.

★ التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ التقفية في اللغة، المؤلف: أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، (المتوفى: ٢٨٤ هـ)، المحقق: د. خليل إبراهيم العطية، الناشر: الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي (١٤) - مطبعة العاني - بغداد، عام النشر: ١٩٧٦ م، عدد الأجزاء: ١.

★ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

★ التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ١.

★ التمهيد في أصول الفقه، المؤلف: محفوظ بن أحمد بن الحسن أَبُو الخطاب الكَلْوَذَاني الحنبلي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، المحقق: مفيد محمد أبو عمشة (الجزء ١ - ٢) ومحمد بن علي بن إبراهيم (الجزء ٣ - ٤)، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (٣٧)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

★ تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، المؤلف: محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي

(المتوفى: ٨١٤هـ)، حققه وعلق عليه: عماد الدين عباس سعيد، إشراف: المكتب السلفي لتحقيق التراث، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

★ تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ، عدد الأجزاء: ١٢.

★ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٣٥.

★ تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

★ تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، [آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال (٢٩)]، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي

بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩ - ٧٥١)، جـ ١: تحقيق (علي ابن محمد العَمران)، راجعه (جديع بن جديع الجديع - عبد الرحمن بن صالح السديس)، جـ ٢، ٣: تحقيق (نبيل بن نصار السندي)، راجعه (محمد أجمل الإصلاحي - عمر بن سَعدِي)، الناشر: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م (الأولى لدار ابن حزم)، عدد الأجزاء: ٣.

★ التوشيح شرح الجامع الصحيح، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، المحقق: رضوان جامع رضوان، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٩ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٢.

★ توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر: دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: ٣.

★ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ٢.

★ التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٣٦ (٣٣ و٣ أجزاء للفهارس).

★ التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

★ الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

★ تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣، عدد الأجزاء: ٩.

★ ثلاثة الأصول وأدلتها - وشروط الصلاة - والقواعد الأربع، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، رقم الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ، الصفحات: ٤٨، عدد الأجزاء: ١.

★ الجاسوس على القاموس، المؤلف: أحمد فارس أفندي، صاحب الجوائب، الناشر: مطبعة الجوائب - قسطنطينية، عام النشر: ١٢٩٩هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء: ٢، (الأجزاء ١٠، ١١ من المصنف).

★ جامع التحصيل في أحكام المراسيل، المؤلف: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦، عدد الأجزاء: ١.

★ جامع الرسائل، المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٢.

★ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ.

★ جامع المسانيد، المؤلف: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (المتوفى: ٥٩٧ هـ)، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥، عدد الأجزاء: ٨.

★ جامع المسائل – المجموعة السابعة، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩.

★ جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الجامع في الجرح والتعديل [لأقوال البخاري، ومسلم، والعجلي، وأبي زرعة الرازي، وأبي داوُد، ويعقوب الفسوي، وأبي حاتم الرازي، والترمذي، وأبي زرعة الدّمشقي، والنسائي، والبزّار، والدارقطني]، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النّوري، حسن عبد المنعم شلبي، أحمد عَبْد الرزاق عيد، محمود محمَّد خليل الصَّعيدي، الدكتور محّمد مهدي المسلمي، أيمَن إبرَاهيم الزامِلي، إبراهيم محمد النوري، الناشر: عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ الجامع في الحديث لابن وهب، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧هـ)، المحقق: د مصطفى حسن حسين محمد أبو الخير، أستاذ الحديث وعلومه المساعد - كلية أصول الدين - القاهرة، الناشر: دار ابن الجوزي - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، المؤلف: أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني (المتوفى ٣٨٦ هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد أبو الأجفان - عثمان بطيخ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت -

المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

★ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، عدد الأجزاء: ٢.

★ الجامع لعلوم الإمام أحمد، الإمام: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المؤلف: خالد الرباط، سيد عزت عيد، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، عدد الأجزاء: ٢٢.

★ الجرح والتعديل، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ- ١٩٥٢م.

★ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، عدد الأجزاء: ١.

★ جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، المؤلف: جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، المحقق: مختار إبراهيم الهائج - عبد الحميد محمد ندا - حسن عيسى عبد الظاهر، الناشر: الأزهر الشريف، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ٢٥ (الأخير فهارس).

★ الجمع بين الصحيحين، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي (المتوفى: ٥٨٢ هـ)، اعتنى به: حمد بن محمد الغماس، تقديم: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٤.

★ جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٣.

★ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية

(المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١

★ جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، اشرفت على تحقيقه وتصحيحه: لجنة من الجامعيين، الناشر: مؤسسة المعارف، بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

★ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

★ الجواهر المضية في طبقات الحنفية، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانه - كراتشي، عدد الأجزاء: ٢.

★ حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (المتوفى: ٧٩٢هـ) [ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني]، المؤلف: محمد بن عرفة الدسوقي، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، المؤلف: حسن ابن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٢.

★ الحاوي للفتاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، عدد الأجزاء: ١، الناشر: دار الرسالة.

★ الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٧.

★ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد ابن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١، عدد الأجزاء: ١.

★ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،

الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها، ١ - دار الكتاب العربي - بيروت. ٢ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. ٣- دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ بدون تحقيق)، عدد الأجزاء: ١٠.

★ حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، المؤلف: سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حققه وعلق عليه: الدكتور ياسين أحمد إبراهيم درادكه، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة - الجامعة الأردنية، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة - المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٨.

★ حماسة الخالديين = الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، المؤلف: الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (المتوفى: نحو ٣٨٠هـ)، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (المتوفى: ٣٧١هـ)، المحقق: الدكتور محمد علي دقة، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، عام النشر: ١٩٩٥، عدد الأجزاء: ١.

★ الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٢.

★ حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته، المؤلف: سليمان بن عبدالرحمن الحقيل، الطبعة: الأولى، ١٤١٩/ ١٩٩٩م، عدد الصفحات: ٢٢٢.

★ الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن، المؤلف: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (المتوفى: ٢٤٠هـ)، المحقق: علي بن محمد بن ناصر الفقهي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١.

★ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المؤلف: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١٣ (١١ جزء ومجلدان فهارس).

★ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني)، المؤلف: أحمد بن عبد الله بن أبي الخير بن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليمني، صفي الدين (المتوفى: بعد ٩٢٣هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية/ دار البشائر - حلب / بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الخلافيات بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه، المؤلف: أبو بكر البيهقي (٣٨٤ هـ - ٤٥٨ هـ)، تحقيق ودراسة: فريق البحث العلمي بشركة الروضة، بإشراف محمود بن عبد الفتاح أبو شذا النحال، الناشر: الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ٨ (الأخير فهارس).

★ خلق أفعال العباد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار المعارف السعودية - الرياض، عدد الأجزاء: ١.

★ الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ-٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ١٣ (آخر جزئين فهارس).

★ الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.

★ الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، المؤلف: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ«ابن المبرد» (المتوفى: ٩٠٩ هـ)، المحقق: رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.

★ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، عدد الأجزاء: ٦.

★ الدعاء للطبراني، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣، عدد الأجزاء: ١.

★ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، المؤلف: أحمد بن الحسين ابن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، عدد الأجزاء: ٧.

★ الديباج المُذَهَّب في مصطلح الحديث (مطبوع مع شرح منلا حنفي عليه)، المؤلف: يُنسب لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنبابي، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر، باشر طبعه: محمد أمين عمران، عام النشر: ١٣٥٠ هـ - ١٩٣١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ ديوان ابن الرومي، المؤلف: علي بن العباس بن جريج ابن الرومي، المحقق: أحمد حسن بسج، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٣ - ٢٠٠٢، عدد المجلدات: ٣، رقم الطبعة: ٣.

★ ديوان أبي تمام الطائي حبيب بن أوس، المؤلف: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، الناشر: محمد جمال - القاهرة، الصفحات: ٥٤٢.

★ ديوان البوصيري، المؤلف: شرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الجنوني الصنهاجي (٦٠٨-٦٩٦ هـ).

★ ديوان الشافعي، المؤلف: محمد بن ادريس الشافعي، المحقق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية، الصفحات: ١٢٨.

★ ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: حماد بن محمد الأنصاري، الناشر: مكتبة النهضة الحديثة - مكة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ ديوان طرفة بن العبد، المؤلف: طَرَفَة بن العَبْد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: ٥٦٤ م)، المحقق: مهدي محمد ناصر الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١.

★ ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، المؤلف: قيس بن الملوح، المحقق: يسري عبد الغني، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ١.

★ ديوان نصيب بن رباح، للشاعر: نصيب بن رباح (ت ١٠٨هـ)، تحقيق: داود سلوم، الناشر: مكتبة الأندلس، بغداد، الطبعة: ١٩٦٨م، عدد المجلدات: ١، عدد الصفحات: ٢٧٠.

★ ذم الكلام وأهله، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٥.

★ ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الرد الوافر، المؤلف: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣، عدد الأجزاء: ١.

★ الرد على الجهمية والزنادقة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: صبري بن سلامة شاهين، الناشر: دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١.

★ الرد على الجهمية، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، المحقق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: دار ابن الأثير - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١.

★ الرد على الجهمية، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد ناصر الفقيهي، الناشر: المكتبة الأثرية - باكستان، عدد الأجزاء: ١.

★ الرسالة التبوكية (ضمن مجموع الرسائل)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٥٩-٧٥١)، المحقق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الرسالة القشيرية، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢.

★ رسالة في أصول الحديث (مطبوع ضمن كتاب: رسالتان في المصطلح)، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: علي زوين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ رسوم التحديث في علوم الحديث، المؤلف: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ (المتوفى: ٧٣٢هـ)، المحقق: إبراهيم بن شريف الميلي، الناشر: دار ابن حزم - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي،

البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١

★ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٧.

★ الروض الداني (المعجم الصغير)، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.

★ الروض المربع شرح زاد المستقنع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، ومعه: حاشية الشيخ العثيمين وتعليقات الشيخ السعدي، خرج أحاديثه: عبد القدوس محمد نذير، الناشر: دار المؤيد - مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: ١.

★ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

★ رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.

★ ريحانة الألبّا وزهرة الحياة الدنيا، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عمر الخفاجي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الأولى، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

★ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.

★ الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩٢، عدد الأجزاء: ٢.

★ الزهد الكبير، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ، ١٩٩٦، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد لأبي داود السجستاني، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث ابن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن ابراهيم بن محمد، أبو بلال غنيم ابن عباس بن غنيم وقدم له وراجعه: فضيلة الشيخ محمد عمرو بن عبد اللطيف، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد لوكيع، المؤلف: أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي ابن فرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس الرؤاسي

(المتوفى: ١٩٧هـ)، حققه وقدم له وخرج أحاديثه وآثاره: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١ .

★ الزهد والورع والعبادة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: حماد سلامة، محمد عويضة، الناشر: مكتبة المنار - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧، عدد الأجزاء: ١.

★ الزهد، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى،١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ زهر الآداب وثمر الألباب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

★ السبعة في القراءات، المؤلف: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر ابن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، عدد الأجزاء: ٢.

★ السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير، المؤلف: الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين بن محمد بن الشيخ إبراهيم الشهير بالعزيزي، عدد الأجزاء: ٤.

★ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦.

★ سلم الوصول إلى طبقات الفحول، المؤلف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ«كاتب جلبي» وبـ«حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، الناشر: مكتبة إرسيكا، إستانبول - تركيا، عام النشر: ٢٠١٠م، عدد الأجزاء: ٦ (الأخير فهارس).

★ سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي / لأبي عبيد البكري؛ نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه

عبد العزيز الميمني]، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

★ السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

★ السنة، المؤلف: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ٧.

★ السنة، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ البغدادي (المتوفى: ٢٩٠هـ)، المحقق: د. محمد بن سعيد ابن سالم القحطاني، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٢.

★ السنة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: سالم أحمد السلفي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

★ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

★ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

★ سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

★ سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

★ سنن الدارقطني، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.

★ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

★ السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

★ السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

★ السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

★ سنن سعيد بن منصور، المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية - الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م، عدد الأجزاء: ٢*١.

★ سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.

★ سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، المؤلف: محمد بن إسحاق ابن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.

★ السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.

★ السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، عدد الأجزاء: ٢.

★ سيف الله على من كذب على أولياء الله، المؤلف: صنع الله بن صنع الله الحلبي المكي الحنفي، تقريظ: معالي الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، تحقيق: أبي البراء علي رضا بن عبد الله المدني، الناشر: دار الكتاب والسنة - عين شمس الشرقية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، عدد الأجزاء: ١.

★ الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري،

الشافعي (المتوفى: ٨٠٢هـ)، المحقق: صلاح فتحي هلل، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.

★ شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

★ شرح (التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي)، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، المحقق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين فحل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، المؤلف: بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المؤلف: ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى: ٧٦٩هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٤.

★ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق:

أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٩ أجزاء (٤ مجلدات) - الجزء ٩ تجده منفردا باسم: كرامات الأولياء.

★ شرح الأصول الثلاثة، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ١.

★ شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١٥.

★ شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢ ومجلد للفهارس) (في ترقيم مسلسل واحد)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

★ شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ ابن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشـاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ شرح العمدة لشيخ الإسلام ابن تيمية - من أول كتاب الصلاة إلى آخر باب آداب المشي إلى الصلاة، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، المحقق: خالد بن علي بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ شرح ألفية ابن مالك المسمى «تحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة»، المؤلف: زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن الوردي (٦٩١ - ٧٤٩ هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور عبد الله بن علي الشلال، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ الشرح الكبير (المطبوع مع المقنع والإنصاف)، المؤلف: شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٣٠.

★ شرح الكوكب المنير، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

★ شرح المفصل للزمخشري، المؤلف: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٦ (٥ وجزء للفهارس).

★ شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت:٢٣١هـ)، المؤلف: يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: دار القلم - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ شرح سنن أبي داود، المؤلف: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حسين ابن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (المتوفى: ٨٤٤ هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح بإشراف خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، عدد الأجزاء: ٢٠ (الأخير فهارس).

★ شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي ابن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠.

★ شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر:

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ٨.

★ شرح مشكل الآثار، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ وجزء للفهارس).

★ شرح مقامات الحريري، المؤلف: أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (المتوفى: ٦١٩ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ، عدد الأجزاء: ٣.

★ شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، المحقق: قدم له: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، الناشر: دار الأرقم - لبنان / بيروت، عدد الصفحات: ٨١٦.

★ شرف أصحاب الحديث، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ابن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. محمد سعيد خطي أوغلي، الناشر: دار إحياء السنة النبوية - أنقرة، عدد الأجزاء: ١.

★ الشريعة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن

سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٥.

★ شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).

★ الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.

★ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميري اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله

العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١١ مجلد (في ترقيم مسلسل واحد)، ومجلد للفهارس.

★ الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه، المؤلف: أحمد بن حجر بن محمد بن حجر بن أحمد بن حجر بن طامي بن حجر بن سند بن سعدون آل بوطامي البنعلي (ت ١٤٢٣هـ)، الناشر: دار الفتح الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، عدد الصفحات: ٢٥١.

★ الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ١.

★ الصَّارِمُ المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤هـ)، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الناشر: مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، عدد الأجزاء: ١٥.

★ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

★ صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

★ صحيح ابن خزيمة، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ابن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

★ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

★ صفة الجنة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، المحقق: علي رضا عبد الله، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق / سوريا، عدد الأجزاء: ٣ في ٢.

★ صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحرّاني الحنبلي (المتوفى: ٦٩٥هـ)، المحقق:

محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧، عدد الأجزاء: ١.

★ الصمت وآداب اللسان، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠، عدد الأجزاء: ١.

★ الصناعتين، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ الضعفاء الكبير، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (المتوفى: ٣٢٢هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المكتبة العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ٤.

★ طبقات الحفاظ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١.

★ طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

★ طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

★ طبقات الشافعية، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ طبقات الشافعية، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٢.

★ طبقات الشافعيين، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ طبقات الشعراء، المؤلف: عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)، المحقق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثالثة.

★ طبقات الفقهاء، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٧٠.

★ الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.

★ طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ طلبة الطلبة، المؤلف: عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: ٥٣٧هـ)، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٣١١هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

★ عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، المؤلف: شمس الدين السلفي الأفغاني، الناشر: مكتبة الصديق، سنة النشر: ١٤١٩ - ١٩٩٨، عدد المجلدات: ٣، رقم الطبعة: ٢.

★ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ العدة شرح العمدة، المؤلف: عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، أبو محمد بهاء الدين المقدسي (المتوفى: ٦٢٤هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، المؤلف: علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار (المتوفى: ٧٢٤ هـ)، وقف على طبعه والعناية به: نظام محمد صالح يعقوبي، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ٣ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ العرش، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٢.

★ العزلة، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، المحقق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١٣.

★ العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأَبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ٥.

★ العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، المؤلف: حسين بن غنّام (أو ابن أبي بكر بن غنام) النجدي الأحسائي المالكي (المتوفى: ١٢٢٥هـ)، الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، المحقق: محمد بن عبد الله الهبدان، عدد الأجزاء: ١.

★ عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم ابن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ (الشاه ولي الله الدهلوي) (المتوفى: ١١٧٦هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، عدد الأجزاء: ١.

★ العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: أيمن نصر الأزهري - سيد مهني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ العقد المنظوم في الخصوص والعموم، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي (٦٢٦ - ٦٨٢ هـ)، دراسة وتحقيق: د. أحمد الختم عبد الله، الناشر: دار الكتبي - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

★ علماء نجد خلال ثمانية قرون، المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام، الناشر: دار العاصمة، سنة النشر: ١٤١٩، عدد المجلدات: ٦، رقم الطبعة: ٢.

★ العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١

★ عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤلف: عبد الغني ابن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين (ت ٦٠٠هـ)، دراسة وتحقيق: محمود الأرناؤوط، مراجعة وتقديم: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق - بيروت، مؤسسة قرطبة، مدينة الأندلس، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الصفحات: ٢٨٢.

★ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي

(المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد ابن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٢٥ * ١٢.

★ عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عَزَّوَجَلَّ ومعاشرته مع العباد، المؤلف: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله ابن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـ (بن السُّنِّي) (المتوفى: ٣٦٤هـ)، المحقق: كوثر البرني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ عنوان المجد في تاريخ نجد، المؤلف: عثمان بن عبد الله بن بشر، الناشر: دارة الملك عبد العزيز - الرياض.

★ العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

★ عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ غاية المريد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: د. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل، الناشر: مركز النخب العلمية - مطبعة معالم الهدى للنشر

والتوزيع، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٩هـ-٢٠١٧م، عدد الصفحات: ٥٨٠.

★ غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى، المؤلف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣ هـ)، اعتنى به: ياسر إبراهيم المزروعي، رائد يوسف الرومي، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م، عدد الأجزاء: ٢.

★ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٢.

★ غرائب التفسير وعجائب التأويل، المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

★ غريب الحديث، المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ - ٢٨٥]، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٣.

★ غريب الحديث، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، المحقق: الدكتور حسين محمد محمد شرف، أستاذ م بكلية دار العلوم، مراجعة:

الأستاذ عبد السلام هارون، الأمين العام لمجمع اللغة العربية، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: ٥.

★ غريب الحديث، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧، عدد الأجزاء: ٣.

★ غريب الحديث، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.

★ الغريبين في القرآن والحديث، المؤلف: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٦ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ الغنية لطالبي طريق الحق عَزَّوَجَلَّ، المؤلف: عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد، محيي الدين الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي (المتوفى: ٥٦١ هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح ابن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، الناشر: غراس، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ الفائق في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء: ٤.

★ فَتَّاوَى الإِمامِ النَّوَوِي المُسَمَّاةِ: «بالمَسَائِل المنْثورَةِ»، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ترتيبُ: تلميذه الشيخ عَلَاء الدِّين بن العَطّار، تحقِيق وتعلِيق: محمَّد الحجَّار، الناشر: دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة للطبَاعَة وَالنشرَ والتوزيع، بَيروت – لبنان، الطبعة: السَادسَة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، عدد الصفحات: ٢٨٠.

★ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.

★ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، عناية محب الدين الخطيب، وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي. دار المعرفة، بيروت.

★ فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: ١ - محمود بن شعبان بن عبد المقصود، ٢- مجدي بن عبد الخالق الشافعي، ٣ - إبراهيم بن إسماعيل القاضي، ٤ - السيد عزت المرسي، ٥ - محمد بن عوض المنقوش، ٦ - صلاح بن سالم المصراتي، ٧ - علاء بن مصطفى بن همام، ٨ - صبري بن عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

★ فتح الرحمن في تفسير القرآن، المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: ٩٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة - إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلَامِيّةِ)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، عدد الأجزاء: ٧.

★ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

★ فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب = القول المختار في شرح غاية الاختصار (ويعرف بشرح ابن قاسم على متن أبي شجاع)، المؤلف: محمد بن قاسم بن محمد بن محمد، أبو عبد الله، شمس الدين الغزي، ويعرف بابن قاسم وبابن الغرابيلي (المتوفى: ٩١٨هـ)، بعناية:

بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي للطباعة والنشر، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.

★ الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير، المؤلف: عبد الرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: يوسف النبهاني، الناشر: دار الفكر - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٣.

★ فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، المحقق: علي حسين علي، الناشر: مكتبة السنة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ٤.

★ الفردوس بمأثور الخطاب، المؤلف: شيرويه بن شهردار بن شيرو يه ابن فناخسرو، أبو شجاع الديلميّ الهمذاني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٥.

★ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي

القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ فضائل الصحابة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، عدد الأجزاء: ٢.

★ فضائل القرآن (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ)، المحقق: عبد العزيز بن زيد الرومي، وصالح ابن محمد الحسين، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الصفحات: ٣٧.

★ فضائل القرآن للقاسم بن سلام، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ -١٩٩٥ م.

★ فضل علم السلف على علم الخلف [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي]، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الصفحات: ٣٤.

★ الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ، عدد الأجزاء: ٢.

★ الفهرست، المؤلف: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ)، المحقق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: سليمان بن صالح الغصن، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، عدد الصفحات: ١٤٣، عدد الأجزاء: ١.

★ قاعدة في الصبر، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٦ – السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ١.

★ القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في

مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ قَانون التَّأْوِيْل، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: محمّد السّليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١.

★ قرة العينين برفع اليدين في الصلاة، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: أحمد الشريف، الناشر: دار الأرقم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ القرى لقاصد أم القرى، المؤلف: أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر محب الدين الطبري المكي أبو العباس، عدد المجلدات: ١، عدد الصفحات: ٧٣٦.

★ القضاء والقدر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض / السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ قفو الأثر في صفوة علوم الأثر، المؤلف: محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي القادري التاذفي، الحنفي رضي الدين المعروف بـ ابن الحنبلي

(المتوفى: ٩٧١هـ)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، المؤلف: محمد جمال الدين ابن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، عدد الأجزاء: ١.

★ القواعد والفوائد الأصولية ومايتبعها من الأحكام الفرعية، المؤلف: ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: عبد الكريم الفضيلي، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٢.

★ قوت المحتاج شرح المنهاج، المؤلف: شهاب الدين الأذرعي، تحقيق: عيد محمد عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٣٧هـ- ٢٠١٥م، عدد المجلدات :١٢.

★ قوت المغتذي على جامع الترمذي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، إعداد الطالب: ناصر بن

محمد بن حامد الغريبي، إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، الناشر: رسالة الدكتوراة - جامعة أم القرى، مكة المكرمة - كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

★ القول في علم النجوم للخطيب، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، درسه وحققه: الدكتور يوسف بن محمد السعيد، الناشر: دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ الكافي في فقه أهل المدينة، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار

الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١٠.

★ الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

★ كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، المؤلف: الحسين بن أحمد ابن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ-١٩٤١م)، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الأذكياء، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: مكتبة الغزالي، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الأربعين وهو ثالث الأربعينيات في الحديث الشريف، المؤلف: أبو العباس الحسن بن سفيان بن عامر بن عبد العزيز بن النعمان بن عطاء الشيباني الخراساني النسوي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق وتعليق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الأصنام، المؤلف: أبو المنذر هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: أحمد زكي باشا، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الرابعة، ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الإيمان، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ابن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

★ الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المؤلف: المنتجب الهمذاني (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، عدد الأجزاء: ٦.

★ كتاب القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن الْمُسْتَفَاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ كتاب الكبائر للحافظ أبي بكر البرديجي، المؤلف: أبو بكر أحمد بن هارون ابن روح البرديجي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: محمد بن تركي التركي،

الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٦، السنة ٣٤ - ١٤٢٢هـ.

★ كتاب تفسير القرآن، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى: ٣١٩هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار النشر: دار المآثر - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: مجلدان في ترقيم مسلسل واحد.

★ كرامات الأولياء للالكائي - من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، المؤلف: أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، الناشر: دار طيبة - السعودية.

★ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، عدد الأجزاء: ٤.

★ كشف الأستار عن زوائد البزار، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٤.

★ كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر:

المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ كشف الشبهات، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، عدد الصفحات: ٦٠، عدد الأجزاء: ١.

★ كشف المخدرات والرياض الزاهرات لشرح أخصر المختصرات، المؤلف: أحمد بن عبد الله الحلبي البعلي، عدد الأجزاء: جزءان، دار النشر: دار النبلاء.

★ كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض، عدد الأجزاء: ٤.

★ كَشْفُ المَنَاهِجِ وَالتَّنَاقِيحِ فِي تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ المَصَابِيحِ، المؤلف: محمد ابن إبراهيم بن إسحاق السلمي المُنَاوِي ثم القاهري، الشافعيّ، صدر الدين، أبو المعالي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، دِرَاسَة وتحقيق: د. مُحَمَّد إِسْحَاق مُحَمَّد إِبْرَاهِيم، تقديم: الشيخ صالح بن محمد اللحيدان، الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٥.

★ كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، المؤلف: ابن الجوزي؛ عبد الرحمن ابن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، المحقق:

عبد العزيز بن راجي الصاعدي، الناشر: مكتبة دار السلام، سنة النشر: ١٩٩٣، عدد المجلدات: ٢، رقم الطبعة: ١.

★ كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله الزير آل حمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة: ١١٩٣هـ - ١٢٨٥هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين (٢١) مثبت أسماؤهم بالمقدمة (صـ ١٥)، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، الناشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ٣٣ (آخر ٣ فهارس).

★ كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية، المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل ابن أحمد بن عبد الله اللواتي الأَجْدَابي، أبو إسحاق الطرابلسي (المتوفى: نحو ٤٧٠هـ)، المحقق: السائح علي حسين، الناشر: دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة - طرابلس - الجماهيرية الليبية، عدد الأجزاء: ١.

★ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، المؤلف: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الطبعة: الرابعة، خرج أحاديثها: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، عدد الأجزاء: ١.

★ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب ابن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ الكنى والأسماء، المؤلف: أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٣.

★ الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن يوسف ابن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان، طبعة أولى: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، طبعة ثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٢٥.

★ اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، المؤلف: أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)، المحقق: محمد سعيد المولوي، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١.

★ لسان العرب، لابن منظور جمال الدِّين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثمّ المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

★ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم

الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ١.

★ اللطائف والظرائف، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المناهل، بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ المبتدأ والخبر لعلماء في القرن الرابع عشر وبعض تلاميذهم، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن ناصر السيف، عدد الأجزاء: ٥، رقم الطبعة: ١، بلد النشر: السعودية، المحقق: حسان بن إبراهيم السيف، دار النشر: دار العاصمة، تاريخ النشر: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

★ المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، عدد الأجزاء:٨.

★ المبسوط في القراءات العشر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري، أبو بكر (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، الناشر: مجمع اللغة العربية – دمشق، عام النشر: ١٩٨١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صحيح الإمام البخاري، المؤلف: شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هــ)، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي

عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٣.

★ مجاني الأدب في حدائق العرب، المؤلف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٩١٣ م، عدد الأجزاء: ٦.

★ مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

★ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٠.

★ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

★ المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، المؤلف: محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عبد الكريم العزباوي، الناشر: جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة

العربية السعودية، الطبعة: الأولى، جـ ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، جـ ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، عدد الأجزاء: ٣.

★ مجموع تخريج شمس الدين المقدسي، المؤلف: الشَّمْسُ، أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ أَحْمَدَ المَقْدِسِيُّ، الحَنْبَلِيُّ، المُلَقَّبُ بِالبُخَارِيِّ (ت ٦٢٣هـ)، الناشر: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤، [الكتاب مخطوط]، عدد الصفحات: ٩.

★ المجموع شرح المهذب (مع تكملة السبكي والمطيعي)، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.

★ مجموعة الرسائل والمسائل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، علق عليه: السيد محمد رشيد رضا، الناشر: لجنة التراث العربي، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء في مجلدين.

★ المحاسن والأضداد، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

★ المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).

★ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

★ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

★ المختصر المفيد في عقائد أئمة التوحيد، المؤلف: أبو يوسف مدحت بن حسن آل فراج المصري (المتوفى: ١٤٣٥هـ)، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ المختصر في علم الأثر (مطبوع ضمن كتاب: رسالتان في المصطلح)، المؤلف: محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي محيي الدين، أبو عبد الله الكافِيَجي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، المحقق: علي زوين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ المخصص، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٥.

★ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢.

★ المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، عدد الأجزاء: ١.

★ المدخل إلى تقويم اللسان، المؤلف: ابن هشام اللخمي (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المحقق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، عدد الصفحات: ٥٨٠.

★ المدخل، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: ٧٣٧هـ)، الناشر: دار التراث، عدد الأجزاء: ٤.

★ المدونة، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: ٤.

★ مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المؤلف: شمس الدين أبو المظفر يوسف ابن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١-٦٥٤هـ)، تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققيه]، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، عدد الأجزاء: ٢٣ (الأخير فهارس).

★ مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ المراسيل، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

★ مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

★ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المؤلف: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ٢٧.

★ مسائل الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، المؤلف: إسحاق بن منصور بن بهرام، أبو يعقوب المروزي، المعروف بالكوسج (المتوفى: ٢٥١هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

★ مسائل حرب الكرماني للإمامين: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، من قوله: (باب الماء الذي لا ينجسه شيء) إلى آخر كتاب الطهارة دراسةً وتحقيقًا، المؤلف: أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني (المتوفى: ٢٨٠ هـ)، الناشر: أطروحة الدكتوراه للشيخ: عامر بن محمد فداء بن محمد عبد المعطي بهجت - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الشريعة - قسم الفقه، المشرف: أ. د. عبد الله بن معتق السهلي حفظه الله، العام: ١٤٣٢ - ١٤٣٣ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ مسائل حرب الكرماني، المؤلف: أبو محمد حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني (المتوفى: ٢٨٠ هـ)، إعداد: فايز بن أحمد بن حامد حابس، إشراف: فضيلة الشيخ الدكتور حسين بن خلف الجبوري، الناشر: جامعة أم القرى، عام النشر: ١٤٢٢ هـ، عدد الأجزاء: ٣.

★ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

★ المستقصى في أمثال العرب، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٢.

★ مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

★ مسند أبي يعلى، المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤، عدد الأجزاء: ١٣.

★ مسند إسحاق بن راهويه، المؤلف: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـابن راهويه (ت ٢٣٨هـ)، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ - ١٩٩١، عدد الأجزاء: ٥.

★ مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

★ مسند الإمام الشافعي، المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية: محمد عابد السندي، عرف للكتاب وترجم للمؤلف: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، تولى نشره وتصحيحه ومراجعة أصوله على نسختين مخطوطتين: السيد يوسف علي الزواوي الحسني، السيد عزت العطار الحسيني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م، عدد الأجزاء: ٢

★ مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

★ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

★ مسند الروياني، المؤلف: أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: أيمن علي أبو يماني، الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦، عدد الأجزاء: ٢.

★ مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

★ مسند الشهاب، اسم المؤلف: محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٦، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

★ المسند للشاشي، المؤلف: أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي (ت٣٣٥هـ)، تحقيق وتخريج: د. محفوظ الرحمن زين الله، (أستاذ الحديث واصطلاحه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، وعضو بمركز الدعوة والإرشاد بدبي)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

★ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: ٢.

★ مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، المؤلف: محمد بن حبان ابن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، عدد الأجزاء: ١.

★ مشاهير علماء نجد وغيرهم، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، عدد الأجزاء: ١.

★ المشيخة البغدادية - مخطوط، المؤلف: صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (ت ٥٧٦هـ)، عدد الأجـزاء: (٣٥) جزءا، ينقصها (١) و (٧)، عدد الأحاديث: (١٦٠٠) حديثا، الناشر: مخطوط نُشر في برنامج جوامع الكلم المجاني التابع لموقع الشبكة الإسلامية.

★ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).

★ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

★ المصنف، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ١١.

★ مطالع الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (المتوفى: ٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: ٦.

★ المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، المؤلف: حافظ ابن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٨.

★ معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد ابن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.

★ معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٥.

★ معاني القرآن، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

★ معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، الطبعة: الأولى.

★ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، المؤلف: عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: عالم الكتب – بيروت، عدد الأجزاء: ٢ في مجلد واحد.

★ المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، المؤلف: عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، محيي الدين (المتوفى: ٦٤٧هـ)، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ معجم ابن الأعرابي، المؤلف: أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد ابن بشر بن درهم البصري الصوفي (المتوفى: ٣٤٠هـ)، تحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٧.

★ المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.

★ معجم الصحابة، المؤلف: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: ٣٥١هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨، عدد الأجزاء: ٣.

★ معجم الصحابة، المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ابن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ)، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، طبع على نفقة: سعد بن عبد العزيز بن عبد المحسن الراشد أبو باسل، عدد الأجزاء: ٥.

★ معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ابن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

★ معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، المؤلف: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

★ المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

★ المعجم لابن المقرئ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم ابن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: أبي عبد الحمن عادل بن سعد، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ١.

★ معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.

★ معرفة السنن والآثار، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشرون: جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق -بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ١٥.

★ معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: عدد الأجزاء: ٧ (٦ أجزاء ومجلد فهارس).

★ معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: نور الدين عتر، الناشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت، سنة النشر: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

★ معرفة علوم الحديث، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، عدد الأجزاء: ١.

★ المعرفة والتاريخ، المؤلف: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: ٢٧٧هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م، عدد الأجزاء: ٣.

★ المُعْلم بفوائد مسلم، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي (المتوفى: ٥٣٦هـ)، المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الناشر: الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٣.

★ معيار العلم في فن المنطق، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: الدكتور سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف، مصر، عام النشر: ١٩٦١م، عدد الأجزاء: ١.

★ المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/ ١٩٨٩، عدد الأجزاء: ٣.

★ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ١.

★ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (مطبوع بهامش إحياء علوم الدين)، المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١.

★ المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ١٠.

★ المفاتيح في شرح المصابيح، المؤلف: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م، عدد الأجزاء: ٦.

★ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ٢ في ١.

★ المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

★ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال، الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٧.

★ مقاتل الطالبيين، المؤلف: علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني (المتوفى: ٣٥٦هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى»، المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ)، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن

أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ١.

★ مقامات الحريري، المؤلف: أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى: ٥١٦هـ)، الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، عام النشر: ١٨٧٣ م، عدد الأجزاء: ١.

★ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، المؤلف: إبراهيم بن محمد ابن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٣.

★ الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، المحقق: محمد سيد كيلاني، الناشر: مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: ٣.

★ من أعلام المجددين، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار المؤيد، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

★ من غاب عنه المطرب، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: المطبعة الأدبية، بيروت، عام النشر: ١٣٠٩، عدد الأجزاء: ١.

★ منازل السائرين، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ١.

★ المنتخب من مسند عبد بن حميد، المؤلف: أبو محمد عبد الحميد بن حميد ابن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (المتوفى: ٢٤٩هـ)، المحقق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨، عدد الأجزاء: ١.

★ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.

★ المنتقى شرح الموطأ، المؤلف: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢هـ، (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ)، عدد الأجزاء: ٧.

★ منتهى الإرادات، المؤلف: تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار (٩٧٢هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٥.

★ المنخول من تعليقات الأصول، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان، دار الفكر دمشق – سورية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.

★ المنفردات والوحدان، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المحقق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ – ١٩٨٨، عدد الصفحات: ٢٥١.

★ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، عدد المجلدات: ٩.

★ منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، المؤلف: سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي، التبالي، العسيري، النجدي (المتوفى: ١٣٤٩هـ)، المحقق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: مكتبة الفرقان، الطبعة: الثالثة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

★ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث

العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

★ المنهاج في شعب الإيمان، المؤلف: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي (المتوفى: ٤٠٣ هـ)، المحقق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي، المؤلف: أبو عبد الله، محمد ابن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، المحقق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، عدد الأجزاء: ١.

★ المهذب في اختصار السنن الكبير، اختصرهُ: أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عُثمان الذّهَبيّ الشَّافعيّ (المتوفي: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلميِ، بإشراف أبي تَميم يَاسر بن إبراهيم، الناشر: دار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ١٠ (الأخيران فهارس).

★ المهذب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ٣.

★ الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور

ابن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٧.

★ مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ٦.

★ موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري - أحمد عبد الرزاق عيد - محمود محمد خليل، دار النشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ٤.

★ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م. عدد الأجزاء: ٢.

★ موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا)، المؤلف: أبو سهل محمد ابن عبد الرحمن المغراوي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، النبلاء للكتاب، مراكش - المغرب، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: ١٠.

★ موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.

★ الموقظة في علم مصطلح الحديث، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ، عدد الأجزاء: ١.

★ ميزان الأصول في نتائج العقول، المؤلف: علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد بن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ)، حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقًا)، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ١.

★ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٥م.

★ الميسر في شرح مصابيح السنة، المؤلف: فضل الله بن حسن بن حسين ابن يوسف أبو عبد الله، شهاب الدين التُّورِبِشْتِي (المتوفى: ٦٦١ هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ هـ، عدد الأجزاء: ٤ (في ترقيم واحد متسلسل).

★ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، دراسة وتحقيق: محمد بن صالح المديفر (أصل التحقيق رسالة جامعية)، الناشر: مكتبه الرشد / شركة الرياض - الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ الناسخ والمنسوخ، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد، الناشر: مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، عدد الأجزاء: ١.

★ النبوات، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١.

★ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (مطبوع ملحقا بكتاب سبل السلام)، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عصام الصبابطي - عماد السيد، الناشر:

دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الخامسة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١.

★ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، حققه على نسخه مقروءة على المؤلف وعلق عليه: نور الدين عتر، الناشر: مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الصفحات: ١٤٩.

★ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، المؤلف: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، عام النشر: ١٣٩١ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

★ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢.

★ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان ص. ب ١٠، الطبعة الأولى ١٩٦٨، طبعة جديدة ١٩٩٧، عدد الأجزاء: ٨.

★ النفقة على العيال، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان ابن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: د. نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: دار ابن القيم - السعودية - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢.

★ نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عَزَّوَجَلَّ من التوحيد، المؤلف: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠هـ)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المحقق: رشيد بن حسن الألمعي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ٢.

★ النكت على كتاب ابن الصلاح، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، عدد المجلدات: ٢، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

★ نهاية السول شرح منهاج الوصول، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن ابن علي الإسنوي الشافعيّ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

★ النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

★ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤلف: محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو ٣٢٠هـ)، المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

★ نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراة)، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٣.

★ نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي]، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الصفحات: ٨٧.

★ نيل الأوطار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٨.

★ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ١٣ (١٢، ومجلد للفهارس).

★ الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

★ وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام للسخاوي، ط: مؤسسة الرسالة، بتحقيق الدكتور بشار عواد، والدكتور أحمد الحطيمي، وعصام فارس الحرستاني.

★ الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: ١.

★ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.

★ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ٤.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله